

# المستشرقون ومشكلات الحضارة

دكتورة غفاف صبره

مدرس تاريخ العصور الوسطى  
كلية الدراسات الانسانية - فرع البنات  
جامعة الأزهر

١٩٨٥

دار النهضة العربية  
للطباعة والنشر والتوزيع





# المُسْتَشْرِقُونَ وَمَشْكَلاتُ الحَضَارَةِ

دكتورة عفاف صبره

مدرس تزيخ العصور الوسطى  
كلية الدراسات الانسانية - فرع اللغات  
جامعة الأزهر

١٩٨٥

دار النهضة العربية  
للطببع والنشر والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

احتلت قضية الاستشراق والمستشرقين ، أهمية خاصة بين قضايا العصر ، تجلت في اهتمام جميع علماء العالم الاسلامي بها ، محاولين نتبع مسارها ، والتحقق من كل ما يكتبه المستشرقون في مؤلفاتهم ، وما يقدمونه للفكر الانساني .

ويعتبر الدين الاسلامي والحضارة الاسلامية من اهم الموضوعات التي شغلت اذهان المستشرقين ، والتي بذلوا فيها كثيرا من الجهد والعمل الدائب في سبيل دراستها ، ومناقشتها وتحليلها .

وفد اختلف المستشرقون الذين كتبوا عن الاسلام في اهدافهم ودوافعهم ، ووسائلهم وميولهم ، حتى أصبح من المسلم به ، التقالوت والاختلاف في كل ما الفوه وكتبوه ، واصبح لزاما على كل فرد مسلم واع أن نهم بهذه الكتابات ، وأن يخضعها للبحث والدراسة والتمحيص ، حتى يكشف النقاب عن حقيقة الاغراض التي دفعت هؤلاء المستشرقين الى الكتابة عن الاسلام ، ويرفع الشبهات التي يحاولون بها تشويه الاسلام ودرس الدسائس والباطيل عليه .

حقيقة أن الاسلام لا يحتاج الى ايضاح ، ونبي الاسلام لا يحتاج الى دفاع ، فما كانت الحقائق العليا ، والفضائل السامية بحاجة ابدا الى من يدافع عن وجودها ، ويتحدث عن آثارها ، ويعلن عن فضلها وقدرها ، فذلك من شأنه أن يجور على مقامها ويهون من شأنها بما يوقع في النفوس من انها في خفاء يحتاج الى بيان ، وفي وجه تهمة تحتاج الى دفع ودفاع ، ولكن غايقتنا أن يعرف للانسان قدره ، والمعتل مكانه ووزنه في انسانية

الإنسان ، وفى اعطائه معنى الإنسانية الأمر الذى يدعو كل ذى عقل أن يحرص على عقله حرصه على الحياة ذاتها .

ونظرا لأهمية هذا الموضوع ، فقد رأيت أن يكون لى شرف المساهمة بنصيب فى الكتابة فيه ، محاولة ، قدر جهدى ، أن أستوضح كثيرا من النقاط ، وإن أردت الشبهات .

وإذا كان هذا الموضوع قد تعرض لدراسات مستفيضة ، ولجهود كثيرة من قبل العلماء الاجلاء الذين بذلوا الطاقات فى سبيل الوقوف فى وجه الحائدين على الاسلام ، عاملين على ابراد الحقائق ، ورد الباطل ، كذلك رأيت أن اسير على الدرب ، حيث ان المستشرقين لم يتوقفوا عن كتاباتهم ، ولم تتغير اهدافهم ومصالحهم ، والحمة على الاسلام ، وحضارة الاسلام مكثفة فى أيامنا هذه — التى سادت فيها الحضارات المادية والفلسفات الالحادية — فما احوجنا فى هذه الظروف الصعبة الى مثل هذه الدراسات من أى وقت مضى .

وقد حاولت ان استعرض فى هذا الموضوع نشأة الاستشراق فى الغرب والأسباب التى جعلت النزعة الى الاستشراق تزداد هناك الى الدرجة التى نراها الآن .

وقد اثبتت هذه الدراسة أن الباعث الدينى كان من أهم البواعث التى دفعت الغرب الى الخوض فى مجال الدراسات الشرقية ، محاولين بذلك التنفيس عن عدائهم للإسلام — هذا العداء الذى يرجع الى قرون مضت منذ أن بزغ نور الاسلام على العالم على يد ائسف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

ظل الصراع بين الشرق والغرب طوال التاريخ الاسلامى صراعا لاهوادة فيه ، فقد ظل السلاح صرغوا بين الطرفين طوال التاريخ الأموى والعباسى ، بل لعل الدور الذى قاهت به بلاد المغرب الاسلامى — سواء فى المغرب أو الأندلس — لا يقل عن غيره بل يزيد .

استمر الصراع بين الطرفين حتى اتخذ صورة حملات سلبية مكثفة قام بها الغرب ضد الشرق ، محاولا تحقيق أهدافه الكبرى وسى القضاء على الاسلام .

وإذا كانت الحرب والسلاح هما الوسيلة التي اتخذها الغرب للتعبير عن حقه على الاسلام ، فانهم قد استخدموا سلاحا آخر لا يقل خطورة وهو سلاح الكلمة المكتوبة الموجهة .

لذلك بدأ هؤلاء المستشرقون كتاباتهم عن الدين الاسلامي ، وعلومه المختلفة ، وعن نبي الاسلام وحياته محاولين تدر جهدهم ان يشوهوا الصورة السكرمة التي رسمها الله سبحانه وتعالى للاسلام ونبي الاسلام .

وإذا كنت قد بينت في هذه الدراسة اختلاف أغراض المستشرقين ، فاننا لانسى في هذا المجال ان نضع الحق في نصابه ، وان نذكر ان من هؤلاء فئة محايدة ، جعلت العلم والحقيقة هدفها ، فكتبوا بأمانة علمية مطلقة ، وذكروا الحقيقة مجردة ، فكانوا شاهدا على عظمة الاسلام .

وكان منهجى في الدراسة اعطاء كل ذي حقه، انصاف المنصفين، والرد على الضالين ، عسى ان يحقق مانصبو اليه من اهداف في هذه الدراسة .

وقد رايت الا احدد موضوع كتابي بالسكلام عن المستشرقين والاسلام بلسكن امتكالا للفرض رايت ان ابين كثيرا من المشاكل الحضارية التي اترت تأثيرا مباشرا على مجتمعنا الاسلامي بشتى الصور ، سواء في الاخلاق أو الدين والعتائد أو العادات والتقاليد ، مما كان لها اسوا الأثر على الفرد المسلم .

فقد جعلت دراستي للمشكلات الحضارية تقوم على أساس عرض للمشكلة الحضارية ايا كان نوعها عقائدية أم اقتصادية أم اجتماعية ، ثم ابين ماهيتها ونشأتها ، ثم كيف تسربت الى المجتمعات الاسلامية ، وماهى

الإنار السيئة التي تركتيا على المجتمع ، ثم اتعرض لموقف الإللام من هذه المشكلات حتى نستطيع ان نبين للفرد المسلم الحق من الساطل لنير له الطريق .

وانى اذ اتدم هذا الكتاب الى القارئ المسلم — ادعو الله جل وعلا ان يوقفنا جميعا للعمل على خدمة الاسلام ، وأن ييسر لنا السير فى الطريق المستقيم : وان يكمل أعمالنا بالحق والصواب .

« ربنا لاترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا : وهب لنا من لدنك رحمة »

صدق الله العظيم .

المؤلفه

د/ عفاف سيد صبرة

القاهرة / ١٩٧٩ م .



## الفصل الأول

التطور التاريخي لنشأة حركة الاستشراق



## بداية ظهور حركة الاستشراق في الغرب

يكون المستشرقون الغربيون بالنسبة للشرق الاسلامي مشكلة ثقافية ودينية كبرى ، وهذه حقيقة لا بد من الاعتراف بها اعترافا صريحا كاملا ، ثم مواجهة المشكلة ودراستها دراسة جديدة . ونحدد موقفنا ازاءها تحديدا دقيقا .

فالامر يتصل اتصالا وثيقا بالمحافظة على قيمنا ، وصيانة تراثنا من العبث وسوء التصوير ، وربما كان من الخطا فيما مضى أن نتجاهل وجود المشرقين وأن نغض الطرف عن نشاطهم ومؤلفاتهم ومؤتمراتهم ، ولكن افكارهم غننا وتمينها ، صحيحها وسقيمها ، قد تسربت فعلا الى اجسواء البلاد الاسلامية ، واحتلت عقول الناس فيها ، واكتسبت منهم انصارا ودعاة وناشرين ، ولهذا لم يبق لنا عذر في الاستمرار في سياسة التغاضي والتجاهل السابقة الذكر ، واصبح من الواجب المحتوم أن نهض دون توان أو تردد لدراسة هذه الحركة دراسة علمية ناحصة ، وأن نبين اهدافها حتى نكون على بينة من كل ما يكتب وما يقال عنا وعن بلادنا ، وعن تاريخنا ، فان كان حقا تبئناه ، وان كان باطلا رددناه .

والمستشرقون اصطلاح واسع يشمل طوائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة ، فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق مثل الهند وفارس والصين واليابان والعالم العربي وغيرهم من أمم الشرق .

وبدء ذي بدء لابد أن نلقى نظرة سريعة على تطور العلاقات بين الشرق والغرب أو بمعنى أصح بين المسيحية والاسلام ، ثم نبين الأسباب التي دعت الغرب الى الاقبال على الحضارة الاسلامية ودراستها ، وبيان نوعية الحضارة التي ازدهرت في بلاد الشرق ، ثم كيفية عبورها الى الغرب الاوربي ، واقبال العالم الغربي عليها ، وانشائه للمدارس والجامعات والمراكز الثقافية المختلفة التي اهتمت بعلوم الشرق .

### العلاقات بين الشرق والغرب :

يهيمن في أمر هذه العلاقات العلاقة بين الإسلام والمسيحية ، وهو ما يهم بحثنا . فالمعروف أن الإسلام الذي بزغ نوره في شبه الجزيرة العربية على يد أشرف الرسل محمد صلى الله عليه وسلم سادف معارضة قووة من الديانة المسيحية التي انتشرت في بلدان الشرق والغرب .

لذلك بدأ الصراع بين الديانتين يأخذ طريقه الى الظهور بعد استقرار الدعوة الإسلامية . في الدور المدني . وتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة . هذه الدولة التي أمرها الله سبحانه وتعالى بتبشّر الدعوة ليس انظرياً فقط بل عالمياً . لذلك بدأت تدق أبواب الدول المجاورة سسلسلماً فأرسلت كتباً تدعوهم الى هذا الدين الجديد .

أرسل الرسول كتب الدعوة الى كسرى فارس . وهرقل امبراطور الدولة البيزنطية والنجاشي في الحبشة والمقوقس عظيم القبط في مصر والحارث الغساني . ولما لم يؤت هذه الدعوة نمارها اضطر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينفذ امر ربه وان يخرج بدعوته عالمياً .

لذلك خرجت القوات الإسلامية — بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى — الى ملاقاتة الدول العظمى فخرجت الجيوش الى الميدانيين الفارسي والرومي فبدأت بالعراق فظلت الدول الفارسية تنساقط حتى انتهى ملك كسرى ، واستولى المسلمون على جميع بلاده وممتلكاته ودانت الأرض لهم .

وفي ميدان الروم سقطت ولايات الشام ، ومصر وشمال افريقيا في حوزة المسلمين ؛ فبذلك تضعف ملك الروم ؛ وفتدوا أهم ولايات لهم في الشرق ؛ هذه الولايات التي كانت تعتبر المورد الاقتصادي الهام ؛ حيث كانت تدهم بالفلال والحبوب . خاصة القمح . كما أن بلاد الشام بالذات تمثل أهمية كبرى عندهم لأن بها كنيسة القيامة القائمة في القدس ؛ والتي شيدها القديسة هيلانة ام الامبراطور قنسطنطين الكبير في القرن الرابع الميلادي ؛ كما كان يوجد بها صليب الصلبوت وهو أهم اثر مسيحي

عندهم في الشرق . وكان المسيحيون يحجون الى القدس ويزورون كنيسة التيامة . فضياع القدس وتسلم المسلمين لها ، جعلت قضية الصراع بين الاسلام والمسيحية قضية سياسية وعقائدية فلذلك بدا الصراع يأخذ اشكالا ، خلفه بين الجانبين . كل منهما يحاول ان يخضع الآخر لنفوذه .

### الصراع بين الدولتين الاسلامية والبيزنطية :

تجاورت الحدود الاسلامية البيزنطية . بعد انتقال مركز الخلافة الاسلامية من المدينة المنورة الى دمشق في عصر الدولة الاموية . فكان لابد من حدوث صدام مستمر بين الجانبين ، فلم تتوقف الحملات التي كان يبعث بها الامويون محاولين اسقاط القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، خاصة في عهد معاوية بن ابي سفيان الذي كثرت في عهده النسواتي والصوائف التي اعدتها لحرارية البيزنطيين ، كما كثر المرابطون على الفخور الاسلامية ، وتلا عهد معاوية في الامة عصر سليمان بن عبد الملك الذي شهد المحاولة الكبرى لاسقاط القسطنطينية على يد اخيه مسلمة بن عبد الملك ٧١٧ - ٧١٨ م ، ولكن الفشل حاق بهذه الحملة كما حاق بسابقتها نتيجة سوء الاحوال الجوية وعدم تعود المسلمين على العيش في مثل هذه الظروف الطبيعية ، الى جانب التقدم الحربي البيزنطي واختراعهم للنار الاغريقية التي اتت على سفن المسلمين .

ولم يؤد سقوط الدولة الاموية في دمشق وانتقال العاصمة الاسلامية الى بغداد الى توقف عمليات الصراع بين الدولتين الاسلامية والبيزنطية فقد حاول البيزنطيون استقلال الظروف السياسية الموجودة في الدولة الاسلامية من سقوط الامويين ، واعتلاء العباسيين الخلافة ، فآخذوا يمدون نفوذهم في آسيا الصغرى وارمنيا ، ولكن العباسيين وجهوا نظرهم تجاه الدولة البيزنطية ، وبعثوا بحملات كان النصر فيها حليف المسلمين وقد تركزت الحملات في عهد الخليفة المهدي الذي وصلت الجيوش في عهده الى حدود القسطنطينية ، واوتعوا بالجيوش البيزنطية خسائر ماحقة تدرها المؤرخون بأربع وخمسين الف قتيل وخمسة آلاف اسير (١) .

(1) Finlay «History of The Byzantine Empire» pp. 140—117.

كما برز انصراف بين الدولتين في عهد هارون الرشيد الذي وصلت حملته الى آسيا الصغرى . واستولت على كثير من الثغور البرية على الحدود بين الدولتين . وكذلك في عهد المأمون الذي وافته منيته وهو متوجه على رأس حملة الى طرسوس (٢) . وفي عهد المعتمد خرجت حملة كبرى لتأديب البيزنطيين ، وتوجه في اعماق آسيا الصغرى فاستولى على انقرة ، وهرقل (٣) ، مما اضطر الامبراطور البيزنطي ثوفيلس ٨٢٩ — ٨٤٢ م الى الاستنجاد بملوك اوربا فاستغاث بدوج البندقة وملك الافرنج وبلامويين في الاندلس وحقق المعتمد على البيزنطيين نصرا عظيما في عمورية .

ولم تنقطع المناوشات بين المسلمين والبيزنطيين بعد المعتمد ، بل استمرت الغارات من الجانبين ، واستمر ضغط المسلمين على حدود الدولة البيزنطية متمثلا في غزوات دورية . وكانت هذه الغزوات عاملا على العناية بالثغور والأربطة حيث كان يربط المجاهدون في سبيل الله استعدادا للغزو ولدافعة الأعداء (٤) .

ثم حدثت جولة ثانية في الصراع مع الدولة البيزنطية في عهد بني حمدان امراء حلب ، وذلك منذ منتصف القرن العاشر الميلادي .

وبدا الخطر الحقيقي يحيق بالدولة البيزنطية على يد السلاجقة الذين أخذ فرع منهم يتوغل في آسيا الصغرى ويستوطن بها ومن ثم سسموا بسلاجقة الروم ، وكان من جراء هذا الخطر أن استنجد البيزنطيون بالصليبيين وكان ذلك من اسباب الحروب الصليبية .

ثم ظهر الاتراك العثمانيون على مسرح التاريخ فقتضوا على السلاجقة، واستولوا على القسطنطينية نفسها سنة ١٤٥٣ م ، وبذلك قضى نهائيا على الدولة البيزنطية .

(٢) ابن الاثير « الكامل » ج ٦ ص ٧٦ .

(٣) ابن الاثير « الكامل في التاريخ » ج ٦ ص ١٥٤ .

(٤) حسن الباشا « دراسات في تاريخ الدولة العباسية » ص ٩٥ .

### الحروب الصليبية :

تعزير الحروب الصليبية حلقة جديدة في سلسلة حلقات الصراع العقائدى بين الاسلام والمسيحية .

والحروب الصليبية هي تلك الحملات التي قام بها الغرب المسيحي على الشرق الاسلامي مستقرا بقناع الدين لاسترجاع الاراضي المقدسة وكنيسة القيامة ، راغبا في الحصول على خيرات الشرق والتحكم فيه ، بل هو محاولة مبكرة للفتنة الاستعمارية .

ويحدد المؤرخون الفترة من ١٠٩٥ - ١٢٩١ م تاريخا للحملات الصليبية ولكن الواقع كما ذكرنا ان الصراع الاسلامي المسيحي كان اقدم من ذلك بكثير . فما ذكرناه من الصراع مع البيزنطيين ومحاولتهم هدم الاسلام في الشرق ما هو الا حروب صليبية ، وما قام به الفرنجة في الغرب ضد مسلمي الاندلس خاصة شارل مارتل وشارلمان ، وما صورته انشودة رولان من صراع اسلامي مسيحي ووصف المسلمين بانهم كفرة ، وسوء تصسيير الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . كل ذلك يبين على ان هذه الحروب كانت ذات طابع صليبي ، الى جانب ما قام به بابوات الغرب وحكامه في القرنين التاسع والعاشر لصد الغارات الاسلامية على شسواطىء أوروبا (٥) .

والجزم في امر الجورود التي بذلها المسيحيون في حرب المسلمين هو انها اتسمت بالطابع الديني ، فدعا اليها رجال الدين ، وتعهدها البابوات برعايتهم مما جعل فكرة الحروب الصليبية تنشأ في اول امرها مرتبطة بمبدأ محاربة المسلمين ودفع خطرهم اينما كانوا (١) .

لذلك فان العلاقة الحربية بين الاسلام والمسيحية طوال هذه الفترة وسعت فجوة العداء بين المسلمين والمسيحيين ، وجعلتهم يعملون ما في

(5) Runciman. A, history of the Crusade. Vol I P. 88.

(٦) سعيد عاشور « أوروبا العصور الوسطى » ج ١ ص ٤٢٦ .

في وسعهم لنشر الفكر المسيحي وتشويه سمعة الاسلام والمسلمين في جميع  
دولناهم : خاصة الكتابات التاريخية .

والدليل على ذلك ان جميع مؤلفات هذه الفترة تصف المسلمين بانهم  
« الكفرة » « والسراسنة » وكانت تصفق بهم ابشع التهم واسوأ الفعال ،  
وكتب الحروب الصليبية كثيرة ومملوءة بهذه المعاني ، وهي تعبر عن حقد  
دغين بين الطرفين .

هذه هي طبيعة العلاقات بين الشرق والغرب في فترة الحروب  
الصليبية ، فهل من المعقول ان ننتظر ان تكون كتابات المستشرقين في هذه  
الفترة في صالح الاسلام ؟؟ فالحقيقة التي لا مفر منها ان هؤلاء الغربيين  
بدأوا ينفسون عن حقدهم في كل ما يكتبونه من مؤلفات .

وبدا حكام الغرب بعد هزيمتهم في الشرق يتلقفون أية ذكرة تستخدم  
اغراضهم للنيل من الشرق وزعزعته ، وقد ألفوا في عمل المستشرقين فرصة  
ذهبية لتحقيق ما فاتهم وضاع منهم في بلاد الشرق ، فأخذ الملوك يراعون  
نشاط المستشرقين ويمهدون أمامهم طريق دراسة الشرق والإحاطة بتراته  
العلمي على اختلاف أنواعه (٧) .

وقد ذكر الكونت فيليب دي طرازى في الجزء الثاني من خرائته « أن  
في مكتبة السير بلشان مخطوطة من كتاب « وفيات الاعيان » لابن خلكان على  
هامشها حاشية بقلم ابي النصر الخازن قنصل فرنسا في بيروت في منتصف  
القرن السابع عشر خلاصتها انه في سنة ١٦٧١ م أرسل عالي الجنس  
الملك لويس الرابع عشر رسلة الى جميع بلدان الاسلام لشراء المخطوطات  
الاسلامية « لا معنى له سوى الدراسة المفرضة ، وطعن الاسلام طعنة نافذة  
عن طريق عرضه في صورة مشوهة (٨) .

### الاستعمار الحديث :

تعاقبت على الدولة الاسلامية حكومات متعددة ، وظروف مختلفة  
أدت الى تخلف هذه الدولة ، والى جهودها واعادتها الى الورا هذا في

(٧) محمد الدسوقي « الاسلام والمستشرقون » ص ٢٣ .

(٨) منير البعلبكي « دفاع عن الاسلام » ص ٤٥ .



الوقت الذى استطاعت فيه أوروبا أن تنفض عن كاهلها جباله العصور الوسطى ، وعصر سيطرة الكنيسة الكاثوليكية والبابوية على عقنية الناس ، وبدأت تغترف من الحضارة الاسلامية ، وتعمق وتؤلف وتزيد وينتكر حتى وصلت الى مرحلة النهضة الاوربية العظمى التى شهدتها فى القسرين الخامس عشر .

وبعد أن وصلت أوروبا الى هذه المرحلة من النضج والاكتمال فى شتى المجالات بدأت النظر الى العالم الاسلامى الذى اصابته هذه النكسة السياسية والحضارية ، لتنفس عن حقدما القديم ، ولتعيد مرة اخرى سلسلة من مراحل الصراع بين الشرق والغرب بعد ان شعرت ان الظروف فى صالحها .

وقد بدأت المنافسة بين كل من إنجلترا وفرنسا وما وافى القرن التاسع عشر حتى اتسعت رقعة الامبراطورية البريطانية وبلغت حسدا لم يعرف لغيرها فى التاريخ ، وفيه أخذت كل من ألمانيا وإيطاليا ينصيب فى الاستعمار ولم انبها دخلنا هذا الميدان متأخرتين بالنسبة لظروفهما الخاصة .

وقد اختلطت الاهداف الكبرى من وراء تشجيع رجال الدين للسياسة الاجانب لاحتلال بلاد الشرق التى تحوى المقدسات الدينية ، معوضين الخسائر التى منى بها الغرب مرارا وتكرارا فى اعتدائه على الشرق خاصة فى فترة الحروب الصليبية . لذلك وحدت أهداف اخرى لاستعمار الغرب للشرق أهمها ايجاد اقاليم جديدة تصلح لسكنى عدد وغير من السكان الزائدين عن حاجة البلاد الأصلية ، ثم فتح أسواق جديدة متعددة لتصريف البضائع المتراكمة الناشئة عن التقدم الصناعى فى هذا العصر ، وكذلك اعداد مراكز لاستخراج المواد الأولية التى تحتاج اليها البلاد الصناعية ثم الغية من الاستلاء على جهات معينة بقصد تأمين طرق المواصلات كاحتلال إنجلترا لمصر . هذا الى أن كثرة الاستكشافات فى أفريقيا وآسيا واسترالبا فى هذا العصر نبهت دول أوروبا الى هذه الجهات المجهولة واستنفزت أطماعها لوضع يدها عليها ولا سيما أن فكرة تكوين امبراطوريات واسعة كانت قد تملك عقول معظم كبار السياسيين فى القرن الماضى (٩) .

(٩) محمد عبد الرحيم مصطفى « تاريخ مصر الحديث » ص ٢٠٩

وقد انتبهز الاستثمار الاوربي غرسة تواجده بين ظهراتى الشعب الاسلامى وبدا يعمل على نشر حضارته العلمية والمملىة فى بلدان الاسلام، مما جذب اهل هذه البلاد وجعلهم يتهافتون على هذه الحضارة متغافلين عما تحمله فى طبيعتها من سموم .

واكثر الغربيون من انشاء المدارس التبشيرية والمكتبات واصدار الدوريات التى تعبر عن آرائهم وتذيع افكارهم ، وكانوا يراعون فيها ساسا جمال الاخراج وجودة الطباعة لتجذب الأنظار وتستوعى الانتباه ، وقد اصبح لهذه الدوريات مكانتها الملحوظة ، واثرها البارز فى عالم التربية والثقافة، ولم يقتصر نشاطهم على اصدار الدوريات ، بل قاموا بكتابة الأبحاث المعديدة فى كل ما يتصل بالشرق ، وينزلوا فى هذه الأبحاث الجهد والمال والوقت وكل همهم صرف انظار المسلمين عن تراثهم والاتجاه نحو هذه الدراسات والاعتماد عليها فى معرفة تاريخ المسلمين وعقائدهم حتى تنسلخ بمضى الزمن تاريخيا وعقائديا وتصبح غداً روحاً وفكراً (١٠) .

هذه هى طبيعة العلاقات بين الشرق والغرب ، العلاقات التى كان الدين دائماً ، فى العصور الوسطى ، هو محركها ، ولكن بعد ان اصطبغ الشرق والغرب بصبغة المدينة الحديثة بدأوا يبعدون عن هذا السدق وبدا يميز العلاقات بينهما فيما بعد علاقات من نوع جديد فيها مصالح مشتركة للطرفين .

- والمعروف ان الغرب الذى كان يسيطر عليه فى العصور الوسطى افكار الكنيسة فقط ورجال الدين ولم يميز ثقافتهم غير هذا الفكر اللاهوتى، بدا يحثك بالشرق عبر سبل ومعايير معينة نقلت حضارة الشرق الى الغرب، مما ادى الى اهتمام الغرب بدراسة علوم الشرق وآدابه وفنونه وساعد على نشأة حركة الاستشراق .

لذلك نرى ان معابر الحضارة هذه هى السبب الاول فى ظهور حركة الاستشراق وهذه المعابر هى الاندلس ، صقلية ، بلاد الشام وقت الحروب الصليبية .

(١٠) محمد الدسوقي « الاسلام والمستشرقون » ص ٣٤ .

## ١ — بلاد الأندلس :

بلاد الأندلس أهم معبر للحضارة الإسلامية الى الغرب ، فبعد أن تم للعرب فتحها سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م ظلوا قائمين فيها واصحاب سيادة عليها حتى تم سقوط دولة بنى الأحمر العربية الخزرجية في غرناطة ٨٩٧ هـ ١٤٩٢ م أي بعد نحو ثمانية قرون .

وقد راقبت للعرب الإقامة بالأندلس وظنوا انفسهم خالدين فيها . فغنموا في اتقان دورهم وتنسيق حدائقهم ، وشيد الامراء والخلفاء مناسك المساجد والتصور والابراج والحمائم والحدائق ، وادخلوا الى الأندلس الأساليب الزراعية التي عرفوها في الشرق ، وجاعوها بأشجار وانحراس ازاهير من دمشق ومصر وافريقيا والهند وعنوا بالصناعات على اختلاف انواعها . حتى اذا تم لهم بناء الأندلس السياسي والاقتصادي والاجتماعي سعوا الى التشبه بالعباسيين في ارساء ملكهم على أسس من الفنون والآداب والعلوم ، فأسسوا المدارس وحبسوا الأموال عليها وخرجوا في طلب الكتب الى الشرق وملأوا مكتباتهم الخاصة منها ، ما خلا خزائن بعض المساجد (١١) .

ووقد على قرطبة ثم على غيرها من حواضر الأندلس اهل الفن والآداب والعلم من الشرق والغرب وعنوا بتفاصيلها تفسيراً واقتباساً وتصنيفاً ، واختلفوا الى مجامع كمجامع اليوم للجدل والمناظرة .

يقول البارو القرطبي في كتابه الدليل المنير : « واقتبل اهل مالقة على مصنفات المسلمين في الآداب والفقه والفلسفة تتقيفاً بتقافتها لا للرد عليها ، ويذلوا أموالاً طائلة في تأسيس مكتباتها ، وينطبق قوله على المستعربين في الأندلس شاطبة ، الذين جروا على عادات المسلمين في نظام الحريم وختن الأولاد واتقان العربية واستعمال حروفها لكتابة اللاتينية . ثم على الخاصة النصارى وقد آثروا أسماء العرب ولغتهم وثقافتهم ، وفي طليعة هؤلاء رجال الذين فاختلّفوا الى مدارس المسلمين ومجامعهم ومكتباتهم ، ثم قبعوا في أديارهم ينقحون ذلك التراث ويترجمونه ، ويفسرونه ويعتقون فيه ويتبعونه بين الرهبان وطلاب العلم ، فينتشر انتشاراً سريعاً بفضل

(١١) نجيب العتيقي « المستشرقون » ج ١ ص ٨٨ .  
( م ٢ — الاستشراق )

مدارسهم في اديار اريبول حيث تعلم الاب جرير وترجم الى اللاتينية من مخطوطات مكتبتها المصنفات الرياضية والفلكية كالزيج المنصوري - وسان كوجات ، وسان ميليان وثيلانوا ، وسائر مدارس المستعربين في قرطبة (١٢) .

ومنذ القرن العاشر حملت الكاندرانيات العبد الاكبر عن الاديار فذاقت شهرة مدارس : اوبدو ، وليون ، وبيك ، وخيرون ، وبرشلونة ، وسانتياجو دي كويوستيلا ، وقامت مثيلات لها في باريس وشارتر وأورليان وتور ولان وريمس وفي كبرى مدن ايطاليا وانجلترا وبلجيكا وغيرها ، ثم انشأ الرهبان الفرنسيون دير سكا ١٢٢١ م وعلم العربية فيه الاب روبرك ومدرسة ميرامار ١٢٧٦ م فأشرف عليها رايوند ولوليو خلال عشر سنوات وتعلم فيها العربية احد عشر راهبا . وقد عاون لوليو رايوند ومارتيني الدومينيكي وأستأنف نشاطه دي ليرا الفرانسيسكاني في القرن الرابع عشر وقرر مجمع طليطلة سنة ١٢٥٠ م الاتفاق على ثمانية من الرهبان الدومينيكيين على رأسهم رايوند ومارتيني خلا نفر من زملائهم أرسلوا الى باريس لتعلم اليونانية والعربية والعبرية فيها سنة ١٢٥٥ م ثم كفهم مجمع بلنسيه ١٢٥٩ م تأسيس مدرسة للعربية والعبرية في تطالونيا سنة ١٢٦١ م وقد صنف اقدمهم غلبوم الطرابلسي كتابا عن الاسلام .

وانتشرت مدارس الرهبان العربية في اشبيلية سنة ١٢٥٠ م وميورقة سنة ١٢٥٥ وبرشلونة سنة ١٢٥٩ وبلنسيه سنة ١٢٨١ م ، وجاتيكا سنة ١٢٩١ ، وقد تطور بعض مدارس الكاندرانيات الى جامعات ونالت على غرارها حقا العلوم في مساعدة البوابات والملوك .

وقد ظلت طليطلة طوال قرنين ملتقى طلاب العلم من انجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا يقدون عليها وينهلون من الثقافة العربية فيها ثم يرجعون الى بلدانهم فيذيعونها بين أهلها (١٣) .

وله يقف رجال الدين والمثقفون عند الترجمة من العربية ، بل نقلوا

(١٢) نجيب المتقي « المستشرقون » ج ١ ص ٩٨ .

(١٣) المرجع السابق .

النهار وكتبوا وكتبوا وصفوا فيها . كما ترجمت عن العربية بعض مؤلفات اليونانيين مثل كتب جالينوس وبقرات و أفلاطون وأرسطو وأقليدس وغيرهم . وقد وجد من حكام اسبانيا المسيحيين من تدروا الثقافة العربية الاسلامية ومن هؤلاء الفونس الخامس ملك قشتالة وليون ( ١٢٥٢ — ١٢٨٤ م ) الملقب بالحكيم (١٤) فقد قام بإنشاء معهد للدراسات العليا في مرسية ، واختار له اعلام المسلمين والنصارى واليهود ثم نقله الى اشبيلية والحق به مجمعا علميا لمزج الحضارتين الاسلامية والمسيحية في حضارة اسبانية موحدة ، كما حافظ على طابع طليطلة في مركزها الثقافي العالي ، وجمع حوله العلماء وعهد اليهم بالترجمة والتصنيف وكان يشرف بنفسه على التوجيه والتحرير والتلخيص ، فترجم الى الاسبانية الانجيل والقرآن والتلمود والقبالة وسر الاسرار المنحول لأرسطو ثم كتاب كلية ودمنة .

وعبرت الثقافة العربية بفضل الرهبان ولا سيما الملتحقين بنهر كلوني واللاجئين الى فرنسا — جبال البرانس والألب الى فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا ثم استقرت في أشهر مراكزها .

## ٢ — صقلية وجنوب إيطاليا :

دخلت صقلية تحت حكم المسلمين بعد أن تمكن الاغالبية من الاستيلاء عليها سنة ٢٦١ هـ .

وقد تتابع الحكم الاسلامي على صقلية واستقرت الأوضاع فيها في القرن التاسع الميلادي ، لذلك بدأت هذه الجزيرة تحتل دورا هاما في الحضارة الاسلامية ، وأصبحت من أهم المراكز الحضارية الى أوروبا .

ولعل موقع صقلية جنوب إيطاليا قد جعلها قبلة للايطاليين ، ومركزا للدراسات اللاتينية واليونانية القديمة ، فكانت مكتباتها تحتوي على عدد ضخم من الكتب والمخطوطات القديمة . الى جانب انتشار الاسلام والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي واطراد العلاقات بين مدارس صقلية و مدارس العالم الاسلامي الأخرى ، ثم التلاحم بين التقاليد العربية والتقاليد

---

(١٤) سعيد عاشور « النهضة الأوربية » ص ٢٢٩ .

الأغريقية الجديدة التي ازدهرت في عهد البيزنطيين وكانت لا تزال قوية بشرق صقلية .

وكانت لصقلية صلات علمية وثيقة بالقيروان والأندلس والقاهرة ، ثم استقلت المدرسة الصقلية ، وكانت بلرم هي الحاضرة الثقافية أكثر البلاد امتلاءً بالمساجد والمدارس ، وقد كثر المعلمون حتى كان منهم في بلرم ما لا يقل عن ثلاثمائة .

وقد ظلت صقلية قلعة للحضارة الإسلامية طوال العصر الإسلامي ، وظل الحال كذلك بعد سقوطها في يد النورمان سنة ٤٤٤ هـ .

عندما أدخل النورمان صقلية وجدوها قلعة ثقافية وحضارية متقدمة في جميع المجالات الزراعية والصناعية والتجارية ، لذلك فقد كان ملوك النورمان على درجة كبيرة من الوعي ، فلم يسيئوا إلى هذه الحضارة ، ولم يقتنوا أمام تطورها بل أصبحوا هم عاملاً مساعداً على الاهتمام بالعلماء والأدباء ورجال الفكر ، وجعلوا من تصور أمارتهم كعبية يقصدها كل طالب علم .

وقد برز من ملوك النورمان ، الذين يعتبرون أول ملوك علمانيين في أوروبا ، شجعوا على حركة الاستشراف بعيداً عن العامل الديني ، وكانت تحذوهم الرغبة العلمية الحقيقية والحب لكل ما هو شرقي برز منهم روجر الأول (١٠٦١ - ١١٠١م) الذي شمل العرب بعنايته، وأحسن المحافظة عليهم وحميتهم ، بل كتب مراسيمه بالعربية إلى جانب اللاتينية واليونانية ، كما أن بعض نقوده اشتمل على رمز الإسلام والبعض الآخر علم شمس المسبحة (١٥) .

وبرز كذلك روجر الثاني الذي لقب بملك الصقليتين ١١٢٠ - ١١٥٤م الذي ارتدى ملابس شيوخ المسلمين وكتب على حلة التتويج عبارة بالخط الكوفي والتاريخ الهجري ( ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م ) وشيّد المباني على الطراز

(١٥) سعيد عاشور « النهضة الأوربية » ص ٣٢٦ .

العربي ، وعاون على تأسيس مدرسة الطب في سالونو ، وترك للمغرب واليهود حريتهم الدينية والثقافية(١٦) .

أما أشهر شخصية في التاريخ الصقلي فهي شخصية الإمبراطور فردريك الثاني الذي اشتهر اسمه في التاريخ كقائد للحملة الصليبية السادسة التي توجهت الى بلاد الشام .

كان فردريك الثاني مولعا بالثقافة الشرقية لأنه تربى في كنفها، وانماض المؤرخون في وصفهم لحب فردريك للمسلمين واعجابه بحضارتهم وعلومهم وتقريبه لهم واستخدامهم في حاشيته حتى ان المؤذنين المسلمين كانوا يؤذنون للصلاة لسكل فرض في معسكره (١٧) .

كذلك ذكر المقرئزي أن فردريك كان « عالما متبحرا في علم الهندسة والحساب والرياضيات »(١٨) . والمعروف تاريخيا ان هناك صدائة توية قامت بين سلطان مصر الايوبي الملك الكامل ، وبين الإمبراطور فردريك لشدة توافق طباعهما ، مما دفع بمض الكتاب الى اتهام فردريك الثاني بمخالفة الاسلام على حساب المسيحية(١٩) . لذلك فان رعاية ملوك النورمان للحضارة الاسلامية وللعلوم الاسلامية ادى الى زيادة الاهتمام بالاستشراق وعلوم الشرق واصبحت صقلية بذلك اهم مراكز الاستشراق في المغرب الأوربي .

### ٣ — بلاد الشام زمن الحروب الصليبية :

تأتي بلاد الشام زمن الحروب الصليبية في الاهمية الثالثة بعد الاندلس وصقلية كمعبر من معابر الحضارة الاسلامية الى الغرب ، وكمؤثر في نشأة حركة الاستشراق في أوروبا .

ولا بد لنا من توضيح وجهة نظرنا هذه في ضوء الحقائق التاريخية .

- 
- (١٦) نجيب العقيتي « المستشرقون » ج ١ ص ١٠٨ .  
(١٧) سعيد عاشور « الحركة الصليبية » ج ٢ ص ٩٩٦ .  
(١٨) المقرئزي « السلوك » ج ١ ص ٢٣٢ .  
(١٩) سعيد عاشور « الحركة الصليبية » ج ٢ ص ٩٩٦ .

المعروف أن العلاقة بين الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية كانت عدائية مطلقة ، فالغرب يخطط عسكريا لغزو الشرق والاستيلاء على المنساطق المقدسة ، وأحراز انتصارات عسكرية ، وكسب أراضى جديدة ومستعمرات ، لذلك فقد نقل الى الشرق جميع الدبلوماسية العسكرية الغربية وفنون القتال المختلفة ، وما شاع فى الغرب من بناء الحصون والقلاع والابراج ، وبدأ يأخذ من الشرق فنون الاستحكامات والخطط الحربية ، وبناء المسلسل والمخاضات .

وليس معنى كلامنا هذا أن التبادل الثقافى بين الطرفين انعدم فى فترة الحروب الصليبية ، ولكن المعروف أن هذه الحروب كان يتخللها فترات هدن طويلة فخلال هذه الفترات كان الطرفان يعيشون فى سلام مع بعضهم البعض الى درجة أن بعض الفرسان الصليبيين قامت بينهم وبين الفرسان المسلمين علاقات مودة وصداقة مثلما حدث مع الأمير أسامة بن منقذ من تلمعة شيزر وبين فرسان الصليبيين ، وقد دون أسامة بن منقذ فى كتابه « الاعتبار » وصفا مفصلا لأخلاق الصليبيين وعاداتهم ووصفهم « بأنهم بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير » (٢٠) .

وقد أخذ الصليبيون عن أهل الشرق نظما زراعية كثيرة متقدمة فنقلوا الى أوطانهم نباتات وحاصلات وأشجارا جديدة لم يعرفوها من قبل كالسمسم والخروب والذرة والأرز والليمون والثوم (٢١) . وفى مجال الصناعة نقلوا صناعة الزجاج عن أهل صور حتى أن الانتاج الصناعى الأوروبى ظهر بعد ذلك وعليه المؤثرات والتعبيرات الإسلامية (٢٢) ، وقد تعلم الغرب من الشرق طريقة الرسم بالحفر مما كان له أكبر الأثر فى التطور العظيم الذى حدث فى عصر النهضة الأوربية كما تعلموا كثيرا من صناعة المنسوجات مثل صناعة الحرير والسكتان الذى اشتهرت به بلاد الشام (٢٢) .

- 
- (٢٠) أسامة بن منقذ « الاعتبار » ص ١٣٢ .  
(٢١) باركر « الحروب الصليبية » ص ١١٧ ،  
فيليب حتى « تاريخ العرب » ص ٢٠٤ .  
(٢٢) كريستى « تراث الإسلام » ص ٤٧ .  
(٢٣) جورج يعقوب « أثر الشرق فى الغرب » ص ٦٢ .



واخذ الغرب عن الشرق صناعة السكر من القصب ، وصناعة الجلود  
والسروج وصناعة البسط والأثاث والصناعات المعدنية الراقية ، وصناعة  
الورق وتجليد الكتب والتصوير الاسلامي (٢٤) .

ومن الملاحظ ان الصليبيين قد تزواوا بآريتهم المسلمين من عمامه وقطنان  
وشادوا بيوتهم على غرارهم ، واكلوا التوابل والسكر مثلهم ، واتخذوا  
البواشق والخيول وكراب الصيد لقتلهم ، ونقلوا عنهم اصطناع النشاب  
المصلية وتقلدوا الدروع والجببة العسكرية ثمشارت الفرسان والايوسمة ،  
والطنبور في الموسيقى العسكرية ، والحمام الزاجل لنقل اخبارهم واشعال  
النار احتفالا بالظفر ، وحفلات السيف ورمي الجريد ، واضافوا في المعمار  
الطراز الشامى البيزنطى الى النمط القوطى ، اى الشرقى المحور في بناء  
اديارهم وكنائسهم وقصورهم وفنادقهم وحماماتهم واثنوها بالرياش  
الشرقى (٢٥) .

اما عن المجال الثقافى فقد تعلم الصليبيون عن المسلمين اللغة العربية،  
واستعملوها لغة للتخاطب اليومي ، وحملوا معهم الى الغرب الكتب الملكى  
فى الطب لعلى بن عباس الذى نقله اسطفان الانطاكى وهو من بيزا سنة  
١١٢٧م وترجمته اصدق من ترجمة قنسطنطين الامريقى ، واضاف اليه كشافا  
يونانيا عربيا لاتينيا للمصطلحات التى استعملها ديوستوريدس ، البندقيه  
١٤٩٢ وليون سنة ١٥٢٣ م ) وقصة كأس العشاء السرى ، وكليلة ودمنة،  
وثائر شوسر بالف ليلة وليلة ويوكاتشيوا بالخطابات الشرقية فى كتابه  
ديكارون وعثر فيليب الطرابلسى فى انطاكية سنة ١٢٤٧ م على مخطوط  
سر الاسرار بالعربية المنسوب خطأ الى ارسطو فترجمه الى اللاتينية فأضحى  
اكثر المقولات تداولاً فى العصر الوسيط (٢٦) .

وثمة نقطة هامة تفيدنا فى الدور الذى قامت به البابوية فى الغرب  
لنشر المسيحية بالطرق التبشيرية المختلفة ، بعد ان اميتها الوسائل الحربية

(٢٤) فيليب جتى « تاريخ العرب » ص ٢٠٤ .

(٢٥) نجيب العقيدى « المستشرقون » ج ١ ص ١٢٧ .

(٢٦) المرجع السابق ص ١٣٩ .

في هذا السبيل . لذلك فقد كان من نتائج الحروب الصليبية أن قامت  
البابوية بإرسال البعثات البعثية لنتشر مبادئ المسيحية بين المسلمين  
وتنفيذ سياستها عن طريق الاقتناع بعد أن رأيت الجهود والتضحيات التي  
بفلتها في الحروب الصليبية . وكيف أنها ضحت بالأموال دون أن تحصل  
على نتيجة واضحة . وكان أن بدأت جهود المبشرين للتبشير بالمسيحية بين  
المسلمين فوصل القديس فرانسيس إلى مصر سنة ١٢١٩ م . وقدم  
مواظبه الدينية في حضرة السلطان الكامل ، ثم استمر أتباع ذلك القديس  
— فضلا عن أتباع القديس دمزيك — يواصلون جهودهم في النصف الأول  
من القرن الثالث عشر مؤملين أن ينجحوا في نشر المسيحية بين المسلمين عن  
طريق الاقتناع . واتخذت هذه الحركة التبشيرية اتجاها جديدا عندما فكر  
لوييس التاسع ملك فرنسا في نشر المسيحية بين المغول جميعا . كذلك  
أشار لوييس التاسع على البابا انوسنت الرابع بإنشاء جمعية التبشير  
الأولى سنة ١٢٥٣ م وهي الجمعية التي ضمت عددا كبيرا من المبشرين  
الفرانسيكان والدومينكان . على أن أعظم شخصية في هذه الحركة  
التبشيرية في القرن الثالث عشر كانت شخصية أريمووند لسول  
Raymond Lul وهو أسباني كرس حياته لخدمة التبشير بالمسيحية بين  
المسلمين بالذات . فأتبع ملك ميورقة بإنشاء كلية الثالوث المقدس في سنة  
١٢٧٦ م وهناك أخذ يعد مجموعة من المبشرين للقيام بمهمتهم ، وأهم وسائل  
هذا الإعداد كانت تعليمهم اللغة العربية . وبعد أن قضى ريموند عشر  
سنوات في إعداد أعوانه أوغدهم إلى شمال أفريقيا فضلا عن بلاد المغول  
والأرمين للتبشير بالمسيحية الكاثوليكية . ويفضل جهوده قرر مجمع فينسا  
سنة ١٣١١ م إنشاء ستة معاهد لتدريس اللغات الشرقية في أوروبا ، وذلك  
لأنه لا يمكن للمبشر أن ينجح نجاحا مضمونا إلا إذا عرف لغة القوم الذين  
يبشر برسالته بينهم .

ومهما يكن من أمر ، فإن اتساع حركة التبشير بالمسيحية بين الشعوب  
غير الأوروبية جاءت من نتائج الحروب الصليبية ، وإذا كانت هذه الحركة لم  
تحرز نجاحا بين المسلمين وغيرهم من الشعوب في منطقة الشرق الأدنى

فانها استمرت حتى احرزت بعض النجاح فيما بعد في شرق آسيا وبخاصة .  
بين البوذيين (٢٧) .

واذا كانت هذه المعابر الحضارية قد اسهمت في ازدياد معرفة الغرب  
بالشرق . واهتمامه بثقافته ولغاته فان هناك جهات اخرى بدأت تهتم بالشرق  
وعلمه وديانته محاولة ان تدرس كل ما يخص هذه المنطقة من العالم: وتؤلف  
المؤلفات التي تهدم هذا العالم وتدمره ، وان تسمى جاهدة للنيل من الدين  
انحيف الذي ذاع وانتشر الا وهى البابوية التي تعتبر السلطة الدينية  
المسيحية الكاثوليكية في الغرب . ومقرها في الفاتيكان بايطاليا .

### (١) البسبوية :

حاولت البابوية ان تتخذ من التبشير بالديانة المسيحية غاية قصوى لها  
وان تعكف على دراسة علوم الشرق وديانته وفنونه وآدابه لتحاربهم  
بسلاحهم . فبدأ الببوات والرهبان والاساقفة في الاهتمام بالاستشراق ،  
فنظموه واتصلوا بالملوك والأمراء ليساندوهم في حركتهم هذه .

بدأ رجال الدين حركة الاستشراق بدراسة اللغة العربية ثم اليونانية  
لتخريج أهل جدل يثارعون الفقهاء والمسلمين واليهود ويردون عليهم  
ببراهين من كتبهم أنفسهم في البلاد التي اجلاهم الاسلام عنها ويلسغ اوريا  
منها فمقصد الفرنسيكانيون المغرب ١٢٢٠ م ، وانطلق الدومنيكانيون سنة  
١٢٥٢ م الى بلغاريا ورومانيا والشرق (٢٨) .

فبذلك أصبحت العربية أهم وسيلة في عملية الاستشراق ، فبدأوا  
بعلمونها في مدارس اسبانيا وأديرتها وكاتدرائياتها وجامعاتها ، واستنساوا  
مدارس للغات الشرقية في عواصم بلدانهم وخصصوا كراسي مستقلة في  
كبرى الجامعات لهذا التخصص ، حتى اننا نرى البابا سلفستر الثاني  
( ت ١٠٣٣ ) الفرنسي كان قد حصل على ثقافته العليا في اسبانيا على  
أيدى العلماء المسلمين فقد أمر بإنشاء ثلاث مدارس لتعليم اللغة العربية

(٢٧) سعيد عاشور « الحركة الصليبية » ج ٢ ص ١٢٧٨ .

(٢٨) نجيب المقيى « المستشرقون » ج ١ ص ١١٤ .

في روما وريمس وشارتر ، ولحماس هذا البابا وأهميته في تنشيط حركة الترجمة من العربية الى اللاتينية وفي تنظيم وسائلها جعل بعض مؤرخي الغرب عهده بداية لحركة الترجمة في أوروبا .

توسعت البابوية في انشاء الكراسي والمدارس والمكتبات والمطابع والجلات في ايطاليا وعاون على مثلها في الغرب والشرق وعلى ترجمة التراث الانساني عن العربية ثم عن اليونانية واللغات الشرقية والاستعانة بمن يجيدها من النصارى والمسلمين واليهود على نقله نقلا حرفيا ، ثم يعمد رجال دين الى صياغته في اسلوب لاتيني مبين . ولم يكتفوا بتلك المتقولات فانشأ دون رايموندو الاول رئيس اساقفة طليطلة مكتب المترجمين في طليطلة ١١٣٠ م واشرف ميخائيل سكوت على مكتب الترجمة الذي انشأه فردريك الثاني في صقلية ( ١٢٢٠ - ١٢٣٦ م ) وانقادوا من مكتب الفونسو الحكيم ( ١٢٥٢ - ١٢٨٤ م ) والمصنفات التي امر الملوك والأمراء بنقلها او نهض العلماء بها ونشروا جميع ذلك في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم ومنها انتقلت الى مثيلاتها في أوروبا (٢٩) .

وبدأت ترجمة كتب العرب في الفلسفة والطب والكيمياء والصيدلة والعلوم الدينية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والفلك والموسيقى وغيرها من العلوم الشرقية المزدهرة ، ثم بدأوا في انشاء المطابع التابعة للرهبان . من اهم الرهبان الذين ساهموا في حركات الترجمة لمعت أسماء كان لها أهمية كبرى في نشأة الاستشراق في الغرب وفي الترجمة عن العربية ونقل تراث الشرق الى الغرب نخص منهم :

#### ١ - جرير دي أوليك : ٩٣٨ - ١٠٠٣ م (٣٠)

راهب دومينيكي فرنسي ، تصد الأندلس فيمن تصدها طلبا للمعلم ، فأخذ من علمائها في مدارس اشبيلية وقورطبة ، ثم رحل الى روما سنة ٩٦٩م وانتخب حبرا أعظم ، وبعد انتخابه امر بانشاء مدرستين عربيتين الاولى في ايطاليا وهي مقره الديني ، والثانية في ريمس بفرنسا وهي موطنه .

(٢٩) نجيب العتيقي « المستشرقون » ج ١ ص ١١٦ .

(٣٠) المرجع السابق ص ١٢٠ .

٢ — **شمطنطين الأفريقى** : ١٠٨٧ م (٣١)

الراهب الأفريقى الذى ترجم كتب الطب والفلك من العربية الى اللاتينية عن اسحق بن عمران ، وكتاب العلاج العام لاسحق الاسرائيلى والكتاب الملكى لعلى بن عباس وبعض رسائل الرازى .

٣ — **بطرس المكرم** : ١٠٩٤ — ١١٥٦ م (٣٢)

اعتنق الحياة الرهبانية ، وكان كثير الاطلاع ، عين سنة ١١٢٣ م رئيسا لدير كلونى ، ثم قصد الاتدلس وتثقف بثقافتها ، ثم عاد الى ديره يصنف الكتب فى الرد على الاسلام وشجب اليهود ، ويقال انه ترجم القرآن الكريم .

٤ — **ادلارد البائى** : ١٠٧٠—١١٣٥ م (٣٣)

راهب بندكتى جمع معارف فى علوم الطبيعة والفلك والرياضيات ، وتضلع فى ثقافة العرب ، وترجم كتبهم فى مختلف التخصصات وآمن بمذهبهم فى العلم .

٥ — **روبرت الشسترى** : ١١٤١ — ١١٤٨ م (٣٤)

راهب بندكتى تثقف بالثقافة العربية لاسيما العلوم الرياضية والفلكية منها وقد ترجم اول ترجمة للقرآن استعان فيها باثنين من العرب نشرها ببيلباتدر فى ثلاثة أجزاء . وترجم فى الجبر والمقابلة للخوارزمى والكيمياء والفلك الذين يعتبران فاتحة العلوم المنظمة فى اوروبا .

٦ — **جيرارد الكريمونى** : ١١١٤—١١٨٧ م (٣٥)

راهب بندكتى تعلم العربية فى طليطلة — ترجم مالا يقل عن ٨٧ مصنفا فى الفلسفة والطب والرياضيات والفلك وضرب الرمل ، فقدت معظم

---

(٣١) المرجع السابق ص ١٢١ .

(٣٢) العقيقى : المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٣٣) المرجع السابق ص ١٢١ .

(٣٤) المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٣٥) المرجع السابق ص ١٢٦ .

اصولها العربية وسلمت ترجماتها اللاتينية مهدت مع مثيلاتها الى انتشار العلوم في اوروبا وتوثيق صلتها بالشرق .

هؤلاء بعض اعلام المستشرقين الذين كانوا ثمره من ثمرات الحركة التي قادتها البابوية في الفاتيكان لدراسة الاستشراق وترجمة العلوم العربية الاسلامية الى اللاتينية ، ثم التأليف محاولين بذلك ضرب الاسلام والرد عليه بمؤلفات مضادة .

#### (ب) السفراء :

كثرت السفارات بين دول الشرق والغرب في فترات السلم ففري العباسيون والفرنسيون يتبادلون السفارات والهدايا سنة ٧٩٧-٨٠٦ م ووافق هارون الرشيد على جعل حماية القدس في يد شارلمان سنة ٨٠٧م فأرسل احد بطاركتها مفاتيحها اليه(٣٦) .

وقام عبد الرحمن الثاني بإرسال سفارات الى ملك النيسورمان والدانمارك سنة ٩٤٥ م وأوفد عبد الرحمن الناصر السفارات الى القسطنطينية سنة ٩٥٠ م وأوفد أسقف قرطبة ريسيموندو المشهور عند العرب برييع بن زيد الى اوتو امراطور المانيا واحتفى بسفيره الأسقف جرتر سنة ٩٥٣ م فمضى في قرطبة ثلاث سنوات تعلم خلالها العربية ورجع منها بالمخطوطات النفيسة ووقد على بلاط الخليفة سفراء بيزنطة و المانيا و ايطاليا وفرنسا(٣٧) .

ثم بدأ التطور التاريخي في مجال العلاقات الخارجية بأن بدأت الدول الشرقية والغربية تعمل على ارسال سفراء لها مقيمون في البلدان الأخرى، فأرسلت اوريا سفراء لها في الشرق فاعتبسوا عادات الشرقيين، فمنهم من استشرق الى ابعد من ذلك واعتنق الاسلام ونال اخطر المناصب .

واقترنت سياسة اقامة اوريا سفراء لها في الشرق ان تستبدل بهم

---

(٣٦) حسن الباشا « دراسات في تاريخ الدولة العباسية » ص ٢٩ .

(٣٧) ابن عذارى « البيان المغرب عن تاريخ المغرب » ج ٢ ص ٢٢٩ .

سفرء الشرق فى عواصمها فكان لكل من تركيا وسيام وغارس والهند  
سسفر .

اما السفرء وملحقوهم الذين تخرجوا من مدارس اللغات الشرقية  
ويعتوا الى الشرق واقاموا فيه ، فقد حققوا ما كتبوه فى مواضعه وعاونوا  
على جمع مخطوطاته وتعليم لغاته وانشاء المطابع لنشر مصنفاته فكانوا نواة  
طبية للاستشراق العلمائى (٣٨) .

(ج) الحملة الفرنسية واثرها على حركة الاستشراق :

تعرضت مصر للحملة الفرنسية من سنة ١٧٩٧ — ١٨٠١ م ، ولا شك  
ان هذه الحملة ما هى الا استكمالا لتفضية الصراع بين العالين الشرقى  
والغربى الى جانب الاسباب المباشرة والشخصية التى حدثت بنابليون  
بونابرت الى توجيهها ضد مصر .

وبهنا من هذه الحملة انه كان لها تأثير كبير على تطور حركة  
الاستشراق والاهتمام به .

فتد سحب نابليون فى حملته بعثة علمية توامها علماء اعلام فى كل  
ضرب من ضروب الثقافة فى ذلك العصر ، منهم الاثريون والمهندسون  
والاطباء والمؤرخون والمستشرقون والمترجمون اللبسانيون والمصريون  
والسوريون ، كما انه عمل على ان يهيء اسباب الاتامة والاطمئنان  
للفرنسيين ، قرأى وجوب درس طبيعة البلاد واهلها وتاريخها ، وانظمتها  
حتى يكون العمل ممكنا ومثمرا ، ولهذا اصدر امرا بانشاء « المجمع العلمى  
المصرى » وكان ذلك فى ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٨ ، وتسم المجمع فى اول  
امره اربعة اقسام : قسم الاقتصاد السياسى ، وقسم الآداب ، وقسم  
الفنون ثم تسم الرياضيات والطبعة ، على ان تطبع اعمال المجمع كل  
ثلاثة اشهر ، وعين مونتج كمر الرياضيين رئيسا له ، وجعل نفسه وكلا ،  
وبدا العلماء اعمالهم بالفعل ليهيئوا جوا صالحا لنجاح الحالة الجديدة (٣٩) .

(٣٨) العثيقى « المستشرقون » ج ١ — ص ١٤٢ .

(٣٩) محمد عبد الرحيم مصطفى « تاريخ مصر الحديث » ص ٣٠ .

وقد امر نابليون كذلك بتأسيس مطبعة عربية — كان قد استصفهاها من الفاتيكان — لطبع الكتب والتصريحات والبلاغات والمشورات . ونشرت بعثته بحوث علمتها ورسوماتهم وخرائطهم في كتاب « وصف مصر » سنة ١٨٠٩ — ١٨١٣ م ثم حل شميليون رموز الكتابة الهيروغليفية بترجمة حجر رشيد (٤٠) .

وبذلك نرى ان حملة نابليون بونابرت على مصر تعتبر من اهم الاسباب التي انت الى زيادة الرغبة في الاستشراق في الغرب والى الاهتمام بعلوم الشرق وفتحت السبيل امام الباحثين هناك لياتوا الى البلاد العربية ، لدراسة التراث والعلوم والتأليف فيه ، فابتلات بهم ساحاب المكتبات العربية كمستشرقين يبحثون ويدرسون في وقت كانت فيه البلاد الاسلامية في سبات عميق نظير ما اصابها من تدهور سياسي واستعمار فاستطاعوا ان يترجموا وان يحققوا اعدادا وفيرة ، بل معظم كتب التراث الاسلامي حققها مستشرقون اجانب ، اى جانب ضياع كمية ضخمة من المؤلفات الاسلامية التي حملت الى مكتبات الغرب الاوربي وجامعاته ، ولم ينتبه اليها المتفنون المسلمون ، والعجيب ان الباحث الذي يريد ان يكتب عن التراث الاسلامي الديني او العلمي او السياسي او الحضاري فانه يجد في المكتبات الاوربية اضعاف اضعاف المخطوطات النادرة والكتب الاسلامية للمؤلفين الاوائل وهذا كله ادى الى ان اصبح المستشرقون قوة كبيرة في الغرب لها مكانها ولها مركزها العلمي ولها كراسي مستقلة في جميع جامعات اوربا وامريكا .

### الوسائل التي اتبعتها الغرب لتدعيم حركة الاستشراق :

١ — انشاء كراسي للغات الشرقية في الجامعات الاوربية جميعها مثل جامعة تولوز ، وجامعة يوردوا ، وجامعة السوربون في باريس والمدرسة الشرقية في القسطنطينية ، وجامعة ستراسبورج والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ودمشق وطهران وتونس الى جانب كراسي اللغات الشرقية في جامعات انجلترا مثل جامعة اكسفورد وكمبردج وجامعة لندن

---

(٤٠) العتقي « المستشرقون » ج ١ ص ١٥٠ .



وجامعة درهام وجامعة فيكتوريا و جامعة ليدز وجامعة ويلز وجامعة  
لهدرول وبرستول وشيفيلد وهال وكذلك جامعات اسكتلندا في سانت  
اندرور وجلاسجو وأبردين انبره وفي ايرلندا في كلية ترينيتي في دبلن  
وجامعة ايرلندا الوطنية .

وفي كندا في تورنتو ، اوتاوا ، جامعة لانال ، جامعة مانيتوبا  
ومونتريال . وفي المانيا في جامعة هايدلبرج وكولن وجامعة فورزيج  
ومونستر وبون وبرلين وغيرها (٤١) .

هذا الى جانب الكراس الموجودة للغات الشرقية في جميع جامعات  
الغرب وما قدمناه ما هو الامثل لبعض هذه البلاد .

٢ - **انشاء المكتبات الشرقية** التي تحتوى على ملايين من الكتب  
والخطوط والنقائس العلمية والادبية والتاريخية .

ومن اهم هذه المكتبات مكتبة باريس الوطنية ، ومكتبة المتحف  
البريطاني في لندن ومكتبة الاسكوريال باسبانيا والتي تضم حوالى ١٩٠٠  
مخطوط عربى من بقايا المكتبة الاندلسية الاسلامية بقرناطة . ومكتبة فينا  
الوطنية التي تحوى مئات من المخطوطات العربية النفيسة وكذلك مكتبة  
جامعة ليدن بهولنده وهي تضم مخطوطات نفيسة وقيمة تضى المستشرقون  
الهولنديون ترونا متواصلة في جمعها .

وهناك مكتبة برلين الوطنية في المانيا ومكتبة جامعة ميونخ وجامعة  
هايدلبرج الى غير ذلك من المكتبات مثل المكتبات الخاصة بمختلف الجامعات .

وهناك نوع آخر من المكتبات الخاصة التي كانت ملكا للمستشرقين  
وقف بعضها على المكتبات العامة ، واقتنت البعض الآخر ولجميع دور النشر  
الشرقية فهارس لجموعاتها .

## ٢ - انشاء المطابع الشرقية (١٢)

دايت البلاد الغربية على انشاء المطابع التي تحوى الحروف العربية والعبرية ، وبدأت هذه المطابع فى ايطاليا ثم فى فرنسا ، ووجدت فى اسبانيا مطبعة مايسترى فى مدريد ، ومطبعة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد ايضا . وفى النمسا انشأت المطبعة الامبراطورية والمطبعة الشرقية للاباء المختارين . وفى هولنده مطبعة ليدن وغيرها فى مختلف انحاء اوربا .

## ٤ - الجمعيات الآسيوية والمجلات الشرقية (١٣) :

عملت معظم بلدان أوربا على تنمية حركة الاستشراق بإصدار المجلات والمطبوعات الخاصة بالشرق وهى تعنى جميعها بالعرب فى تحقيق سبق تاريخهم وجغرافيتهم وانسابهم ، وبحث أدبهم وشرائعهم ومذاهبهم واختلافهم ، ودرس لغاتهم وعلومهم وفنونهم فاطلعت الغرب على أصالة الشرق وخصائص تطوره ، والفنت من مجموعها مكتبة نفيسة فيها زيادة أعمال المستشرقين (١٤) .

ومن أهم المجلات الشرقية صحيفة العلماء التى تصدر فى فرنسا نشرة معهد مصر ، المجلة التاريخية ، مجلة تاريخ الأديان ، نشرة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية فى القاهرة ، مجلة الدراسات الاسلامية وهناك الجمعيات الآسيوية مثل الجمعية المسكية الآسيوية لبريطانيا العظمى ، وايرلندا فى لندن ، والسلسلة الجديدة التى تصدر كل ثلاثة شهور ، واتحاد المستشرقين البريطانيين ، الى غير ذلك .

## ٥ - المتاحف الرقمية :

وتحتوى هذه المتاحف على مجموعات كبيرة من الكتب والمؤلفات الشرقية الى جانب مجموعة كبيرة من الآثار الشرقية ومن أهم هذه المتاحف

(١٢) العقيقى : المرجع السابق ج ١ ، ٢ ، ٣ .

(١٣) العقيقى : المرجع السابق .

(١٤) العقيقى : المرجع السابق ، ج ١ . ص ١٦١ .

المتحف البريطاني ومنحف فيكتوريا البرت و متحف اثسولين تى اكسفورد  
ومتحف جراتس فى النمسا . و متحف الفن الاسلامى فى برلين والمتحف  
الوطنى فى باريس .

## ٦ - المؤتمرات الدولية :

بلغت مؤتمرات المستشرقين الدولية ( ١٨٧٣-١٩٦٤ ) ٢٦ مؤتمرا ضم  
الواحد منها مئات العلماء من اعلام المستشرقين والعرب والمسلمين  
والشركيين اسهموا فيما بينهم فى اقتسامه الأربعة عشر عن آسيا وأفريقيا،  
وتناولوها بالمحاضرات والأبحاث والنظريات والمقترحات . ثم نشرها فى  
مجلات للاهتداء بها كنظم ومناهج ووسائل ، ثم أصبحت مع دراسات  
مؤتمراتهم الموضوعية والاقليمية أصولا وأمهات وأسانيد للباحثين (٤٥) .

وتعتبر هذه الوسائل المتعددة عوامل مساعدة لنشر حركة الاستشراق  
فى الغرب الأوربى ، وفى تمهيد السبيل انشر جميع المؤلفات العديدة التى  
تصدر فى الغرب خاصة بأهم الشرق .

## اهداف المستشرقين :

لعلنا بالعرض السابق نكون قد ألقينا الضوء بعض الشيء على التطور  
التاريخى للعلاقات بين الشرق والغرب ، وكيف احتك كل منهما بالأخر ثم  
كيف بدأ الغرب يتكالب على الحضارة الاسلامية فأخذ منها من مراكزها  
المختلفة سواء أكانت فى أوربا أم فى الشرق ، ثم بعد ذلك بدأت مرحلة  
الاستقرار والدراسة والانتاج العلمى الوافر فى وقت ذبلت فيه البسلاذ  
الاسلامية ووصلت أوربا فى عصر النهضة الى أقصى درجات التقدم العلمى  
والحضارى . وبذلك نجد ان حركة الاستشراق أصبحت حركة عامة فى  
أوربا وأصبح لزاما علينا أن نرى أهداف هذه الحركة هل خرجت كلها من  
منبع واحد ولهدف واحد معين أم اختلفت الامسول والأهداف .

الحقيقة أن الهدف الأول الذى قام من أجله الاستشراق كان خدمة  
الكنيسة قوا الاستعمار ، فالمعروف أن أول من قام بعملية الاستشراق كانوا

---

(٤٥) العتيقى « المستشرقون » ج ٣ ص ١١٤٨ .  
( م ٣ - الاستشراق )

رهبانا خاضعين لسلطة الكنيسة الكاثوليكية في الغرب وهوؤلاء اعتمدوا الضلالة عن الموضوعية المتفهمة . وقد غلب على كتاباتهم الطعن في الاسلام والحضارة الاسلامية والثقافات الاسلامية والتاريخ الاسلامي .

وهناك مجموعة من المستشرقين كانوا مرتزقة وضعوا افلامهم في خدمة مصالح بلدانهم الاقتصادية والسياسية والاستعمارية(٤٦) .

وهناك فئة من طلاب الاساطير والفرائب والاهاجي ، ولم تكن حقا من العلم في شيء فأتقرضت بانقراض العصور الأولى(٤٧) .

وفئة أخرى تعرضت للاسلام دون ان تقصد الطعن عليه ، وانما درسته دراستها كتبها الدينية ، فقد درج العلماء وفيهم الرهبان على نقد الكتاب المقدس مثل رايمو روس المتوفى سنة ١٢٦٨ م اسناذ اللغات الشرقية في جامعة هامبورج الذي خلف مخطوطا في نقد حياة المسيح(٤٨) .

وفئة غيرهم انصفت للاسلام وان لم يندن بهتولا وعملا وكتابة فلم يؤخذ عليها مفة على كل ما نبجته فيه ومنها من ذهب به اخلاصه الى ادنائه(٤٩) .

ولا بد ان هناك فئة أخرى منصفة ارادت البحث العلمي المجرد دون التعرض للدين ، وهذه الفئة غلبت عليها الحيادة المطلقة والرغبة في الوصول الى الحقيقة العلمية ، ودراسة التراث العربي الاسلامي لما فيه من حضارات تديمة مزدهرة .

وتعتبر هذه الإغراض من اهم الدوافع التي دفعت المستشرقين الى الاندراج في هذا السلك ، ويهمننا من امر حركة الاستشراق هذه الحركة التي تنبت الكنيسة الكاثوليكية والملوك والامراء الامطاعيين في أوروبا والتي كان هدفها الأول والأخير طعن الاسلام بجهالة وضلالة .

(٤٦) العقيلي : المرجع السابق ج ٣ ص ١١٦ .

(٤٧) العقيلي : المرجع السابق ج ٣ ص ١١٦ .

(٤٨) العقيلي : المرجع السابق ج ٣ ص ١١٦ .

(٤٩) العقيلي : المرجع السابق ج ٣ ص ١١٦٢ .

وقبل أن ندخل في تفاصيل هذه الحركة التي ربطت الاستشراق بالتبشير لابد أن نلخص تطور حركة الاستشراق في مراحل ثلاث ومى :

### المرحلة الأولى :

تلك الحقبة التي تبدأ من القرن الثامن الميلادى وتستمر حتى النهضة الأوروبية الحديثة في القرن الخامس عشر ، وفيها احتك الإسلام بالغرب سياسيا وحربيا ، وأسس مراكز لحضارته في جنوب أوربا وجنوبها الغربي ووقف منها موقف المعلم يلقتها حضارة خصبة الجوانب كثيرة الروافد ، امتزج فيها تراثه العربي بتراث الفرس والهند واليونان وغيرهم من الأمم التي دانت لسلطانه ، وكان موقف أوربا من ذلك الدور أشبه بموقفنا نحن من الحضارة الغربية في أوائل نهضتنا الحديثة (٥٠) .

### المرحلة الثانية :

منذ أوائل النهضة الأوروبية حتى القرن الحالى وفيها احتلت دراسة الفلاسفة المسلمين مكانها في الجامعات القديمة مثل باريس ولوفان وظهر اثر الفكر الإسلامى في بعض الفلاسفة الغربيين مثل ديكارط وترجمت بعض روائع الأدب الشرقى مثل الف ليلة وليلة الذى ترجم الى الفرنسية في نهاية القرن السابع عشر ، ثم ترجم بعد ذلك الى غيرها من اللغات ثم اتجهوا بعد ذلك الى دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وبدأت تظهر الكتب الأوربية عن الإسلام وتاريخه والترجمات المختلفة للقرآن وأسست الجمعيات الآسيوية في انجلترا وفرنسا في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وأخذ العلماء الأوربيون يفتقون عن المخطوطات الشرقية ويحفظونها وينشرونها .

وفي النصف الثانى من القرن التاسع عشر بدأت سلسلة المؤتمرات الدولية لأولئك المستشرقين يعرضون فيها ما وصلوا اليه في البحوث الكلاسيكية الإسلامية والعربية والشرقية (٥١) .

(٥٠) هاشم زكريا « المستشرقون والإسلام » ص ١٦٧ .

(٥١) المرجع السابق .

### المرحلة الثالثة :

وهي التي نشهد مظاهرها الآن ، ففي مرحلة العناية بالاسلام في اوضاعه واتجاهاته الحديثة ، لم تعد الدراسات الشرقية الكلاسيكية هي الشغل الشاغل للمستشرقين المحدثين أو الجمعيات والمعاهد واقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الامريكية والأوربية ، بل انتقلت العناية انى دراسة الامم الاسلامية في نهضاتها الحديثة والى ما ينشأ فيها من حركات تجديدية واصلاحية والى مقدار تأثير التعاليم الاسلامية الاصلية في تفكير الشعوب الاسلامية المعاصرة ، وما بين تلك الشعوب من مظاهر الاتفاق أو الاختلاف أو النزعات والوان التفكير ، ومدى كل واحدة من التوفيق بين تعاليم الدين ومقتضيات الحياة العصرية والمعتدة وعلى الأخصر في التشريع ونظم الاجتماع والاقتصاد وأساليب الحكم ، وهل هناك معضلات تواجهها تلك الشعوب في التوفيق بين المعتقدات الدينية ونتائج الفكر العلمى الحديث .

ولقد نظمت جامعة برنستون ، ومكتبة مجلس الشيوخ الامريكى مؤتمرا للثقافة الاسلامية واقدمت ندوة في معهد هوفر بجامعة ستانفورد ومؤتمر في متيسوتا ، معهد الدراسات الاسلامية في كندا .

ويدرس الآن احوال الشرق الاسلامى الحديث والتصوف الاسلامى في جامعات اكسفورد وكمبريدج وجامعات اوريا كافة ، كما انه المسادة الرئيسية في كلية الدراسات الشرقية والافريقية في لندن (٥٢) .

## الفصل الثاني الاستشراق والتبشير





## الاستشراق والتبشير

يعتبر التبشير بالدين المسيحى الهدف الاول من اهداف المستشرقين . اذا كنا قد عددنا اهدافا اخرى للاستشراق - فذلك حتى لانعمم فى حكمنا على جميع فئات المستشرقين ؛ وان نعطي للفئة التى عملت فى هذا المجال - الحيدة المطلقة . وبالبحث العلمى المجرى - حقها من التقدير .

والحقيقة ان فئات كبيرة من اننى اعياها التعصب والجهل جرت وراء عملية التبشير وغبية فى الوتوف بمى وجه الاسلام ؛ ومحاولة زعزعة العقيدة من تلويب المسلمين ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

ومن اقوال زعماء المبشرين المستشرقين عن اهداف التبشير قول لورانس براون فى كتابه « الاسلام والارساليات » (١) « اذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا ، وامكن أن يصبحوا نعمة له ايضا ؛ أما اذا ظلوا متفرقين ، فانهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير » .

ويفصح القس كالهون سيمون عن قوة التبشير فى تفريق المسلمين ، وهو نفس المعنى الذى عبر عنه براون فيما قبل . بقوله فى كتابه « ان اوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السود وتساعدهم على التخلص من السيطرة الاوربية ، ولذلك كان التبشير عاملا مهما فى كسر شوكة هذه الحركات ؛ ذلك لأن التبشير يعمل على اظهار الاوربيين فى ثوب جديد جذاب ؛ وعلى سلب الحركة الاسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها » (٢) .

فوحدة المسلمين اذا فى نظر التبشير يجب ان تفتت وان توهن ، ويجب

(١) لورانس براون « الاسلام والارساليات » ص ٤٤-٤٨ .

(٢) ابراهيم خليل « المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والاسلامى » ص ٣٨ .

أن يكون هدف التبشير هو التفرقة في توجيه المسلمين واتجاهاتهم . وهناك بجانب تفقيته وحدة المسلمين هدف آخر هو ذرع خطر وحدتهم وامتداد سلطانهم باستعمار الشعوب الأوروبية واستغلالها واستنزافها ثرواتها . وفي هذا المعنى يقول لورانس براون أيضا « الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قوته على التوسع والاختضاع وفي حيويته انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي » (٢) .

ويرى المستشرق الألماني بيكر (٤) « أن هناك عداء من النصرانية للإسلام لأن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سدا منيعا في وجه الاستعمار وانتشار النصرانية ، ثم امتد الى البلاد التي كانت خاضعة لصولجاتها » .

وقريب من ذلك ما رآه غاردينر (٥) « ان القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا ، ويحاول المبشرون أن يروا العداوة بين الإسلام وبين الغرب دينية ، ولكن الحقيقة لا تلبث أن تظهر في فلتات لسانهم ، فاذا هي سياسية » .

ان يوليوس رشتريث يؤنب النصارى على قصر نظرهم في أثناء العصور المتطاولة التي تلت ظهور الإسلام ، فانهم كانوا فيها وادعين غافلين وكانت الامبراطورية البيزنطية تغيب شيئا فشيئا في الامبراطورية الاسلامية حتى سقطت القسطنطينية سنة ١٤٥٣م بيد الأتراك العثمانيين (٦) . ولا ريب في ان رشتريث ينالم للناحية السياسية لانه هو نفسه يذكر ان سكان الامبراطورية الشرقية كانوا نصارى بالاسم .

وعلى هذا الأساس أصبح الاتراك خطرا على أوروبا منذ دخلوا في الإسلام ، لا لانهم مسلمون بل لانهم قد أصبحوا قوة تستطيع ان تقف في وجه الاطماع الأوروبية ، حتى السنوسية ، وهي فرقة من المرابطين المجاهدين

---

(٣) المرجع السابق .

(٤) مصطفى خالدي « التبشير والاستعمار » ص ٣٦ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) المرجع السابق ص ٣٧ .

نشأت في طرابلس الغرب قد أصبحت على قلة اشياعبا وقلة انتشارها توة نربع الاستعمار لا لشيء الا لان الاتحاد توة تفسد على المستعمرين اعمالهم . ولقد بالغ المبشر صموئيل زويمر حينما هاله أن يرى نفرا من النصارى يدعون الى مصادقة المسلمين في الدين ، ان هذه الصداقة في رأى زويمر تخلق في نفس النصارى جينا عن التبشير (٧) .

ومن المعروف بين جمهرة المبشرين المستشرقين أن صموئيل زويمر هذا كان يلقب « بالمختار الى العالم الاسلامى » ، وكانت مهمته تحويل العالم الاسلامى عن عقيدته ، ولم يكن يستكثر عن مهمته أن يتصدى لتحويل مكة والمدينة في مقدمة المعامل الاسلامية ، ولا تحويل القاهرة بما اشتملت عليه من معاهد الاسلام وذكرياته الباقية (٨) ، بل ان هناك مجموعة اخرى ساندت صموئيل زويمر هذا افكاره كانت تقدم العون الواسع في القضاء على الاسلام واعادته الى الصحراء من حيث جاء (٩) .

ومن مجموع هذه الآراء السابقة التي احببت أن أسوقها في مقدمة الموضوع لأبد أننا نكون قد اقتنعنا أن ممارسة الاستشراق من أجل التبشير وخدمة الدين المسيحى لم تمت بظهور النزعة العلمية ، فقد ظل عدد من خدام المسيحية يمارسون الاستشراق لهذا الغرض نفسه وظل ههنا الوضع الى يومنا هذا .

ولابد لنا أن نقتبع الوسائل التي يتخذها هؤلاء المبشرون المستشرقون في تحقيق مخططاتهم ، وسنرى رأى واحد منهم وهو ه. ه. وجيسوب يقول « من الضروري أن يستخدم المبشرون جميع الطرق في سبيل التبشير وان يستغلوا جميع المناسبات ، فمناجاة الطب والتعليم والوعظ ونقل الكتب من لغة الى لغة كلها يجب أن توجه توجيها يفيد التبشير » (١٠) .

والمبشرون مجمعون على أن جميع الوسائل هما كانت يجب أن تستغل في سبيل التبشير ، حتى أعمال البر يجب أن تستغل استفلا لاحتنا من ذلك

(٧) المرجع السابق ص ٢٨ .

(٨) عباس العقاد « ما يقال عن الاسلام » ص ١٦٦-١٧٠ .

(٩) سعيد الغزالي « قذائف الحق » ص ٢٥ .

(١٠) Jessup, H.H. Fifty three years in Syria. P. ٥٤

تولهم « كان التعليب والتعليم من وسائل التبشيرة ويجب أن يربا كذلك ،  
أما أعمال الاحسان فيجب أن نستعمل بحكمة كيلا نذهب في غير سبيلها ،  
يجب أن تعطى الأموال أولا للبعيد عن الكنيسة ثم نقل تدريجيا كلما اقترب  
أرلئك من الدخول في الكنيسة . فإذا دخلوها منع عنهم الاحسان مرة  
واحدة » ومن وسائلهم أنهم اذا دخل في خدمتهم رجل لا ينتمى الى مذهبهم  
حملوه على الدخول فيه .

ولا بد لنا ان نوضح نوضيحا دقيقا الاسلوب الذى يتخذه المبشرون  
في نشر عقائدهم وفكرهم .

وأول هذه الوسائل هي الوسائل الثقافية ، فقد اتخذ المبشرون من  
التربية والتعليم وسبلتهم الأولى في التأثير والتغيير الذى ينشرونه ، وقد  
ركزوا نشاطهم في هذا الجانب على الجبهات والمستويات سالكين الى  
غايتهم طرقا شتى منها :

#### ١ - المتفائل المبشرين الى الغرب :

بمحاولة التأثير الفكرى والثقافى على عقليتهم ، ومحاولة بث الشكوك  
حول العقيدة الاسلاميه ، وأغرائهم بوسائل التقدم المدنى الباهرة فى  
حتى يفتنوا عن دينهم ، فبذلك يعودون الى بلادهم وقد تغيرت أفكارهم  
وقيمهم ونظرتهم الى الدين والى الحياة والناس والى الماضى والحاضر والى  
النظم والشرائع والآداب والتقاليد وبذا يتضح ذلك فى سلوكهم وأخلاقهم  
وعلاقتهم وقيما يكتبون وينتجون فى ميدان الفكر والثقافة والتوجيه .

#### ٢ - المدارس التبشيرية والأجنبية :

اتخذ المبشرون من المدارس العديدة التى انشاؤها فى الشرق الاسلامى  
والتي حاولوا أن بضيقوا بها الخناق على المدارس والمؤسسات الوطنية  
أن يأخذوا الطفل منذ نعومة أظفاره عجيبة لينة ، فيبعده عن الاسلام  
بقدر ما يقربوه من النصرانية ، ويحببوه فى حضارة الغرب بقدر ما ييفضوه  
فى حضارة الشرق (١١) .

(١١) يوسف القرضاوى « الحلول المستبعدة » ص ٢٣ .

وقد صرحت المبشرة « آنا ميلجان » عن هدف هذه المدارس ومهمتها في بلاد العرب والمسلمين فقالت (١٢) :

« ان المدارس اتوى قوه لجعل الناشئين نحت تأثير التعليم المسيحى وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما ما تادده » .

وتقول أيضا عن كلية البنات الخاصة بالقاهرة :

« فى كلية البنات فى القاهرة بنات آباؤهن « باشوات وبكوات » وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنسات المسلمات تحت النفوذ المسيحى ، وليس ثمة طريق الى دحض الاسلام أقصر من هذه المدرسة » .

وكانت كل المذاهب المسيحية تقوم بجهودها التبشيرية فى جميع بلدان المسلمين .

ومن المنشور الذى أصدرته الجامعة الامريكية فى بيروت سنة ١٩٠٩م ردا على احتجاج الطلاب المسلمين لاجبارهم على الدخول يوميا الى الكنيسة يوضح من المادة الرابعة منه طابع هذه المؤسسة وأمثالها ونص المادة (١٢) :

« ان هذه الكلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحي ، هم اشترىوا الأرض وهم اقاموا الأبنية وهم أنشأوا المستشفى وجهازه ، ولا يمكن للمؤسسة ان تستمر اذا لم يساعدها هؤلاء ، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليما يكون الانجيل من مواده فنعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ ، وكل طالب يدخل مؤسسنا يجب ان يعرف سابقا ماذا يطلب منه » .

### ٣ — المدارس الحديثة :

وهو انشاء مدارس تقوم الدراسة فيها على أسس غربية ، يشرف عليها المبشرون ويراقبونها ويوجهونها ، ويضع لها المبشرون المناهج والكتب التى تدرس فيها .

---

(١٢) محمود شاكر « أباطيل وأسماز » ص ٤٢ .  
(١٣) « عهد الجوى » المبشرون والمستشرقون » ص ١٠/٩ .

يقول المبرجون تكلى (١٤) :

« يجب ان نشجع انشاء المدارس ، وان نشجع على الاخص التعليم الغربى ان كثيرين من المسلمين قد زرع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانجليزية ، ان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقى مقدس امرا صعبا جدا » .

وهذا التصريح من جانب هذا المبر يدلنا على ان غاية هؤلاء المبرين ليست دينية خالصة كما يظن بعض الناس وانهم لا يرجون بعملهم هذا الله والدار الآخرة . فلو كان هذا هدفهم لاتجهوا اول ما يتجهون الى الملحدين والماديين الذين يكونون معظم سكان اوربا او انجهوا الى الشعوب الوثنية . بدل ان يتجهوا الى اعظم امة مؤمنة موحدة فى الارض وهى امة الاسلام .

ومما يؤكد هذا قول القس « زويجر » فى وصاياه للمبشرين :

« ينبغى للمبرين الا يقنطوا اذا راوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة اذ من المحقق ان المسلمين قد نما فى قلوبهم الميل الشديد الى علوم الاوربيين وتحريف النسا » .

والغريب ان المبرين الذين اتخذوا من التعليم وسيلة هامة للتبشير لا نجدهم يهتمون بالعلوم العلمية ، بل حاولوا ان يجعلوا جميع مواد التعليم تخدم المسيحية والفكر المسيحى . ويرى هنرى جيسوب (١٥) « ان التعليم فى مدارس الارساليات المسيحية انما هو واسطة الى غاية فقط ، هذه الغاية هى قيادة الناس الى المسيح ، وتعليمهم حتى يصبحوا افرادا مسيحيين وشعوبا مسيحية ، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية فى نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الارض وعلماء النباتات ، وخير الجراحين والأطباء فى سبيل الزهو العلمى ، فاننا لا نتردد حينئذ فى ان نقول ان رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيرى المسيحى الى مدى علمائى محض ، الى مدى علمى دنيوى ، مثل هذا العمل يمكن ان

(١٤) مصطفى خالدى « التبشير والاستعمار » ص ٩٨ .  
(١٥) H.H. Jessup. op cit. P. 378.

قوم به جامعات هايدلبرج وكمبردج وهارفارد وشيفيلد ، لا الجمعيات التبشيرية التي تسمى الى اهداف روحية فنحسب .

ويؤكد هذه الفكرة المستر نبروز الذي جاء سنة ١٩٤٨ م لتسلم زمام الجامعة الامريكية في بيروت فيقول (١٦) « لقد ادى البرهان الى ان التعليم اثنى وسيلة استغلها المبشرون الامريكيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان ومن اجل ذلك تقرر ان يختار رئيس الكلية البروتستانتية الانجيلية « الجامعة الامريكية اليوم » من مبشري الارسالية السورية » .

لذلك نرى ان المبشرين استغلوا التعاليم لان له اثرا فعلا بل هو اتوى وسائل التبشير ، وعلى هذا الاساس بدأ المبشرون في انشاء مدارسهم وكلياتهم ليؤثروا في قادة الراى في البلاد وفي الجيل الناشئ في الشرق الأدنى خاصة .

#### ٤ — استفلال الطب كوسيلة للتبشير :

كان المبشرون يتخذون من زيارة المسجونين ومن العمل في المستشفيات وسيلة الى التبشير ، وفي الحرب العالمية الاولى اخذت الدولة العثمانية عددا من الراهبات للعمل في المستشفيات ، فقال الكتاب المثوى اليسوعى عن هؤلاء « وفي منصبهن الجديد بقيت الاخوات مبشرات يلتن التعليم المسيحى ، ويعددن للمناولة الاولى ويعلمن الصلوات على الرغم من التحذير والتهديد اللذين كان المفتشون الاتراك يوجهونها اليهن » (١٧) .

وهناك طريقة اخرى وهو انشاء مستشفيات مسيحية ، فيتوافد المرضى على العيادات الخارجية بها ، فيقوم الكاتب وهو واعظ انجيلى بتحرير بطاقة للمريض ، كما تقوم الممرضة بمعرفة شخصية المريض وظروفها الخاصة ، وهذه التحريات كلها تصل تباعا الى مكتب تسييس المستشفى لتبويبها وتصنيفها .

ويلقى واعظ من قبل تسييس المستشفى قصة دينية تمسيرة على

---

(١٦) مصطفى خالدى « التبشير والاستعمار » ص ٦٧ .

(١٧) المرجع السابق ص ٤٩ .

جمهور المرضى المنتظرين ، فاذا دخل المريض المستشفى ، فانه يستمتع لدرس دينى فى اصل كل يوم ، وقد يتبعه عرض للفانوس السحرى ، ثم توزع على المرضى النشرات لقراءتها والتسلى بها .

وفى هذا كله تعتمد بمكتب التعمير او بمنزله ندوات تبشيرية فردية لمن يقبل على المسيحية ، واذا وثق التعمير باخلاصه اغدق عليه الهبات ما ينسبه الامل والاصنتاء(١٨) .

#### ٥ - الصحافة والاعلام والنشرات الدورية والكتبات :

لم يقتصر نشاط الاستعمار الغربى على ميدان التعليم بمختلف طرقه واساليه ، بل تعداه الى ميدان الاعلام والصحافة والكتبات فهذه الميادين لا يقيد ما يقيد المدرسة من مناهج ، ولا تختص بعدد محدود من التلاميذ بل هى وسائل توجه الراى العام .

ويرى المستشرق جب فى كتابه « وجية الاسلام » متحدثا عن اهمية الصحافة فى مجال الفزو الفكرى(١٩) .

« الواقع أن المدارس والمعاهد العادية لا تكفى ، فليست هى فى حقيقة الامر الا الخطوة الاولى فى الطريق ، لانها لا تغنى شيئا عن تيادة الاتجاهات السياسية والادارية والوصول الى هذا التطور الأبعد — الذى بدونه تظل الأشكال الخارجية مجرد مظاهر سطحية — يجب الا ينحصر الامر فى الاعتماد على التعليم فى المدارس الابتدائية والثانوية ، بل يجب ان يكون الاهتمام الأكبر، منصرفا الى خلق راي عام ، والسبيل الى ذلك هو الاعتماد على الصحافة . ويقرر جب ان الصحافة هى اقوى الادوات الأوربية واعظمها نفوذا فى العالم الاسلامى .

#### ٦ - الفزو الاجتماعى :

التقصود به ادخال العادات والتقاليد والأنواق الغربية فى حياة الأسرة المسلمة ، والمجتمع المسلم ، واستغلال الوسيطتين المسالمتين

(١٨) ابراهيم خليل « المستشرقون والمبشرون » ص ٦٠

(١٩) محمد حسين « الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر » ص ٢٠٢ .



فى نجيب ذلك الى النفس . واضفاء نعوت الرقى والنسب على كل من  
يسلخون عن شخصيتهم الدينية والقومية ويمشون فى ركاب غاصبيهم  
بابعين مقلدين (٢٠) .

ومن مجموع الوسائل السابقة التى يخذها المبشرون لنشر بائذهم  
واغكارهم لخدمة الدين المسيحى . نجدهم يحاولون ان ينفذوا داخل المجتمع  
الاسلامى ليفتنوا المسلمين عن دينهم ، والحقيقة ان معظم المبشرين حينما  
ينعرضون فى كلامهم للدين الاسلامى ، نجد انهم يخضعون لآفة هى آفة الجهل  
بالحقائق والمعجز عن فهم الشرق والشرقيين . كما يفهمون هم انفسهم فى  
حاضرهم وماضيهم .

والعجيب ان هؤلاء المبشرين حينما يكتبون عن الاسلام لا يكتبون من  
واقع المصادر التاريخية الاصلية القديمة ، وانما يتركونها فى مكاتب  
علماء الدين وورثة اللاهوتيين من ابناء القرون الوسطى . ويخرجون انتاجا  
لا يعتمد على اصول صحيحة فيكون مملؤا بالباطيل والاعايط ، فيسبهم عقول  
الدارسين من المبشرين ، فيخرجون مؤمنين بـ : دعوات التبشيرية ،  
وصواب الحملة على الاسلام كما فهموه ، ولو انهم فهموا اسرار باطيلهم  
لارتدوا على انفسهم واستطاع الاسلام ان يغزوهم فى معانئهم ، فاذا هم  
بشرون انفسهم ان يتفرقوا بين انهاء العالم مستبسلين فى تبشير المساكين  
وتنفيذ غير المسلمين من الاسلام (٢١) .

ولذلك اصبح التبشير بالنسبة للعالم الغربى وللبابوية بالذات مهنة  
يستقرون بها الرزق ، وكل هدفهم تشويه الاسلام ، فهم اصحاب مصلحة  
فى تشويه الدين الاسلامى وتمثيل المسلمين فى الصورة التى تفكى عند  
القوم جذوة التعصب وتملى لهم فى الجهالة والخفلة ، فلا يسه لهم ان تظهر  
الحقيقة لهم ولم يستأجرونها ويرسلونها للتبشير (٢٢) .

(٢٠) يوسف القرضاوى « الحلول المستوردة » ص ٣٢ .

(٢١) عباس الحنّاد « ما يقال عن الاسلام » ص ٢٠٦ .

(٢٢) المرجع السابق ص ١٠ .



## الفصل الثالث

الإسلام وموقف المستشرقين منه



## الإسلام وموقف المستشرقين منه

عمل المستشرقون منذ بدء ظهور حركة الاستشراق في الغرب على الهجوم على الدين الإسلامي ، وعلى النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

والحقيقة التي لا جدال فيها ان الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم وكان القرآن مصدره الأول ليس — كما يظن الحاقدون — دينا لاهوتيا وليس عقيدة فقط تعنى بالجانب الروحي للإنسان دون أن تعنى بتنظيم علاقته بالكون ، وعلاقته بالحياة وعلاقته باخوانه بني الإنسان أفرادا وأسرا ومجتمعا ودولا .

كلا ان الإسلام عقيدة شاملة ينبثق عنها نظام عالمي كامل ، تقوم على أساسه أمة عالية متوازنة أبرز سماتها ما وصفها به القرآن « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » (١) وقوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٢) .

وللعقيدة الإسلامية مزايا وخصائص لا تتوفر لغيرها من العقائد الدينية فهي عقيدة واضحة بسيطة لا تعقيد فيها تتلخص في ان وراء هذا العالم المنسق البديع المحكم ربا واحدا خلقه ونظمه وتدر كل شيء فيه تقديرا وهذا الرب والاله ليس له شريك ولا شبيه ، ولا صاحبة ولا ولد ، بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون .

وهذه عقيدة واضحة مقبولة ، فالمقل دائما يطلب الترابط والوحدة وراء التنوع والكثرة ؛ ويريد أن يرجع الأشياء دوما إلى سبب واحد والواقع المطرد يثبت أبدا أن تعدد الإرادات لا ينتج عن أثر متكامل أو نظام

(١) سورة البقرة ، آية ١٤١ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٦٠ .

منسق . والقرآن يقرر هذه الحقيقة فيقول : « لو كان فيها الهة الا الله لفسدنا » (٣) « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلنا نعضهم على بعض » (٤) .

وهي عقيدة ليست غريبة عن الفطرة . ولا مناقضة لما نزل به من منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدد على ثقله المحكم ، وهذا هو صريح القرآن « فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . ولكن اكثر الناس لا يعلمون » (٥) .

وهي عقيدة ثابتة محددة لا تتبدل الزيادة والنقصان ، ولا التحريف والتبديل فليس لحاكم من الحكام او مجمع من الجامع العلمية او مؤتمر من المؤتمرات الدينية ان يضيف اليها او يحور فيها وكل تحوير او اضافة مردود على صاحبه ونبي الاسلام يقول « من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد » (٦) أي مردود عليه والقرآن يقول : « ام لهم شركاء وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » (٧) وعلى هذا فكل البدع والخرافات والاضافات التي لصقت بمقائد المساميين او دستت في بعض كتبهم او اشيعت بين عامتهم باطلة مردودة لا يقرها الاسلام ولا تؤخذ حجة عليه . وكل ما هو معمول به في الاسلام انه قد اتصلت بالقرآن — بعد ان انتقل الرسول الكريم الى الرفيق الاعلى — افهام العلماء والائمة ، فما لم يكن من آياته نصا قى معنى واحد . ومن هذا الجانب اتسع ميدان الفكر الانساني وكثرت الآراء والمذاهب في النظريات والعمليات لا على انها دين بلتزم وانما هي آراء وافهام فيما هو من القرآن محتمل للآراء والافهام برد منها كل ذي رأى مننا راية الى الدلالة التي نجدها في النص التراثي بمعونة ما صح عنده من احوال الرسول او افعاله او من القواعد العامة التي ترمى اليها روح الدين عامة ، وهذا الصنيع لم يكن من هؤلاء الائمة وفي معتقدهم الا اجتهادا فرديا

(٣) سورة الانبياء ، آية ٢٢ .

(٤) سورة المؤمنون ، آية ٩١ .

(٥) سورة الروم ، آية ٣٠ .

(٦) القرشاي والعسال « الاسلام بين شبهات الضالين » ص ١٥ .

(٧) سورة الشورى آية ٢١ .

” يوجب واحد منهم على احد من الناس ان يبيعه . بل تركوا تغيرهم ممن له اهلية الفهم حرية التفكير والنظر .

أما العقائد الاصلية كالايمان بالله واليوم الآخر واصول الشريعة فوجوب الصلاة والزكاة وحرمة النفس والعرض والمال ، فان نصوصها جاءت في القرآن بيّنة واضحة لا تحتمل اجتهادا ولا انفهاما .

ومن هنا كثرت الآراء والمذاهب فيما يتصل بالفروع التابعة للعقائد الاصلية وفيما يتصل بالعمليات التابعة لاصول الشرائع والاحكام (٨) .

واذا دلت طبيعة الاسلام هذه على شيء فانما ندل على انه دين ينسج للحرية الفكرية العاملة . وانه لا يقف فيما وراء عقائده الاصلية واصول شريعته على لون واحد من التفكير أو منهج واحد من التشريع ، وقد كان بتلك الحرية دينا يسير جميع أنواع الثقافات الصحيحة والحضارات النافعة التي يتفوق عنها العقل البشري في صلاح البشرية وتقدمها مهما ارتقى العمل وعنت الحياة .

وقد بدا المستشرقون يجدون في هذا الدين القوى المتين مادة خصبة لسنعراض آرائهم وعرض ردودهم على الاسلام ، كل منهم كما ذكرنا له دافع قوى وراء كتاباته هذه ، فمنهم من يخدم السياسة ويصطنع لغة الدعاية تارة ، ولغة الدبلوماسية تارة اخرى ، ومنهم هؤلاء المستشرقون الذين نشأوا في العصر الحديث بمعزل عن دوائر التبشير ودوائر السياسة ومنهم من ينشد الرأي خالصا لوجه الحقيقة العلمية ولكنه مشوب بالقصور الذي لا مفر منه لمن يكتب عن الأدب في لغة اخرى وهو ليس من أبنائها ، ولا هو من الأدباء في لغته التي نشأ عليها . وبعضهم لا رأى له في ادب بلاده لأنه لم يشغل به . ولم يتأهب له بعدته من الذوق والنظنة التي تؤمله للمخضف فيه ؛ فليست معرفته بالعربية لمدة كافية له في تقدير الادب العربي لأنه يعرف لغته . ولا معول على رايه في ادبها بين قومه (٩) .

(٨) ابراهيم اللبان : المستشرقون والاسلام ص ٣٤ .

(٩) عباس العقاد : ما يقال عن الاسلام ص ٦ .

ويكتب عن الإسلام في انديا أناس يتشيعون له بمقدار ثورتهم على سلطة الدين في بلادهم . فهم يظلمون محاسنه ويقابلون بها مساوئ السلطة التي يثورون عليها ، ولا يندر فيهم من ينصف الإسلام ويهتدى إلى محاسنه السمحة ، وأن لم يدين به ولم يكن على دين غيره (١٠) .

ومن حقنا — بل من واجبنا أن نعرف ما يقال عنا ، وأن نعرف كل قول من تلك الأقوال بقيمته وقيمة من يصدر عنه ، لأننا قد نعرف أنفسنا من شتى نواحيها كلما عرفناها كما ينظر إليها الغرباء عنا . وعرفنا مبلغ الصدق والفهم فيما يصفوننا به من هوى وجهالة وعن دراية وحسن نية .

ورأيت أن أبدأ كلامي عن مزجة الهجوم التي يقوم بها المستشرقون ضد الإسلام بعرض لآراء بعضهم وهي آراء تنصف الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين ، بل اتنا أخذناها كشهادة لنا من عدونا ؛ ( والنخل ما شهدت به الأعداء ) .

واثرت أن أبدأ بعرض لوجهة نظر حديثة وبأحدث كتاب صدر في نهاية سنة ١٩٧٨ م وهو « الخالدون مائة » (١١) والذي ألفه ميخائيل هارت العالم الأمريكي الذي بدأ ينقب في جميع مشاهير العالم من رسل وأنبياء ورجال دين وعلماء وفنانيين وأدباء إلى غير ذلك من أنواع المشاهير ، وبعد أن درسهم دراسة محضة ودقيقة على اعتبارات كثيرة وجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس الشخصيات المائة التي اختارها لكتابه . وأن ما جاء به هذا الرسول هو الحق على الرغم من أن هذا الكاتب مسيحي ولا يدين بالإسلام ، يقول ميخائيل هارت :

« لقد اخترت محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) في أول هذه القائمة ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ، ومعهم حق في ذلك ، ولكن محمدا

---

(١٠) المرجع السابق .

(11) M. Hart. The 100 A Ranking of the most influential persons—in History.



عليه السلام هو الانسان الوحيد فى التاريخ الذى نجح نجحاً عظيماً فى  
المستوى الدينى والدنيوى .

وهو قد دعا الى الاسلام ونشره كواحد من اعظم الديانات ، واصبح  
قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا وبعد ثلاثة عشر قرناً من وفاته . فان أمر  
محمد عليه السلام لايزال قويا متجددا « .

وظل الكاتب يستعرض تاريخ الرسول صلعم منذ ولادته ونشأته  
وتربيته وأخلاقه ووضع فى قومه ثم زواجه وبعثته ودوره فى نشر الاسلام  
وما لاقاه من اضطهاد فى الدور المبكر. ثم هجرته وما قدمه بن جدد فى  
نشر الدعوة ومحاربة مشركى مكة حتى انتشر الاسلام فى جميع أرجاء  
الجزيرة العربية ، ويذكر ضمن كتابه قوله « والاسلام مثل كل الديانات  
السكبرى كان له أثر عميق فى حياة المؤمنين به ، ولذلك فهو مؤسسوا الديانات  
السكبرى ودعاتها موجودون فى قائمة المائة الخالدين .

وربما بدا شيئاً غريباً حقا أن يكون الرسول محمد صلى الله عليه  
وسلم على رأس هذه القائمة ، رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد  
المسلمين ، وربما بدا غريباً أن يكون الرسول عليه السلام هو الرقم الأول  
فى هذه القائمة ، بينما عيسى عليه السلام الرقم الثالث ومؤسس عليه  
السلام الرقم السادس عشر .

ولسكن لذلك أسباب : من بينها أن الرسول محمداً صلى الله عليه  
وسلم كان دوره اخطر وأعظم فى نشر الاسلام وتدعيمه وارساء قواعد  
شريعته وأعظم وأكثر مما كان لعيسى عليه السلام فى الديانة المسيحية،  
وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام هو المسئول عن مبادئ الأخلاق فى  
المسيحية ، الا أن القديس بولس هو الذى أرسى أصول الشريعة  
المسيحية ، وهو أيضا المسئول عن كتابة الكثير مما جاء فى كتاب « العهد  
الجديد » . أما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المسئول الأول والأخير  
من ارساء قواعد الاسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعى والأخلاقى  
وأصول المعاملات بين الناس فى حياتهم الدينية والدنيوية . كما أن القرآن  
السكرى قد نزل عليه وحده وفى القرآن السكرى وجد المسلمون كل  
ما يحتاجون اليه فى دنياهم وأخرتهم . والقرآن السكرى نزل على الرسول

صلى الله عليه وسلم كاملا ؛ وسجلت آياته وهو ما يزال حيا وكان تسجيلها في منتهى الدقة ، فلم يتغير منه حرف واحد وليس في المسيحية شيء مثل ذلك . فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتمسكهم المسيحية بشيء القرآن الكريم وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ العمق ولذات كان أثر محمد صلى الله عليه وسلم أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى عليه السلام على الديانة المسيحية .

فعلى المستوى الدينى كان أثر محمد صلى الله عليه وسلم قويا في تاريخ البشرية وكذلك كان عيسى عليه السلام . وكان الرسول عليه السلام على خلاف عيسى عليه السلام ، رجلا دنيويا ، فكان زوجا وأبا وكان يعمل في التجارة ويرعى الغنم وكان يحارب ويصافى في الحروب ويمرض . ثم مات .

ولما كان الرسول صلعم قوة جسارة فيمكن أن يقال أيضا أنه أعظم زعيم سياسى عرفه التاريخ . . فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذى جعلنى أؤمن بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو أعظم شخصيات أئمة في تاريخ الإنسانية كلها .

هذا رأى حديث ينصف الاسلام ورسول الاسلام ويعطيه حقه : وأصبح رسول الله بشاهدتهم أعظم انسان في الوجود .

وهناك مؤرخ آخر أنصف الاسلام وتعاليم الاسلام وحضارته وهو العالم سير توماس ارنولد في كتابه « الدعوة الى الاسلام » (١٢) .

يقول : « لم تجيء مهمة تبليغ الرسالة في تاريخ الاسلام بعد تريت وتفكير ولسكنها كانت ملقاة على عاتق المؤمنين منذ البداية ، وقد نرى ذلك واضحا في هذه الآيات القرآنية التى ننقلها هنا مرتبة بحسب تاريخ نزولها . « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » (١٢) .

---

(١٢) توماس ارنولد « الدعوة الى الاسلام » ص ٢٧-٢٨ .

(١٣) سورة النحل آية ١٢٥ ذكرت خطأ في الترجمة العربية ١٢٦ .

« وان الذين أوردوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وانبرت لأعدل بينهم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم . الله اجمع بيننا واليه المصير » (١٤) .

وفي الآيات المدنية نجد مثل هذه التعاليم - وقد نزلت على محمد بعد ان أصبح على رأس جيشه الكبير في ذروة سلطانه .

« وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين السليمين ان كان ناسبوا ففسدوا هتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » (١٥) .

نذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون - ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

وهكذا كان الاسلام منذ بدء ظهوره دين دعوة من الناحية النظرية او الناحية التطبيقية . وقد كانت حياة محمد تمثل هذه التعاليم ذاتها . وكان النبي نفسه يقوم على رأس طبقات متعاقبة من الدعوة المسلمين . الذين وفقوا الى ايجاد سبيل الى قلوب الكفار ، على انه ينبغي الا نلتمس على روح الدعوة الاسلامية في نسوة المشطهد — او عسف التعصب ولا حتى في مآثر المحارب المسلم ، ذلك البطل الاسطوري الذي حمل السيف في احدى يديه وحمل القرآن في اليد الأخرى وانما نلتمسها في تلك الأعمال الوديعه الهادئة التي قام بها الدعوة وأصحاب المهن الذين حملوا عقيدتهم الى كل صقع من الأرض ، على أن هؤلاء الدعوة لم يلجئوا الى اتخاذ مثل هذه الأساليب السلمية في نشر هذا الدين عن طريق الدعوة والافتناع ، بخلاف ما زعم بعضهم حينما جعلت الظروف القوة والعنف امرا مستحيلا ، يتنافى مع الأساليب السياسية ، فلقد جاء القرآن مشددا في الحض على هذه الطرق السلمية في غير آية منه مثال ذلك :

---

(١٤) سورة الشورى آية ١٤-١٥ ذكرت خطأ في المرجع السابق آية ١٣ - ١٤ .

(١٥) سورة آل عمران آية ٧٠ ذكرت خطأ في المرجع السابق آية ١٩

« واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ، وذرنى والمكذبين  
أولى النعمة ومهلهم قليلا » (١٦) .

« الا بلاغا من الله ورسالاته » (١٧) .

« قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما  
بما كانوا يكسبون » (١٨) .

« وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن  
ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على  
الرسل الا البلاغ المبين » (١٩) .

« ان تولوا فانما عليك البلاغ المبين » (٢٠) .

« ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا  
منهم وعلوا آمنا بالذي انزل اليك وانزل اليكم . والهكم واحد ونحن له  
مسلمون » (٢١) .

« فان عرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ » (٢٢)

« ولو شاء ربك لآمن من غير الأرض جميعا ، امانت تكره الناس حتى  
يكونوا مؤمنين » (٢٣) .

« وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (٢٤) .

ولم تكن هذه التعاليم مقصورة على السور المسكية : وانما وردت  
بكثرة في الآيات المدنية كقوله تعالى : « لا اكراه في الدين » (٢٥) .

---

(١٦) سورة الزمل آية ١٠ .

(١٧) الجن آية ٢٣ ذكرت خطأ في المرجع آية ٢٤ .

(١٨) الجاثية آية ١٤ ذكرت خطأ ١٣ .

(١٩) النحل آية ٣٥ ذكرت خطأ ٣٧ .

(٢٠) النحل آية ٨١ ذكرت خطأ ٨٤ .

(٢١) السنكوت آية ٤٦ ذكرت خطأ ٤٥ .

(٢٢) سورة الشورى آية ٤٨ ذكرت خطأ ٤٧ .

(٢٣) سورة يونس آية ٩٩ .

(٢٤) سورة سبأ آية ٢٨ ذكرت خطأ ٢٧٩ بالرغم من ان عدد آيات

هذه السورة ٥٤ آية .

(٢٥) سورة البقرة آية ٢٥٦ ذكرت خطأ ٢٥٧ .

« وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فائما عنى رسولنا  
ابلاغ المبين » (٢٦) .

« قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين » (٢٧) .

« ولا تزن تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح  
ان الله يحب المحسنين » (٢٨) .

وهناك أيضا من المستشرقين امثال المستشرق منلى فى كتابه « اليونان  
تحت حكم الرومان » (٢٩) « ان نجاح محمد كمشرع بين اقدم اقدم وأثبت  
البلدان قدما فى القسانون مدى أجيال طويلة فى شتى نواحي الهيكل  
الاجتماعى دليل على ان هذا الرجل الخارق قد كون من مزيج من كفايات  
ممتازة » .

أما وليم هوير الانجليزى فيقول فى كتابه « حياة محمد » (٣٠)  
« ومن صفاته عليه السلام الجديرة بالتنويه والاجلال الرقة والاحترام اللتان  
كان يعامل بهما أتباعه حتى اقلهم شأننا ، فالتواضع والرافة الانسانية  
وانكار الذات والسماحة والاخاء تغلفت فى نفسه ووثقت به محبة كل  
من حوله » .

أما السير توماس كارليل فيقول فى كتابه « الأبطال » (٣١) « لقد  
اصبح من العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر ان يصفى الى  
تلك الاتهامات التى وجهت الى الاسلام والى نبيه ، وواجبنا ان نحارب  
ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التى أداها  
ذلك الرسول الكريم مازالت السراج المنير لنحو أربعمائة مليون من  
الناس »

(٢٦) سورة التغابن آية ١٢ .

(٢٧) سورة الحج آية ٤٩ ذكرت خطأ آية ٤٨ .

(٢٨) سورة المسائدة ١٣ ذكرت خطأ آية ١٦ .

(٢٩) منير البعلبكي « دفاع عن الاسلام » ص ٤٧ .

(٣٠) المرجع السابق .

(31) T.A Cariel. The Herows and Herows Warshig P. 13

أما برنارد شو فيقول (٢٢) « لقد وضعت دائما من حين (صلمهم) موضع الاعتبار السامى بسبب حيويته المدهشة : فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جوابا لكل جيل من الناس » .

وبذلك نرى ان هناك فريقا من المستشرقين المنصفين حاولوا أن يكونوا وجهة نظر محايدة . وأن يكونوا أمناء فى دراساتهم : وأن ينخلوا عن العصبية والتعصب فى عرضهم للإسلام ومبادئه .

ولكن منهم فريقا القوا عن المسلمين عامة وعن المسلمين العرب خاصة ومعظمهم ممن يدعون بالمذاهب الفاشية أو النازية فى السياسة والاصناع وطائفة أخرى هى طائفة الماديين المحدثين الذين يدعون الى الهدم المذمات القائمة . ويقولون بأن الأديان كافة عقبة تعترض الإصلاح الإجتماعى الذى يلغى الروحانيات ويستبدل بها الماديات فى كل ما يطلب من مطالب الدنيا ولا حياة غيرها للإنسان .

وتصيب الإسلام عند هؤلاء الملحدن الماديين أوفر الانحسبة وأولاهم بالتقديم فى خطة الهدم والشموه لأن المسيحية لاتزاحم مذهبهم الإجتماعى بمذهب شامل لسانى لتشريع والنظم الاجتماعية والحكومة . ولحسن الإسلام يقيم المجتمع على نظامه . ويقرر الحقوق والواجبات بنظامه ويحيط بشؤون الدين والدنيا فى حياة الأحاد وحياة الجماعات وتغيير البناء الجديد على أساسه الخالد دون أن يضطر المسلم الى انكار قاعدته من قواعد العبادات فيه والمعاملات (٢٢) .

لهذا لا بد أن نصل الى نتيجة هامة وهى أن عمل المستشرقين يناقض فى كثير من الأحوال الطابع العلمى الصحيح . لهذا السبب ولغيره من الأسباب . ولم يكن الانحراف عن جادة البحث العلمى خاصا بطائفة من المستشرقين دون أخرى : فقد كان من الصعب عليهم وأكثرهم مسيحيون منديون أن ينسوا أنهم يدرسون دينا ينكر عقيدة التثليث وعقيدة الصلب

---

(٢٢) مؤبر البعلبكي « دفاع عن الإسلام » ص ٤٨ .

(٢٣) عباس العقاد « مايقال عن الإسلام » ص ٩ .

والفداء . وهما أسس الدين المسيحي . كما كان من العسير أيضا ان  
سمافلوا عن الفتوحات الاسلامية التي بدأت في عهد الخليفة الاول أمير  
تفتت على المسيحية وأطلت الاسلام محلها .

الحقيقة ان هذه الحقائق عملت عملها في نفوسهم فذمعتهم الى  
الانحراف والتخلي عن مبدأ الحيادة التامة فيما يتعاملون من دراساتهم ومن  
عنا مسار من الطبيعي الا نأخذ نتائجهم بروح التسليم والثقة وأصبح من  
الواجب ان ننظر اليها بعين الحذر والتحفظ .

ومما يؤكد قولنا هذا هو ان هناك فريقا آخر من المستشرقين الذين  
حاولوا ان يتجردوا من العواطف الدينية ، وقد أعرّبوا عن انكارهم للانحراف  
العلمي الذي وقع فيه كثير من زملائهم وسنورد بعضا مما قالوه من هذا  
الصدد .

قول الأستاذ مونجمري وات (٢٤) .

« جد الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصور المشوهة  
التي تولدت في أوروبا عن الإسلام ، وعلى رغم الجهد العلمي الذي بذل  
في هذا السبيل ، فإن آثار هذا الموقف الجاهل للحقبة التي احتلتها كتابات  
القرن الوسطى في أوروبا لازالت قائمة : فالبحوث والدراسات الموضوعية  
لم تقدر بعد على اجتبابها » .

ويقول الأستاذ برنارد لويس في كتابه « العرب في التاريخ » (٢٥)  
« لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في : وُلغات عدد من العلماء  
المصائبين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المخصوصة في الأبحاث  
العلمية » .

ويقول الأستاذ المستشرق الانجليزي جيب في كلامه عن بحوث  
المستشرقين « لقد قامت في صفوفهم في السنوات الأخيرة محارلة ايجابية

---

(٢٤) إبراهيم اللبان « والمستشرقون والاسلام » ص ٢٦ .

(٢٥) برنارد لويس « العرب في التاريخ » ص ٦٢ .

تحاول النفوذ بصدق وإخلاص إلى أعماق الفكر الديني للمسلمين ، بدل  
السطحية الناقضة التي اصطفت بها دراساتهم السابقة « (٢٦) .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن التأثير بالأحكام التي سبق أن صدرت  
عن الإسلام واتخذت صورة تقليد منهجي في الغرب مازال قويا  
في بحوثهم « .

ويقول الأستاذ نورمان دانيل « على رغم المحاولات الجديدة المخلصة  
التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرك من المواقف التقليدية  
للكتاب المسيحيين عن الإسلام ، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا . إنها مجردا  
تاما كما يتوهمون (٢٧) .

لا نريد أن نخشى إلى أبعد من هذا في إيراد الأحكام التي صدرت  
من بعض المستشرقين المتصفيين على زملائهم المتعصبين ، فهذا التدر كافي  
بالنسبة لفرضنا .

---

(٢٦) إبراهيم اللبان « المرجع السابق » ص ٣٦ .

(٢٧) المرجع السابق ص ٣٧ .



## هجوم المستشرقين على الإسلام

من أهم من كتب في الهجوم على العقيدة الإسلامية المستشرق اليهودي الأصل المجرى المولد جولدزيهر والذي يعتبر من أشهر علماء الغرب في مجال الاستشراق ، لأنه قد قصد أشهر مدارس الاستشراق للدراسة في برلين وليبزيغ وبودابست ، وسافر إلى سوريا سنة ١٨٧٣ وصحب فيها الشيخ طاهر الجزائري ، ثم توجه إلى فلسطين ومصر ، حيث تطلع في العربية على شيوخ الأزهر (١) وعلى الرغم من ذلك إلا أنه في جميع آرائه وأحكامه عن الإسلام لم يتخل عن نزعته اليهودية فالف كتابا عن « تاريخ الجنس البشري » صور فيه الإسلام أنه من وضع محمد عليه الصلاة والسلام وأن محمداً كان تلميذاً لليهود .

والواقع أن فكرة استمداد الرسول القرآن من اليهودية قد استخدمها المستشرقون أوسع استخدام ، فأنهم لم يقتصروا على أن ادعوا أن الرسول استمد القصص القرآني من قصص التوراة ، بل ذهبوا إلى أبعد من هذا ، فادعوا أن الرسول استمد كثيرا من أحكام الشريعة الإسلامية وفي شاموس الإسلام لهيوز ترى نماذج كثيرة لهذه المحاولة ففي مادة اليهودية يحاول هيوز أن يرينا كيف اعتقد الرسول على اليهودية فانتبس منها كثيرا من أحكام الطهارة وغيرها (٢) .

ويشارك جولدزيهر رأيه « جورج سيل » وهو أحد مترجمي القرآن المبكرين بقول في مقدمة ترجمته :

« أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فلم لايقبل الجدل ، وإن كان من المرجح ، مع ذلك أن المعاونة أُنشئ حصل

---

(١) نجيب العقيلي « المستشرقون » ص ٢٨١ .

(٢) اللبان « المرجع السابق » ص ٤٥ .

عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة ، وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك نفسه « (٢) .

وإذا كان جورج سسيل قد بت في مصدر القرآن على النحو السابق فجعل الرسول مؤلفه دون موارد ، فان الاستاذ « ريتشارد بل » مؤلف كتاب مقدمة القرآن قد سد النقص الذي تركه جورج سسيل في تلك الاكثوية فاستظهر ان الرسول قد استمد من الكتاب المقدس كثيرا مما جاء في القرآن وبخاصة القصص فهو يقول :

« واعتماده على الكتاب المقدس وبخاصة العهد القديم في قسم القصص فبعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود مستمد من مصادر عربية ولكن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد تفسر تعاليمه يدعمها قد استمده من مصادر يهودية ومسيحية . وعنده انه حصل على أربع فرصة للاستمداد من الكتاب المقدس حينما هاجر الى المدينة فهو يقول « وفي المدينة كان محمد بالنسبة لمعرفة ما في كتاب العهد القديم في وضع افضل من وضعه السابق في مكة فقد كان على اتصال بالجاليات اليهودية التي كانت دون شك تضم ربايين ومثقفين ، وهناك دلائل على انه انتفع بهذه الفرصة فحصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل » (٤) .

الى جانب ما كتبه جورج سسيل ، فهناك ما كتبه ج. ايزاك في كتابه « محاضرات للشرق الأدنى في العصور الوسطى » جاء فيه ص ٣١ . وانفق محمد في اثناء رحلاته ان يتعرف شئنا قليلا من عقائد اليهود والنصارى ، ولما اشرف على الاربعين اخذت تتراءى له رؤى اذنعته بان الله اختاره رسولا .

ص ٣٢ : والقرآن مجموع ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما هو يتكلم ، وقد أمر محمد أتباعه ان يحملوا المسالم على الاسلام بالسيف ١٥١- اقتضت الضرورة .

(٣) اللبان « المرجع السابق » ص ٤٣-٤٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٥ .

ص ٣٦ : وبينما كان محمد بعد كان المؤمنون به بدون كلماته على عجل .

ص ١٢٦ : ودخلت فلسطين في سلطان الكفرة منذ القرن السابع الميلادي (٥) .

وهناك كتاب آخر اسمه « تاريخ فرنسا » تأليف هـ غومان :  
فـ لوستر .. جاء فيه :

ص ٨٠ — ٨١ : « ان محمدا مؤسس دين المسلمين ، قد امر أتباعه ان يخضعوا العالم ، وان يبذلوا جميع الأديان بدينه هـ ، ما عظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين ، وبين النصارى . ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس « اسلموا أو تموتوا » في حين ان اتباع المسيح يحوا النفوس ببرهم واحسانهم . باذا كانت حال العالم لو ان العرب انتصروا علينا ، اذ لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والراكشيين (١) »

وفي مسألة وضع القرآن بسر المسفرتون في هذا الاتجاه الخاطيء يؤكدون على آرائهم في ان القرآن الكريم ، وضوح وليس وحيا من عند الله ، انه مرآة لانقى خاص من الحياة هو افق من عقائد تلك العقائد المنتشرة في رقعة الجزيرة العربية لاسواها . ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق الإنجليزي حب استاذ الدراسات العربية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة . في كتابه « المذهب الحمدي » وكتاب مفكر تسدل « مصادر الاسلام » فهما يؤكدان ان شرائع الاسلام تأسست من شرائع الأديان المعاصرة له والمنتشرة وقتئذ في الشرق الا وهي اليهودية والمسيحية ، الهندية ، الصابئة والفارسية والجاهلية (٧) .

ويحسن بنا ان نورد نموذجا لافتراءاتهم في هذا الموضوع ليتبين لنا مدى خطورة ما يكتبون في كتبهم .

(٥) مصطفى خالدي « التبشير والاستعمار » ص ٧٤ .

(٦) المرجع السابق ص ٧٥ .

(٧) ابراهيم خليل « المستشرقون والمبشرون » ص ٣١ .

(٨) — الاستشراق .

لقد زعموا أن الإسلام أخذ من الجاهلية صلاة الجمعة وصوم عاشوراء  
وتجليب البيت الحرام وحذف الذكر في المراث مثل حظ الأنثيين ، التكبير ،  
الأشهر الحرم ، والحج والعمرة ، نكف الإبط والوضوء والافتسار والختان  
وتقليم الأظفار .

وأخذ من الصابئة الصلوات الخمس ، والصلاة على الميت ، وصيام  
شهر رمضان ، والقبلة وتعظيم مكة ، وتحريم الميتة ولحم الخنزير ، وتحريم  
الزواج من القرابات .

وأخذ من الهندية والفارسية ، قصة المعراج والجنفة والحدور  
والولدان والصراط .

وأخذ من اليهودية ، قصة قابيل وهابيل ، وقصة إبراهيم وقصة  
ملكة سبا وقصة يوسف .

وأخذ من النصرانية قصة أهل الكهف وقصة مريم العذراء وقصة  
طفولة يسوع .

ومن هذا يخلصون بآرائهم الى القول بأن القرآن ليس وحيا من  
الله اذ انه لو كان وحيا من عند الله لكان للناس جميعا فى كل مكان وكل  
زمان (٨) وأمام هذه النزعات الخطيرة ضد الإسلام يقول الله سبحانه  
فى شأن القرآن « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٩) ويقول عن  
الرسول الكريم وعن العرب الذين بعث فيهم « هو الذب بعث فى الأميين  
رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان  
كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وآخرين منهم لم يلحقوا بهم وهو العزيز  
الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (١٠)  
ويقول « انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا  
يقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين » (١١) ويقول « الذين  
يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل

---

(٨) إبراهيم خليل « المستشرقون والمبشرون » ص ٨٤ .

(٩) سورة الحجر آية ١٥ .

(١٠) سورة الجمعة آية ٢ : ٤ .

(١١) سورة الحاقة آية ٤٠-٤٣ .

يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » (١٢) ويقولُ جُل وعلا في عموم رسالته « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١٣) .

ويرى الأستاذ عباس العقاد في هؤلاء الذين ينتقدون القرآن « المبشرين المتخصصين لنقد القرآن وعقائد الإسلام آفة من هذه الآفات ، فليس فيهم عرفناهم منهم واحد يسلم من التخطي في التفكير كما يتخطى المصابون بالعلل العقلية ، أو يملكه التعصب الذميمة فيقوده إلى المغالطة ، ويسول له أن يحجب الحقيقة عن عينه بيديه ، أو يعمل عمل المحترف الذي يحتال لصناعته بما وسعه من وسائل الترويح والتضليل ، ولا يعنيه إلا أن يعرض بضاعته ويهييء لها أسباب النفاق في السوق ، وربما اكتفى من النفاق باقتناع صاحب البضاعة بصدق الخدمة في العرض والترويج » (١٤)

فالقرآن الكريم معجزة خالدة لرسالة خالدة ، ودراسته تنفي أن يكون شيء من كلام البشر ، والموازنة بينه وبين الأحاديث النبوية تؤكد أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم لا تقدر له على الاتيان بقرآن مثله وما فيه من تشريع ديني واجتماعي وسياسي وقوانين ومعاملات وشئون أسرة وعلاقات خارجية ونظام حروب لا يمكن أن يقوم به فرد واحد مهما كانت دراسته ، إلى جانب اخبار القرآن بأفاصيل الأمم السابقة وأنبأؤه بحوادث مستقبلية ، وتحدثه عن خواطر أنفسنا ونوازعنا وغرائزنا ما لم نهتد إليه إلا في ضوء علم النفس الحديث ، وقد الفت كتب عديدة لدراس الاعجاز القرآني (١٥) .

فمن ذلك نخلص إلى أن جميع هذه الافتراءات التي يفترى بها المستشرقون على القرآن الكريم ، الذي هو مصدر الهى بلغظه ومعناه ، ليس من عمل محمد ، وإنما هو قول وحى كريم هو جبريل تلقاه من لدن حكيم عليم ثم أوحاه بلسان عربي مبين إلى قلب محمد فتلقفه محمد منه كما يتلقن

(١٢) سورة الاعراف آية ١٥٧ .

(١٣) سورة سبأ آية ٢٨ .

(١٤) عباس العقاد « مايقال عن الإسلام » ص ١٦٩ .

(١٥) عبد الجليل شلبي « الإسلام والمستشرقون » ص ٦٩ .

التلميذ من استاذة نصا من النصوص ولم يكن له من عمل بعد ذلك الا :

- ١ — الوعى والحفظ « سنقرئك فلا تنسى » .
- ٢ — الحكاية والتبليغ « وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » .
- ٣ — البيان والتفسير « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » .
- ٤ — التطبيق والتنفيذ « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله » (١٦) .

وقد نقل الينا هذا القرآن كاملا متواترا نقلته اجيال عن اجيال تلاوة باللسنة ، وحفظا فى الصدور ، وكتابة فى المصاحف وشهادة فى التاريخ بتواتر هذا الكتاب شهادة ناصعة لا يماثلها ولا يدينها شهادة لكتاب غيره ظهر على وجه الارض . هذا الكتاب هو المصدر الوحيد لعقائد الاسلام والمصدر الاول لنظمه وتشريعاته وآدابه وتوجيهاته وقد تلقاه المسلمون بالشرح والتفسير والتحليل ، كل فى مجال عمله واختصاصه واستنبطوا منه احكام دينهم وأصول مجتمعهم ، هذا فى مجال العقيدة ، وذلك فى مجال الفقه والتشريع وثالث فى مجال الآداب والأخلاق . وقد وضعوا الأسس السليمة والقواعد المثينة لفهم هذا الكتاب والاستنباط منه وفق ما عرفوه من أساليب لغتهم العربية وما خطبه لهم النبي من توجيهات وما فهموه من جملة تعاليم الاسلام وروحه العامة .

ولم يجد هؤلاء العلماء فى آيات هذا الكتاب الا التناقض والاختلاف فهى يصدق بعضها بعضا ويفسر بعضها بعضا وما يظنه القاصرون الذين يجهلون اسرار اللغة العربية واساليبها تعارضا أو اختلافا فما هو بالتعارض أو الاختلاف ، وإنما هى نصوص عامة تقبدها نصوص خاصة أو آية مطلقة تفسرها آية مقيدة وهكذا (١٧) .

نعم ان فى القرآن آيات محكمات وأخر متشابهات ، كما قال تعالى :  
« هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر

(١٦) الفرضاوى والعيسال « الاسلام بين شبهات الضالين » ص ٣٥

(١٧) المرجع السابق ص ٣٦ .

منشأتهات : فما الذين في قلوبهم زيغ فيتعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الى الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب « (١٨) .

ويقف المستشرقون المعاصرون عند نصوص معينة من القرآن ينخذون من فهمهم الخاطيء لها دليلا على ان محمدا استقى تعاليمه من الكتابيين وليس فيها دليل على ما يريسون . فقد ذكر المستشرق الانجليزي الفرديوم (١٩) والمستشرق الامريكي فردريك بلس ان الآية التي تقول : « يا اخت هارون ما كان ابوك امرا سوا وما كانت امك بغيا » (٢٠) قد اختلطت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول جيويم ان محمدا كان دارسا مبتدئا للكتاب المقدس - فظن ان مريم ام عيسى عليه السلام هي مريم اخت هارون ، مع ان بين عيسى وهرون زمنا طويلا . ويقول بلس « خاطب القرآن السكريم مريم على لسان قومها بعد ان ولدت عيسى ولم يكن لها زوج بقوله يا اخت هارون ما كان ابوك امرا سوا وما كانت امك بغيا ، ويقول كيف تكون مريم اخت موسى هي التي عاشت قبل المسيح بالف راربعمائة عام هي ام المسيح » .

ومن العجيب ان يتناقل الفكرة آخرون ويتبسكوا بها ، وكلمة اخت في اللغة العربية لاتعنى فقط الاخوة في النسب ، وانما تعنى مع ذلك الشبيه والمائل . وقد كانت مريم ام المسيح معروفة بورعها ورتبها وهي الانثى الوحيدة التي تقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا . وكانت تشبه بهارون في ورعها وتقواها (٢١) .

رسالة ١ اء اءلف فنزار وهو دكتور في الفلسفة فهم تائه تعالى مخاطبا رسوله السكريم : « افاننت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (٢٢) ولم يفهم المعنى الصحيح البسيط وان الجملة استفهام انكارى لا استفهام عاى « (٢٣) .

(١٨) سورة آل عمران آية ٧ .  
(19) A. Guillaume The legacy of Israel. P. 18.

(٢٠) مصطفى خالدى « التبشير والاستعمار » ص ٤١ .  
(٢١) سورة مريم آية ٢٨ .  
(٢٢) سورة يونس آية ٩٩ .  
(٢٣) مصطفى خالدى « التبشير والاستعمار » ص ٤١ .

وعلى الرغم من هذا الهجوم المستعمر الا ان هناك عتولا مستتيرة حاولت ان تقف موقف الجسدية والبحث العلمى التزييه ، فنرى المستشرق ديزيريه بلانشيه مؤلف كتاب « دراسات فى التاريخ الدينى » بقول « لقد اتى محمد بكتاب تحدى به البشر جميعا أن يأتوا بسورة من مثله فشهد بهم المعجز وشملتهم الخبيسة وبهتوا امام ذلك الاحراج القوى الذى اغلق فى وجوههم كل باب » (٢٤) .

ويقول الأستاذ ديرمانجيم « لقد تحدى محمد الانس والجن أن يأتوا بمثله وهذا هو برهان رسالته بالمعنى الكامل ، ولم يكن الأمر من القرآن متعلقا بقيمة أدبية استثنائية . فان محمدا كان يحتقر الشعراء ودفع عن نفسه أن يكون واحدا منهم . ولكن الأمر متعلق بشيء آخر غير هذه القيمة وهو الفرق بين وحى الاله وتلقين الشياطين » (٢٥) .

فبذلك فالقرآن برىء وأكبر من أن ينال منه هؤلاء الحانسدون فهو معجزة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يبيلفسه عن ربه ، فالقرآن كلام الله تحدى به الغرب أن يأتوا بمثله فعجزوا « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » (٢٦) وقوله تعالى : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » (٢٧) وقوله تعالى : « لنن اجتمعتم الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٢٨) وقوله تعالى « ام يقولون افترأه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » (٢٩) .

وفعللا لم يجرؤ أحد على مر العصور على التحدى وعلى الاتيان بمثله، خاصة وأن القرآن نزل على قوم يتمتعون بالبسلاغة والفصاحة ومنهم الشعراء والخطباء ، فلم يبق الا كلام الله وليس كلام البشر ، وظل القرآن يتحدى على مر العصور ، فالقرآن اذا معجزة خالدة تشهدا بحن الان كما

- 
- (٢٤) محمد غلاب « نظرات استشرافية » ص ٣١ .  
(٢٥) محمد غلاب « نظرات استشرافية فى الاسلام » ص ٣١ .  
(٢٦) سورة الطور آية ٣٤ .  
(٢٧) سورة البقرة آية ٢٣ .  
(٢٨) سورة الاسراء آية ٨٨ .  
(٢٩) سورة يونس آية ٢٨ .



شهدها الذين أنزل القرآن فيهم لم تغب منه كلمة ، ولم تضم اليه أخرى .  
وكما جاء فيه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٢٠) وجاء أيضا  
« وقرآنا فرمناه لتقرأه على الناس على مكث » (٢١) .

### موقف المستشرقين من السنة النبوية :

يزعم المستشرق المجري جولدزيهر أن الاسلام دين تطور على يد  
المسلمين ، وذلك بكثرة الإضافات التي جعلت كيان هذا الدين يصل الى  
حد لم يعرفه محمد صلى الله عليه وسلم . واول هذه الإضافات السنة ،  
فان الوفاء الأحاديث التي ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم نطق بها  
هي من صنع العلماء الذين أرادوا أن يجعلوا من الاسلام ديناً كبيراً شاملاً ،  
فخلقوا هذه الأحاديث ويذكر « ان تعاليم القرآن نجد تكلفتها واستمرارها  
في مجموعة الأحاديث المتواترة ، وهي وان لم ترو عن النبي « صلى الله  
عليه وسلم » مباشرة ، تعتبر أساسية لتميز روح الاسلام » (٢٢) .

ويقول أيضا « ان هذه الأحاديث وغيرها من النصوص المماثلة والتي  
يسهل علينا جمعها لاتمثل الأخلاق فحسب بل انها لتعبر عن العاطفة العامة  
لفقهاء المسلمين ، ولكن الاسلام خلال توسعه التالي وبفعل التأثيرات  
الأجنبية ترك مجالاً لدقة العلماء المعنيين ولعلماء العقائد » (٢٣) .

ولا بد لنا قبل أن نرد على هذا الهجوم أن نعرف معنى السنة، فالسنة  
ليست الا الطريقة العملية أنضطرده التي نقلت عن الرسول نقلاً متواتراً  
عملياً معروفاً عند السكافة ، ومن الوصايا بها على هذا المعنى ماورد من  
أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء  
الراشدين من بعدي » وقوله صلى الله عليه وسلم « من رغب عن سنتي  
فليس مني » فان سبيلها في هذين هو سبيلها في الرخصة السابقة (٢٤) .

- 
- ٠ (٣٠) سورة الحجر آية ٩ .
  - ٠ (٣١) سورة الاسراء آية ١٠٩ .
  - ٠ (٣٢) جولدزيهر « العقيدة والشريعة » ص ٣١ .
  - ٠ (٣٣) المرجع السابق ص ٣٣ .
  - ٠ (٣٤) حمود شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ٤٦١ .

وقد أخذت كلمة سنة عند علماء الأصول معنى آخر وهو ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال أو أفعال أو تقريرات . وكانت بهذا المعنى المصدر الثاني من المصادر التشريعية ، يستنبطون منها كما يستنبطون من المصدر الأول وهو القرآن ، ويرجعون إليها في فهم المراد منه .

أما الفرق بين القرآن والسنة فيرجع أولا إلى أن القرآن قد اتخذ له الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا يكتبونه ، ويرتبونه بآياته وسوره حسب ما أمر به من الله ، بينما السنة لم يتخذ لها كتابا ، ولم يكتب منها الا القليل ، بل ورد النهى عن كتابتها بحفظها في الصدور .

ثانيا : القرآن لم ينقل منه شيء بالمعنى ، ومنع ذلك فيه معا باتا في حين أن السنة قد أبيع فيها ذلك ، ونقل كثير منها بالمعنى ، ولا يخفى تفاوت الناس في فهم المعنى وأسلوب التعبير والنقل .

ثالثا : القرآن نقل بالنسبة بالتواتر حفظا وكتابة ، ولسكن السنة ، قد نقل معظمها بطرق الأحاد ، ولم يتواتر منها الا القليل .

رابعا : كان الأصحاب يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم عند اختلافهم في حرف من القرآن ، وكان يحكم بينهم فيه ، أما بتعيين احدي القراءتين أو باجازتهما ، ولسكن السنة لم يعهد فيها شيء من ذلك (٣٥) .

هذه هي حقيقة السنة المحمدية التي حاول هذا المشرق وغيره الحط من شأنها ورميها باتهامات كثيرة كما رأينا . فكيف تكون هذه الاتهامات والرسول الذي اثرت عنه هذه السنة ظل قرابة ربع قرن يعظ الناس ويعلمهم ويربيهم ويفتيهم ويبصرهم بما يدعون ويفعلون .

وكان عمله وقوله بداهة يسيران بين يدي الوحي النازل عليه من السماء ، وهذا التراث من الأموال والأعمال تلقفه المسلمون بعناية وتقدير بحكمة والموازن التي وضعوها لقبول السنن وردّها لاتعرف الدنيا ادق ولا اعدل منها .

فالسنة كما ذكرنا في المصدر الثاني في الاسلام . واذا ثبت ان  
محمدنا رسول الله يوحى اليه كان لما يقوله ويبدى اليه في مبين هذا  
الاسلام وتوضيح معالمه وتطبيقه في الحياة منزلة الوحي المعنوي .

« وما اتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » هذه السنة  
مشت في رحاب القرآن ، وعبرت عن روحه شارحة موضحة ، ونركت  
للناس ابواب الفهم والتجديد في امور حياتهم المظورة التي تتصل  
بوسائل المعيش التي تتغير بتغير البيئات والازمان ، وفي ذلك يقول  
رسول الله صلى الله عليه وسلم « انتم اعلم بشئون دنياكم » (١٦) .

وقد وجدت هذه السنة من الرعاية في حفظها وجمعها وتقنينها من  
اندخيل عليها ، مالا يزال التاريخ العلمى يذكره بالفخر والاعجاب .

فقد حاول اعداء الاسلام ان يدسوا فيها ما ليس منها ليكفروا نقاءها  
فرضعوا احاديث مكدوبة ، وروايات ملفقة ، ونسبوا زورا الى رسول  
الله منتهزين ما حاق بالمسلمين من عتق في فترة من الدهر ، ولكن سرعان  
ما وقف الافذاذ من سلف هذه الامة الذين كرسوا حياتهم بطوفون البلاد  
وبجوبون التنفر بحثا عن صحيح السنة ، وكشفا عن زائفها ، وكان العهد قريبا  
بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، والامة العربية امة حفظ ووعى ،  
فرضع هؤلاء العلماء الاصول والقواعد للرواية وبحثوا عن الرجال وجرحوا  
وعدلوا ، والفوا الكتب الكثيرة في التاريخ والسير والاسماء ، ولم  
ياخذوا الا عن ثقة عدل حافظ ضابط ، حتى لقد افردوا كتبنا للثقاة من  
الرواة ، وكتبنا للضعفاء ، وذلك جهد لم يعرف لامة في صيانة تراثها  
وتراث نبيها .

وما يقال انهم اهتموا بسند الحديث ورواته دون موضوعه او مثله  
فهذا كلام غير صحيح ، لانهم اهتموا بالموضوع فخردوا الحديث الثابت المخالف  
لما عرفوا من اصول وردوا الاحاديث لعل قنادحة تتصل احيانا بالموضوع  
كما تتصل بالسند ، نعم انهم وجهوا جل همهم الى السند والرواة لان  
الموضوع تختلف العقول في قبوله ، ورده حسب عصورهم وتقنياتهم وما

خان يعتبر صحيحا مقبولا بالأمر قد يعتبر خطأ مرفوضا اليوم وبالعكس (٣٧)  
فقاموا بما عليهم في نقد الرواه وتجلية حالهم وتركوا لمن يأتي بعدهم مهمة  
الحكم على موضوع الحديث بما يتفق وما عندهم من وسائل الفهم وموازين  
النقد . وهناك رد على جولدزبير من قبل الأستاذ الغزالي يقول : وهنسا  
نتساءل نحن : كيف يتصور هذا المستشرق أن الاسلام ينمو ؟ ان المقطوع  
به لدينا وفق النصوص المجمع عليها . ان الاسلام في حياة الرسول  
اكتمل في عقائده وعباداته وأخلاقه واحكامه ، ونصوصه وقواعده ، وان  
الرسول انتقل الى الرفيق الاعلى وترك الاسلام على هذا النحو ، وأن  
المسلمين من القرن الأول الى يوم الناس هذا يعتبرون أي تزيد على الدين  
بدعة تحارب ، ويرفضون من أي مخلوق ومن أي جماعة ان يضموا الى  
هذا الدين جديدا ، فكيف ساغ لهذا المستشرق أن يركب هذا  
الشطط ؟؟ (٢٨) .

#### الفقه الاسلامي والمستشرقون :

لم ينج الفقه الاسلامي من هجمات المستشرقين بل انهم بدأوا يشككون  
فيه ، ويذكرون ان هذا الفقه مستمد من القانون الروماني ومعتمد عليه  
اعتمادا كبيرا ، كما انهم عدلوا مواد هذا القانون طبقا للظروف المحلية  
وان هذا التراث الذي خلفوه ليسوا بأربابه وان الامامين مثلا الأوزاعي  
والشافعي قد درسا القانون الروماني في مدرسة بيروت القانونية (٣٩)  
ومن المستشرقين الذين يزعمون ذلك جولدزبير في كتاب « العقيدة والشريعة  
في الاسلام » وكذلك دي بور الذي يقول « بعد ان فتح المسلمون بلادا  
ذات مدن قديمة نشأت حاجات لم يكن للاسلام عهد بها وحلت محل  
شئون الحياة العربية البسيطة عادات وانظمة لم يرشد لها التشريع  
ارشادا دقيقا الى وجه الحق فيها ، ولم يرد في السنة بالنفي ولا بالتأويل  
ما يبين الطريق الى معالجتها . ثم اخذ عدد الوقائع الجزئية يزداد يوما بعد  
يوم وهي لم ترد فيها نصوص ولم يكن للمسلمين بد من الحكم فيها ، اما  
بما يتفق مع العقل ، واما بما يهدهم اليه ادراكهم لمعنى الخير ، ولا بد من

---

(٣٧) القرضاوى والعسال « المرجع السابق » ص ٣٨ .  
(٣٨) محمد الغزالي « دفاع عن العقيدة والشريعة » ص ٦٤ .  
(٣٩) محمد الدسوقي « الاسلام والمستشرقون » ص ٤١ .

أن يكون القانون الروماني قد ظل زمنا طويلا يؤثر تأثيرا كبيرا في هذا الاتجاه في الشام والعراق وهما من ولايات الامبراطورية الرومانية « (٤٠)

ويقول المستشرق ايموس « ان الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للامبراطورية الشرقية معدلا وفق الاحوال السياسية في الممتلكات العربية » (٤١) .

ويقالى المستشرقون في حكمهم على الفقه الاسلامي حتى نرى منهم طائفة تذكر ان الفقه اعتمد اعتمادا كبيرا على الاجتهادات التي جعله بذلك دينا مصفيا ، كما أنهم وعلى رأسهم المستشرق الأمريكي ارنست جاريسون في كتابه « The march of faith » يذكرون ان الاسلام ماهو إلا عمليات نهية وهي عبارة عن مزيج مشوه من الآراء والمدرجات الخاطئة (٤٢) .

ومن هؤلاء المستشرقين أيضا سالمون اسنرتزن الذي تخصص في الفقه والتاريخ الاسلامي ، وكذلك المستشرق الفرنسي دي كوروا المتخصص في التشريع الاسلامي والمذاهب الاسلامية وكذلك المستشرق الفرنسي بوتييه الذي درس مذاهب المسلمين ، مبلين الذي ترجم الاجازة في فنون التدريس عند الاسلام في المذهب الحنفي والجهناد والزكاة والنشارع الاسلامية (٤٣) .

ولكن هناك بعض المنصفين مثل المستشرق الايطالي نلينو الذي كتب موضوعا عن « نظرات في علاقات الفقه الاسلامي بالقانون الروماني وفيه يذكر ان دومنيكو غانيسكي كان اول من زعم ان القانون الاسلامي في جوهره مستمد من القانون الروماني ، ولكنه كان لايعرف العربية ولا التركية بل اهتم بالمسائل القانونية والقضائية » (٤٤) .

---

(٤٠) محمد الدسوقي « الاسلام والمستشرقون » ص ٤٩-٥٠ .

(٤١) محمد الدسوقي « الاسلام والمستشرقون » ص ٥٠ .

(42) Garrison. The March of faith P. 66.

(٤٣) نجيب العتيقي « المستشرقون » ج ٢ مفرق .

(٤٤) صلاح الدين المنجد « المتقى في دراسات المستشرقين » ص ٤٦ .

وانتشر هذا الرأي حتى ثالوا ان هناك بشارنة بين قوتين حسنيين والتشريع الاسلامى ، وزعموا ان القواعد الرومانية دخلت فى الاسلام فى زى الاحاديث الموضوعه التى نسبت الى محمد .

ومن هؤلاء هنرى هيوك الذى قال ان الفقه الاسلامى فى الاساس ليس الا القانون الرومانى بتعديل لا يذكر (٤٥) .

ويذكر الأستاذ نلينو أدلة متتعة على خطأ هذه الآراء بين ذلك أنهم يتصيدون بكل جهد المشابهات ويهملون الاشارة الى الاختلافات التى تعتبر محطاً بين قيمة المتشابهات وقدرها ، كما أنهم أهملوا الفرق العظيم الذى يوجد بين الغرب القديم وبين العالم الاسلامى فى تصور القانون وفى مصادره ، كما أن الغرب كان يخلط عندما يتكلم عن القانون الوضعى بينه وبين الفقه الاسلامى لأنه لا توجد ترجمة حرفية للانجليزية مثلا لكلمة فقه الا Law بمعنى قانون وثمان بين الفقه الذى يبحث علاقة المؤمن بالله وبفلسفه وبسائر ابناء جنسه وبالعبادات والاحوال الشخصية والوراثة والحقوق المالية والاوقاف والحدود والسير ، ولذلك نجد ان مايفهمه علماء أوروبا عن الفقه الاسلامى هو اختلاف بين القضايا الفقهية « (٤٦) .

والحقيقة ان المزاعم الضالة التى نادى بها المستشرقون ان دلت على شىء قائما تدل على جهل الباحثين بحقيقة الشريعة الاسلامية وكنا نعذر هؤلاء المستشرقين لو ان القانون الرومانى والتشريع الاسلامى يتفقان فى المنابع والغايات او يتشابهان فى الحقوق والواجبات او يمتريان فى الاساس والعقوبات .

اما الشريعة الاسلامية فهى تنافض القوانين الرومانى فى القيم الاخلاقية والاجتماعية وتخالفه مخالفة واسعة الامد فى النظرة الى الانسان والى الحياة كلها ، فان القول باستفادة الفقه الاسلامى من الرومان قول بين البطلان .

فالفقه الاسلامى يستقى أولا وآخرًا من الوحى ، وقد امده الكتاب

---

(٤٥) المرجع السابق .

(٤٦) المرجع السابق ص ٤٧ .

والسنة بأحكام كلية وجزئية لا تحصى ، أحكام تتناول الإنسان منذ نعومة  
أظفاره الى مثواه الأخير (٤٧) .

والمعروف أنه لم توجد في الحضارات القديمة أية كتب في الفقه  
واشتغلت بالشئون التشريعية الى حد الاسراف مثل ما اثر ذلك عن الحضارة  
الاسلامية والامة الاسلامية ، فالفقه الروماني لا يعدو ان يكون نظيبا ضعيفا  
خطؤه اكثر من صوابه لاجتماع تحكمه علاقات فوق البدائية حينما ودونها  
حينما آخر . وقد قدم ابن خلدون في مقدمته تفسيرا للفقه الاسلامي بانه  
« هو معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب  
والكراهة والاباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع  
لمعرفتها من الأدلة ، فاذا استخرجت الاحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه ،  
وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم ، ولابد من  
وقوعه ضرورة أن الأدلة من النصوص وهي بلغة العرب ، وفي اقتضاءات  
الفاظها الكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف ، وايضا فالسنة مختلفة  
الطرق في الثبوت وتعارض في الاكثر احكامها فتحتاج الى الترجيح ، وهو  
مختلف ايضا ، فالأدلة من غير النصوص مختلف فيها وايضا فالوقائع  
المتجددة لا توفى بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيحمل  
على نصوص لشابهة بنيتها ، وهذه كلها اشارة للخلاف ضرورة الوقوع  
ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والائمة من بعدهم » (٤٨) .

ومن هذا النص يتضح لنا ان هناك فرقا واضحا بين الشريعة  
الاسلامية والفقه الاسلامي فالشريعة هي النصوص المقدسة من الكتاب  
والسنة والفقه هو استنباطات الفقهاء في دائرة النصوص او فيما لانص  
فيه . والشريعة ثابتة لا تتغير ولا تتطور اما الفقه فهو من متحرك يتغير  
، تتطور والشريعة وحى الله والفقه عمل الانسان اجتهادا لتفسير الشريعة  
الله وليسكن منها قلنا الفقه من صنع العقل الاسلامي ، فان فقهاء المسلمين  
كانوا يحرصون حسب طائفتهم على أن يكون اجتهادهم داخل اطار الشريعة ،  
وتبعا لما يحاولون التحرر من الأهواء الذاتية ما استطاعوا ولم يهدف  
الفقهاء في فقههم الا الى ما هدفت اليه الشريعة من رعاية مصالح العباد

(٤٧) محمد الغزالي « دفاع عن العقيدة والشريعة » ص ٨٦

(٤٨) ابن خلدون « المقدمة » ج ١ ص ٨٠٤ .

كما عبر عن ذلك الشاطبي ، لم يهدفوا الى رعاية مصلحة خاصة لطائفة أو فرد أو خليفه ، كيف وكلهم رفضوا المناصب والتربى من الخلفاء وتحملوا الأذى فى سبيل تجردهم العلمى .

رفض أبو حنيفة القضاء ، وتقبل السجن راضيا ، وضرب مالك بالسياط فى سبيل أن يغير أو يكتفم رأيا رآه فأبى ، وأوذى الشافعى من أجل تجرده وأمانته ، واحتفل أحمد بن حنبل من المذابح مالا يحتمله إلا المؤمنون الأبطال .

وهؤلاء الأئمة الأربعة هم مؤسسو المذاهب السنية المشهورة عند المسلمين . وهذه المذاهب الأربعة وغيرها لا تلزم المسلمين باتباع أحدها ، وإنما هى اجتهادات لأصحابها الذين لم يزعموا لأنفسهم العصمة ، ولم يلزموا الناس بتقليدهم يوما ، ولم ينظر واحد من هؤلاء الفقهاء الى غيره نظرة التعقب أو الخصومة ، بل نظرة ملؤها التسامح والمودة وتقدير آراء الآخرين (٤٩) .

أن فى الفقه الإسلامى ثروة من القواعد والتطبيقات والنظرات العميقة فى كل مجال من مجالات الحياة أسرية ومدنية وجنائية ودستورية ودولية ، اعترفت بقيمتها وصلاحتها المؤتمرات الدولية التشريعية الحديثة وهناك عديد من المستشرقين ممن يدخلون فى تفاصيل النظم الفقهية الإسلامية يحاولون أن يركزوا على الخلاف الشديد بين السنة والشيعة ، والخلاف بين الشيعة والوهابية محاولين بذلك أن يثبتوا أن الإسلام ليس ديناً موحداً وأنه لا فرق بينه وبين المسيحية المتعددة المذاهب .

واننا فى هذا المجال لابد أن نقرر أن الخلاف بين المذاهب السنية وبين الشيعة المعتدلة ليس خلافاً جوهرياً يمتد الى أصول العقيدة ، وإنما وسع الهوة بينهما أهواء الحكام ودسائس خصوم الإسلام ، فالجميع من سنيين وشيعة يؤمنون بالله واحد ، ويقدمون كتاباً واحداً ، ويتبعون رسولاً واحداً ، ويتجهون الى قبلة واحدة ، هم جميعاً يقيمون الصلاة ، ويؤدون

---

(٤٩) القرضاوى والعسال « المرجع السابق » ص ٣٩ .



الزكاة ، ويصومون رمضان . ويحجون البيت ان استطاعوا الى ذلك سبيلا (٥٠) .

اما بالنسبة للقانون الروماني فهو يختلف كلية عن الشريعة الاسلامية . فلنأخذ مثلا على ذلك بالنسبة لجريمة القتل في القانون الروماني . فقد كان لنظام الطبقات المعروف عند الرومان اثر في تطبيق العقوبة . فاذا كان الجاني من الأشراف رُفع عنه القتل واكتفى بنفيه ؛ واذا كان من اوساط الناس كانت عقوبته قتل الرقبة ، واذا كان من الطبقة الدنيا كانت عقوبته الصلب ، ثم غيرت بالقائه في حظيرة حيوان مفترس ثم غير هذا بالشنق وعلى الجملة فقد مرت الجرائم عند الرومان بأربعة ادوار كان آخرها تدخل الحكومة تدخلا مباشرا في المعاقبة على الجرائم باعتبار ان المصلحة العامة التي تمثلها تقتضى ذلك ، ولم يكن هذا التدخل قاصرا على الجرائم الماسة بالحكومة كالخيانة العظمى والثورة ، بل كان شاملا للجرائم الواقعة على الافراد كالقتل والسرقة .

وبذلك جعلت الجرائم الخاصة جرائم عامة ، ووقعت الحكومة عليها عقابا جسمانيا والغت الدية كما ألغت الثأر ، وبمقتضى هذا الوضع الذي صارت اليه الجرائم الواقعة على الافراد في الأمم الحديثة صار العقاب عليها من خصائص الحكومة أيضا ، ومنحت الدساتير رئيس الدولة حق العفو وحق تخفيف العقوبة (٥١) .

معنى ذلك ان القانون الروماني القديم يعطف على الجاني اذا كان من الأشراف ويقتسو عليه اذا كان من غيرهم ، وكان غير الشريف في نظرهم لا يلتقى مع الشريعة في صلب رجل واحد ، ولا تنتظمها الانسانية الواحدة ، فهو مع نفسه في جانب التفريط بالنسبة الى الشريف ، وجانب الافراط بالنسبة لغيره .

اما الاسلام ، فقد قرر التكافؤ بين الناس جميعا في الدماء ، ولم يجعل لدم أحد فضلا على آخر ، ولم ير في المجموعة البشرية من هذه

---

(٥٠) المرجع السابق .

(٥١) محمود شلنوت « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ٣٠٧ .

الناحية « شريفا » لاتمس حياته بجريمته « غير شريف » يلقي بجريمته للحيوانات المفترسة .

وهذه التسوية بين السلطان والرعية لا يراها الاسلام فى حقوق العباد خاصة كالتصامى والأموال ، وانما يراها كما سبق فى حقوق الله الخالصة ايضا كحد الزنا والسرقة .

وبهذا الاصل العظيم الذى تنكش امام روعته جميع التشريعات البشرية ، اهدر الاسلام نظام الطبقات الذى كان اساس التشريع عند الرومان ، والذى لايزال الطفيان البشرى يحتفظ ببعض آثاره (٥٢) .

## المستشرقون وانتشار الإسلام

ومن بين الأخطاء الدالة على جهل المبشرين ، تأتي سلسلة طويلة من التحامل والامتراء ، وأشهرها ان الاسلام انتشر بحد السيف . فقد ذكر المستشرق الانجليزى تلسون « لقد أخضع سيف الاسلام شعوب افريقية وآسيا شعبا بعد شعب » (٥٣) ويزعم آخر وهو لطفى ليفونيان « ان تاريخ الاسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح » (٥٤) . ويسر على النسق نفسه المؤرخ الانجليزى توماس كارليل الذى كنا نعقيره الى حد ما منصفنا للمسلمين ، نجده فى مسألة الجهاد يسر على النهج نفسه وعلى السيرة نفسها ، فهو يؤكد ان الاسلام انتشر بالسيف فى النهاية « (٥٥) » .

ولابد لنا ان نرد ردا مقنعا سليما على هذه الادعاءات ونحاول ان نؤيد رأينا ببعض آراء المستشرقين المنصفين الذين كتبوا بالحيدة التامة فنحن نعرف ان الوحي نزل على الرسول الكريم سنة ٦١٠ م وبدا الرسول

---

(٥٢) المرجع السابق ص ٣١٢ ، ص ٣١٤ .  
(٥٣) مصطفى خالدى « التبشير والاستعمار » ص ٤١ .  
(٥٤) مصطفى خالدى المرجع السابق .  
(٥٥) منير البعلبكي « دفاع عن الاسلام » ص ٣٢ .

صلى الله عليه وسلم كفاحه في سبيل الدعوة ، ويحدثنا التاريخ أنه صلى الله عليه وسلم لم يسر جيشا ، ولم يعلن حربا ، بل جمع الناس عند الصفا بهكة ووقف في جمعهم لا ليثنها حربا ، ولا ليعلمنا جهادا ، ولا أمرا إنما وقف يقول :

« يا معشر قريش : أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم . أنت عندنا غير متهم ، وما جرينا عليك كذبا قط ، قال فإني نذير لسكم بين يدي عذاب شديد . يا بني عبد المطلب . . يا بني عبد مناف . . يا بني زهرة . . يا بني تهيم . . يا بني مخزوم . . يا بني أسد . . ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأثريين ، وأنى لا أملك لسكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخر نصيبا إلا أن تقولوا لا الله إلا الله » (٥٦) .

لكنه شأن كل نبي ومصلح كذبه قوميه وهجوه وآذوه ، وحاربوه ، بل حاولوا أن يقتلوه بعد أن اعتدوا عليه مرارا . وبالرغم من ذلك لم يشنها حربا ولم يحاول دفع الأذى بمثله بل أمر بأن يهاجر اتباعه الى الحبشة بعيدا عن الأذى فهاجروا ، وظل رسول الله يدعو ويجاهد في سبيل الله متحملا الأيذاء وصابرا على مساءات الكفار ثلاث عشرة سنة حتى بدأ يفكر في رد العدوان وكان الله سبحانه وتعالى قد أمره بالقتال في قوله : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » (٥٧) .

وابتدا الصراع بين جبروت الشرك ودعوة الاسلام الذي استقر عدة اعوام وتعمت غيها الغزوات المعروفة ، وكانت كلها ردا على عدوان المشركين وغدر اليهود .

وفي الوقت الذي كان فيه الصراع دائرا داخل الجزيرة العربية بين توى الايمان والشرك كانت هناك دولتان استعماريتان كبيرتان تتنازعا العالم اذ ذاك وتفرضان سيطرتهم على أجزاء من بلاد العرب هما دولتا الفرس والروم . ولم يكن المسلمون في هذا الوقت بحيث يفكرون في فتح امبراطوريات ضخمة مثل فارس والروم ، والعدوان عليها ، وإنما بسدا هؤلاء بالشر والعدوان وقد حاول الرسول عليه الصلاة والسلام عرض

(٥٦) ابن سعد « الطبقات الكبرى » ج ١ ص ١٨١ .

(٥٧) سورة الحج آية ٣٩ .

الإسلام على هذه الدول المجاورة بالحسنى ، فلم يلق منهم إلا التحنت والتجبر ، بل وقتل البعوثيين وبدأت هذه الدول تتحرش بالدولة الإسلامية الناشئة فما كان منها إلا أن بدأت في رد العدوان وحمية الدعوة الإسلامية .

ولم يكن فتح المسلمين للدول المجاورة فتح استعمار أو سلب أو نهب وإنما كان إزالة للسلطات الطاغية ، وتأميناً للحريات ، ونشراً لمبادئ العدل والمساواة .

ومما يؤيد قولنا في أن الإسلام كان يحارب رداً للعدوان ولعمامة الدعوة الإسلامية ونشرها بين أمم الكفر قول الله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (٥٨) .

ويقول كذلك « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (٥٩) وفي سورة التوبة يقول سبحانه وتعالى « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » (٦٠) .

وفي سورة البقرة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » (٦١) .

وقوله تعالى في سورة الأعراف « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين » (٦٢) .

وقوله في سورة ق « ألقوا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير سدد مريب » (٦٣) .

ومن أخلاق الإسلام في الحروب أنه قد نهى عن الخيانة فيقول تعالى في سورة الأنفال « وأما تخافن من قوم خيانة ، فانذروهم على سواء » (٦٤)

- 
- (٥٨) سورة البقرة آية ١٩٠ .
  - (٥٩) سورة البقرة آية ١٩٤ .
  - (٦٠) سورة التوبة آية ٣٦ .
  - (٦١) سورة البقرة آية ١٩٣ .
  - (٦٢) سورة الأعراف آية ٥٥ .
  - (٦٣) سورة الأعراف آية ٢٤ .
  - (٦٤) سورة الأنفال آية ٥٨ .

فلا بد اذا من اعلان الهجوم حتى يكونوا والعبيد على سواء في الاستعداد ويتسامى الاسلام في اخلاق الحرب فيطالب بتسامين من طلب الامان فيقول تعالى في سورة التوبة « وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه ما منه ذلك بانهم قوم لا يعلمون » (١٥)

والاسلام دين سلام ، لم يحيد القوة ، ولم يدع للحرب ، بل انه دعا للمسلم فيقول في سورة الأنفال « وان جنحوا للمسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » (١٦) .

فالواضح اذن ان الاسلام يحذر من الحرب لغير هذه الاغراض التي ذكرتها فكل ما سوى هذه الاغراض الانسانية الاصلاحية الحقبة من المقاصد المادية والشخصية او النفعية ، وان الاسلام لا يجيز الحرب من اجلها بحال من الأحوال وذلك واضح كل الوضوح في اضافة الاسلام القتال او الجهاد دائما الى سبيل الله ، فلا نجد واحدة من هاتين الكلمتين في بحث من البحوث الاسلامية الا مقرونة بهذا السبيل ، علي ان القرآن الكريم قد صرح بتحريم كل قتال بغير هذه الاغراض المشروعة ، وأكدت هذا التحريم احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسجل التاريخ ذلك لاصحابه الذين لم يريدوا بقتالهم شيئا ابدا الا وجه الله وتحقيق المقاصد المتقدمة كلها او بعضها وفي ذلك قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن التي اليكم السلام لست يؤمننا تبغون مرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغنم كثيرة » (١٧) .

هذه هي الاسباب التي دعت الى الحروب التي خاضتها الامة الاسلامية ونشرت بها الدعوة الاسلامية الاصلاحية لصالح الانسانية مما اصابها من فساد وتدهور ، لذلك ساورد هنا بعض آراء لبعض المستشرقين المنصفين منهم المستشرق بودلي الذي يقول « كان القرشيون انفسهم سببا من الاسباب التي دفعت محمدا الى الالتجاء للقوة ، اذ استمر عداء ابي جهل ل محمد في درجة الغليان ، فقد كان يغير على جماعات المسلمين المتحركة

- 
- (١٥) سورة التوبة آية ٦ .
  - (١٦) سورة الأنفال آية ٦١ .
  - (١٧) سورة النساء آية ٩٤ .

باستمرار ، ويفتال آية جماعة منمزلة يكمن لها ، وقد اغار على ضواحي المدينة : واتفق الزرع والحدايق فأظهر لمحمد أن شعوره لم يتبدل ، وأن هدفه لا يزال قنله ، فلم يكن هناك الا حل واحد من وجهة نظر الجانبين وهو القتال « (٦٨) .

ويتول جيمس متشنر في مقاله « اخترت الدفاع عن الاسلام » .

« لم يحدث في التاريخ أن انتشر دين بهذه السرعة ، فعند وفاة محمد سنة ٦٣٢ م ، كان الاسلام يحتل جانبها كبيرا من شسبه الجزيرة العربية ، ولم يلبث بعد ذلك أن ضم اليها سوريا وبلاد الفرس ومصر والتخوم الجنوبية لروسيا ، وامتد الى شمال افريقيا حتى بلغ مداخل اسبانيا . وفي الزمن الذي جاء بعد ذلك كان تقدم الاسلام باهرا ، واعتقد أن توسع الاسلام ما كان يمكن أن يتم لو لم يعمد المسلمون الى السيف ولكن البلاطين لم يقبلوا هذا الرأي . فالقرآن صريح في تأييده لحرية العقيدة ، والدليل قوى على أن الاسلام رحب بشعوب مختلفة الأديان مادام التعاون مع أهل الكتاب أى اليهود والنصارى ، ولا شك أن حروبا قد نشبت بين المسلمين وغيرهم من النصارى واليهود وفي بعض الأحيان وكان سبب ذلك أن أهل هذه الديانات الأخرى أصروا على القتال . وفي القرآن آيات تصور العنف الذي استخدم في هذه الحروب ، ولكن الرهبان تطعموا بأن أهل الكتاب كانوا يعاملون معاملة طيبة ، وكانوا أحرارا في عباداتهم » (٦٩) .

ومما يؤكد صحة هذا القول أن الاسلام أمر بأن تكون الدعوة له بالسلم وليست بالحرب ، ولم يشرع الزام الناس بالاسلام بالقوة ، فمن تعاليمه الوارد في القرآن الكريم « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » (٧٠) .

وقوله « من اهتدى قاتما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فائما يضل عليها » (٧١) .

- 
- (٦٨) عبد الرزاق نوفل « الاسلام والعلم الحديث » ص ٢٨ .  
(٦٩) عبد الرزاق نوفل — المرجع السابق ص ١٢٧ .  
(٧٠) سورة البقرة آية ٢٥٦ .  
(٧١) سورة النمل آية ٩٢ .

وقوله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » (٧٢)

ومما يشهد لحب الاسلام ونبيه في السلام ان امره اليومى الاول الذى أصدره عندما اضطر الى الحرب كان « لا تقتلوا امرأة ، ولا وليدا ، ولا شيخا ، ولا تقطعوا شجرة ، ولا تحرقوا نخلا ، ولا تمثلوا بأحد ، ولا تكونوا ناهبين واجتنبوا الوجوه لا تضربوها » (٧٣) .

ومما يؤكد أن الاسلام لم ينتشر مطلقا بالحرب ما ذكره الأستاذان ج . فاج ورولان اوليفر . « من أن الاسلام لم يتخذ طريقه وراء الصحراء بافريقية الا بعد انحلال دولته الكبرى في المغرب ، وكانت وسيلة الاسلام لهذه البقاع هي الثقافة والفكر والدعوة ، فانتشر الاسلام بين شعوب البربر وبين الزنوج وقامت خلف الصحراء دول اسلامية لعبت في التاريخ دورا كبيرا » (٧٤) .

وتقول الباحثة الالمانية اليس ليكنس اديستر « ان التخيير ببلاد الفرس والروم لم يكن بين الاسلام والسيف وانما بين الاسلام والجزية وهي الخطة التي استحدثت الثناء لاستنارتها حين اتبعت بعد ذلك في انجلترا ابان حكم الملكة اليصابات » (٧٥) .

ويذكر المؤلف جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » آراءا خيرة ومتعددة حول عملية انتشار الاسلام ، ويؤكد آراءه بأراء لجري لمستشرقين غربيين يقول جوستاف لوبون « العبارات الاتية اقتطفتها من كتب الكثيرين منهم تثبت ان راينا في هذه المسألة ليس خاصا بتنا مال روبرتسون في كتابه « تاريخ شارلمان » « ان المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الفيرة لدينهم وروح التسامح نحو اتباع الأديان الأخرى وانهم مع امتشاقهم الحسام نشرا لدينهم ، تركوا من لم يرغبوا فيه احرارا في التمسك بتعاليمهم الدينية » (٧٦) .

(٧٢) سورة العنكبوت آية ٦ .

(٧٣) المقرئزي « امتاع الاسماع » ج١ ص ٥٣٦-٥٣٦ .

(٧٤) Roland oliver. « A short history of Africa. P. 77. (٧٤)

(٧٥) H. Lichtenst « Islam and the modern age » P. 57. (٧٥)

(٧٦) جوستاف لوبون « حضارة العرب » ١٢٨ .

وقال ميشو في كتابه « تاريخ الحروب الصليبية » « ان القرآن الذى امر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى ، وقد اعتمد البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب ، وحرم محمد قتل الرهبان لعكونهم على العبادات ، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس ، مذبح الصليبيون المسلمين وحرقتوا اليهود بلا رحمة ، وقتما دخلوها » .

ويؤكد جوستاف لوبون ان التاريخ أثبت ان الأديان لا تفرض بالقوة ، فلما تهر النصارى عرب الأندلس فضل هؤلاء القتل والطرده عن آخرهم على ترك الإسلام (٧٧) .

ويستطرد جوستاف لوبون قائلا « ساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والاحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم ، ونفس بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية ، فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام ، كما نفس السبب في عدم تنصر أية أمة بعد ان رضيت بالإسلام ديناً ، سواء كانت هذه الأمة غالبية ام مغلوبه » (٧٨) .

وبصدقا لكلامنا هذا حول عملية انتشار الإسلام ، وما حاول المستشرقون المفرضون ان يذيعوه بين الناس من « انه لم ينتشر الا بحسد السيف ما ذكره السير توماس ارنولد في كتابه « الدعوة الى الإسلام » يقول « أما ولايات الدولة البيزنطية التي سرعان ما تولى عليها المسلمون ببسالتهم ، فقد وجدت أنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة بسبب ما شاع بينهم من الآراء اليعقوبية والنسطورية ، فحسد سمع لهم أن يؤدوا شعائر دينهم دون أن يتعرض لهم أحد ، اللهم الا اذا استثنينا بعض القيود التي فرضت عليهم منعا لاثارة أى احتكاك بين أتباع الديانات المتنافسة ، أو اثارة أى تعصب ينشأ عن اظهار الطقوس الدينية في مظهر المفاخرة حتى لا يؤدي ذلك الشعور الإسلامى . ويمكن الحكم على مدى هذا التسامح الذى يلفت النظر في تاريخ القرن السابع من هذه اليهود

(٧٧) جوستاف لوبون « المرجع السابق » ص ١٢٨ .

(٧٨) المرجع السابق .



التي أعطاهما العرب لاهالى المدن التي استولوا عليها ، ونعمهدوا لهم بحماية ارواحهم وملكاتهم واطلاق الحرية الدينية لهم فى مغايل الازعان ودفع الجزية « (٧٩) .

ويقول توماس ارنولد فى موضع آخر « واذا نظرنا الى التسامح الذى امتد على هذا النحو الى رعايا المسلمين من المسيحيين فى صدر الحكم الاسلامى ظهر ان الفكرة التى شاعت بان السيف كان العامل فى تحويل الناس الى الاسلام بعيدة عن التصديق ، ومن ثم لم يكن بد من التماس بواعث اخرى غير ذلك الباعث الذى اوحى بالاضطهاد .

ونلمس مصداقا لسكلامنا هذا ان اهل الذمة عاشوا عيشة طيبة فى ظل الحكم الاسلامى وناهيك عن اخلاق الخليفة عمر بن الخطاب وموقفه منهم بعد سقوط بيت المقدس وهى المدينة التى يقدسها المسيحيون لمسا بها من آثار دينية وروحانية عظيمة . فنجد اولا انه اعطاهم عهدا وامانا به « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اعطى عبد الله امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان . امانا لانفسهم واهوالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شىء من اموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم » (٨٠) .

واذا امعنا النظر فى هذا النص لوجدنا ان الاسلام لم يجبر احدا على الدخول فيه ، ولو كان بالسيف لفعلوا كما فعل المسيحيون الاوائل لاجبار الناس على الدخول فى المسيحية .

والدليل على سماحة الاسلام بالنسبة لاهل البلاد المفتوحة وانه لم يجبرهم على الدخول فيه بالسيف ان المسيحيين عاشوا فى مجتمعهم آمنين على حياتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذى منحهم حرية التفكير الدينى « تمتعوا وخاصة فى المدن بحالة من الرفاهية والرخاء فى الايام الاولى من الخلافة .

---

(٧٩) توماس ارنولد « الدعوة الى الاسلام » ترجمة حسن ابراهيم حسن : ص ٧٤ .  
(٨٠) المرجع السابق ص ٨٨ .

وقد توسع معاوية ٦٠/٤١ هـ فى الحاق المسيحيين بخدمته وحذا  
حذوه فى ذلك أفراد آخرون من البيت المسالك ، وطالما شغل المسيحيون  
مناصب عالية فى بلاط الخليفة مثل الأخطل وهو عربى نصرانى كان شاعرا  
لبلاط ، ومثل أبى القسديس يوحنا الدمشقى مستشار الخليفة  
عبد الملك ٨٦/٦٥ هـ .

وكان فى خدمة الخليفة المعتمد ٧٧/٢١٨ هـ أخوان مسيحيان بلغا  
منزلة سامية عند أمير المؤمنين أحدهما يدعى سلموبه ويظهر أنه كان يشغل  
منصبا قريب الشبه من منصب الوزير فى العصر الحديث ، وكانت الوثائق  
الملكية لا تتخذ صفة التنفيذ الا بعد توقيعه عليها ، على حين عهد الى  
أخيه ابراهيم بحفظ خاتم الخليفة كما عهد اليه بخزانة بيوت الأموال فى  
البلاد ، وكان المنتظر من طبيعة هذه الأموال وتصريفها ان يوكل أمر  
الإشراف عليها الى رجل من المسلمين . وقد بلغ من ميل الخليفة الشديد  
الى ابراهيم أنه عاده من مرضه الأخير وغمره الحزن حين وفاته ، وأنه  
أمر فى يوم تشييع جنازته باحضار جثمانه الى القصر حيث أقيمت له  
الطقوس المسيحية فى خشوع مهيب .

واختار عبد الملك عالما مسيحيا من مدينة الرها يدعى اثناسيوس  
بؤدبا لأخيه عبد العزيز وقد رافق اثناسيوس هذا تلميذه الى مصر عندما  
عين واليا عليها ، وهنالك جمع ثروة طائلة قيل أنه امتلك أربعة آلاف  
من العبيد ، كما ملك كثيرا من الدور والبيساتين (٨١) .

وما ذلك الا دليل على ان المسلمين لم يكرهوا احدا على الدخول فى  
دينهم وانما كانوا يسرون على قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة  
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » (٨٢) .

والواقع ان التسامح الاسلامى هذا يخالف ما اتصف به المسيحيون  
الأوائل من عنف ووحشية ، فنرى المذابح العنيفة التى قلم بها اباطرة  
الرومان بدءا من الإمبراطور قسطنطين ليجبروا شعوبهم على الدخول فى  
المسيحية بعد ان قبلتها الدولة ديننا رسميا لها . ولا أدل على ماغسله

---

(٨١) توماس أرنولد : المرجع السابق ص ٨١ .

(٨٢) سورة النحل آية ١٢٥ .

شارلمان مع السكسون الوثنيين ليجبرهم على الدخول في المسيحية من المذابح العظيمة التي قام بها ضدهم ، ولا ننسى عصر نسطور جالينوس الإمبراطور البيزنطي الذي سمى عصره بعصر الشهداء وما قلم به الإمبراطور جالينوس من اضطهاد وتعذيب .

أما اليهودية فتاريخها حافل بالمذابح والحروب العنيفة ، لا لتهود الناس بل لتجليهم عن أراضيهم وتستولى على ممتلكاتهم فهم يرون أنفسهم شعب الله المختار « قالوا ليس علينا في الأمين سبيل » وبهذا استباحوا دماء الشعوب الأخرى واعتبروهم أتباعا لهم ، أما الإسلام فهو دين الناس عامة ، والناس كلهم فيسه سواء . وبهذا نجد أن الإسلام قد سلم من وصمة التعصب كما سلم من وصمة الاكراه .

وأول كتاب حديث قرأنا فيه تفسيراً « سلميا » لأخلاق المسلمين التي يستوحونها من دينهم هو هذا الكتاب وعنوانه « دولة الباكستان » مؤلفه البروفسور وشبروك وليامز صاحب الدراسات الواسعة في شؤون الشرق الأوسط وشؤون الهند والباكستان ، فقد سبقه كثير من كتاب اللغات الأوربية الأخرى إلى تعطيل حركات المسلمين في الهند مع الدولة البريطانية ومع طوائف الوطنيين هناك من غير المسلمين فكانت خلاصة تعليقاتهم لتلك الحركات جميعاً أنها وليدة التعصب الديني أو وليدة الروح العسوانية التي انفردوا بها بين أبناء وطنهم ، ولكن مؤلف هذا الكتاب يطل هذه الحركات للمرة الأولى بين أبناء لغته وعقيدته بأنها وليدة البحث : لا عن وطن يستطيع فيه المسلم أن يتطلق من قيود المستغلين فحسب بل هي وليدة السعي إلى إقامة بلاد تسود فيها آداب الإسلام وتمنع فيها ظلم الأغنياء للفقراء ، ويتبع فيها الولاية وصايا العدل الاجتماعي التي يتعلمونها من سماحة الشريعة (٨٢) .

ويقول عن تقاليد الإسلام : « إن هذه التقاليد تشمل مبادئ المساواة

---

(٨٢) عباس العقاد « ما يقال عن الإسلام » ص ١٣٧ .

بين العناصر الانسانية امام الله وتقرر اواصر احوه العالميه بين جميع المؤمنين بغير نظر الى العنصر او اللون ، كما تقرر فريضه الدفاع عن الضعيف وحمائته ممن يجورون عليه ، واغاثة المعوزين والمحرومين ، وبذل الحياه نفسها في سبيل الصراط المستقيم ، ومعاملتهم من ثم للبلاد الاخرى لا تجعلهم حريصين على القلوب في اثبات وجودهم والتصلب في املاء تقاليدهم الحرفيه او الوقوف موقف الاحكام والاعتذار (٨٤) .

## الإسلام والتجديد

يذكر المستشرق جولدزيهر « أن الإسلام يكره التجديد ، وكل بدعة في نظر الجماعة الإسلامية موضع للشك والشبهة ، وظهورها بدعاة للاسي اذ انها تهدد وحدة الجماعة وتؤدي الى انهيار الشريعة » (١) .

ولم يبين هذا المستشرق مكان البدعة والفترة المستحدثة اهي في الدين أم في العلوم والأفكار .

أما في الدين وفي المعاملات المبنية على قواعد دينية فهذا امر طبيعي لأن الإسلام لو اعتنق كل فكرة مستحدثة لا تقرها قواعده ، وأسسها مابقى منه شيء ولا كان ثمة اسلام .

كان الربا متفشيا في الجاهلية ، فحرمه الإسلام ، وفي العصور الحديثة نشط التعامل بالربا وقامت عليه بنوك ومؤسسات ، اذ أن هذا التعامل هو ما منعه الإسلام وقضى عليه . وشاع في الحضارة الأوربية اتخاذ الخيليات ، وقل أن تجد فتاة لا رفيق لها أو نثى لا رفيقة له ، وقد جاء القرآن الكريم بقوله « فانكحوهن باذن اهلن ، وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا يتخذات اخدان » (٢) .

فهل يبيح علماء المسلمين لشعوبهم عادة نهى عنها الإسلام ؟ ان فعلوا ذلك خرجوا عن الإسلام ، وقل مثل هذا في ظاهرة التبرج والزينة والرقص ، واختلاط الرجال بالنساء في الشواطئ ، وما الى ذلك من العادات التي يحرمها الإسلام (٣) .

أما الابتكارات في المعارف ومستكشفات العلوم فهذه يشجعها

(١) جولدزيهر « العقيدة والشريعة » ص ٣ ص ٥ ع ٥ .

(٢) سورة النساء آية ٢٥ .

(٣) عبد الجليل شلبي « الإسلام والمستشرقون » ص ٤٦ - ٤٧ .

الاسلام ويدعو لها ، فالاسلام يدعو الى التفكير واعمال العقل ، فأولى آياته تدعو الى العلم « اقرأ باسم ربك الذي خلق » (٤) وقوله تعالى « ن والقلم وما يسطرون » (٥) وقوله تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منسكهم والذين أوتوا العلم درجات » (٦) وقوله تعالى « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٧) وقوله تعالى « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة ، فقد أوتى خيرا كثيرا » (٨) .

والأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعو الى طلب العلم منها . « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٩) . ومنها « اغد عالما أو متعلما أو مستمعا » (١٠) وقول الرسول الكريم « فضل العلم أحب الى من فضل العبادة » (١١) أى أنه فضل العلم على العبادة فيها منفعة خاصة أما العلم ففيه نفع للمجتمع ، بل أنه عليه السلام فضل العلم على مازاد على فرض الصلاة ، فقال « لأن تغدو تتعلم بابا من العلم خير لك من أن تصلى مائة ركعة » (١٢) .

وكذلك رغبة في نشر العلم ومنع كتمانها ، قال الرسول « من سئل من علم فكتمه ، ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » (١٣) .

والدليل العملى على اهتمام الرسول بالعلم والبحث العلمى هو أنه جعل فداء الأسرى فى غزوة بدر تعليم عشرة من أبناء المسلمين ، وذلك يتضوا على الجهل حتى تصبح دولة الاسلام هى دولة العلماء .

والدين الاسلامى يحث دائما على التفكير والبحث ، واعمال العقل ، وليست مصادفة أن تتكرر فى القرآن الكريم آيات الدعوة الصريحة

- 
- (٤) سورة العلق آية ١ .
  - (٥) سورة القلم آية ١ .
  - (٦) سورة المجادلة آية ١١ .
  - (٧) سورة الزمر آية ٩ .
  - (٨) سورة البقرة آية ٢٦٩ .
  - (٩) رواه بن ماجه ، وابن عبد البر .
  - (١٠) رواه البيهقى .
  - (١١) رواه الطبرانى فى الأوسط .
  - (١٢) رواه بن ماجه والطبرانى بسند صحيح .
  - (١٣) رواه بن ماجه .

الى النظر فى خلق السموات والأرض وما فيها قال تعالى « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما ننس الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون » (١٤) وقوله تعالى « اولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ؛ وما خلق الله من شىء » (١٥) وقوله تعالى « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » (١٦) .

وتتعدد الآيات التى تدعوا الى النظر والعلم والتدقيق ؛ وسأترك لذلك شرحا وافيا مفصلا فى كلامى عن الاسلام والحضارة العلمية .

وبالنسبة للتجديد الذى يقصده المستشرق فنجد ان المجتمع الاسلامى بطرا عليه تعديل من حين الى حين . وتحدث له مشكلات جديدة ما عرفها السلف فلا بد ان يجد لها المجتمع ، على ضوء مبادئ الاسلام ، حلولا ليبقى المجتمع الاسلامى هائسا ، ولا يجد المؤمنون عبرا ، ولا مشقة ولا حرجا فيما استحدث فى مجتمعهم من تطور حضارى ومادى ، لذلك جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لبعده ائمة دينها » (١٧) اى يدلها على احكام ما استحدث فى المجتمع ويصلح ما أهمل من الدين ، ومما اضيف عليه مما هو ليس منه .

وهذا التجديد ضرورى لحياة المجتمع وضرورى لحماية الدين نفسه لأن التجديد سنة الحياة ، وكان المجتهدون موجودين فى كل عصر من العصور السابقة ليواجهوا الأمور الاضطرارية (١٨) ، قال تعالى « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتكم اليه » (١٩) ، قال رسول الله

---

(١٤) سورة يونس آية ١٠١ .

(١٥) سورة الاعراف آية ١٨٥ .

(١٦) سورة قى آية ٦ .

(١٧) رواه ابو داود عن ابي هريرة .

(١٨) صلاح الدين المنجد « المجتمع الاسلامى » ص ٦٤ .

(١٩) سورة الانعام آية ١١٩ .

صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل حين ولاه على اليمن : بم تقضى ؟ قال :  
بكتاب الله . قال : فان لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله . قال : فان  
لم تجد . قال : اجتهد رأيي ، فأثره الرسول على ذلك ، وكتب عمر بن  
الخطاب الى ابي موسى الأشعري في هذا الشأن « الفهم الفهم فيما تلجلج  
في صدرك ، مما ليس في كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه  
وسلم ، ثم اعرف الاشباه والأمثال ، ففقس الأمور عند ذلك بنظائرها ،  
واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق » (٢٠) .

وهذا الاجتهاد للتجديد واجب لأن الدين جاء لرعاية مصالح الناس  
وتوجيههم وتحسين احوال معاشهم ، والأمور المستحدثة دائما ، فلا بد من  
الاجتهاد على أن يراعى فيه العدل والمصلحة .

وهذا الأمر هو الذى دفع ابن قيم الجوزية الى القول « يجب ان  
نتهى من قول العلماء الذين يقولون ، هذا لا يوافق الشرع ، وهذا لم يقل  
به الرسول وان نتبع سياسة المصلحة اى ما يوافق الناس ويكون فيه  
صلاحهم » (٢١) ولا بد ان نشير في هذا المجال الى ان التاريخ الاسلامى  
منذ نشأته الى يومنا هذا يؤكد على الاهتمام بالتجديد والابتكار والبحث  
العلمى ، وهل ورث التاريخ في غير الأمة الاسلامية هذا العدد من  
الكتب التى كتبها المسلمون على اختلاف الاقطار والعصور ، وهل يعرف  
التاريخ لغير المسلمين هذا القدر من العلماء الذين سجلت سيرهم في  
كتب الطبقات ، وتاريخ البلاد والتراجم العامة ، ثم هل عهد التاريخ من  
قبل المسلمين امة حصلت ونفذت وحقت ، ودقت كما فعل المسلمون في  
الاحاديث ورواتها ثم في علوم اللغة ، وعلوم الشريعة ، وعلوم الطبيعة  
وغيرها وأخرجت من حفظة القرآن وائمة الشريعة حكماء ورياضيين  
وفلسفيين وأطباء .

---

(٢٠) ابن حزم « جمهرة أنساب العرب » ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢١) ابن القيم الجوزية « الطرق الحكيمة » ص ١٤ .



ومما تميز به المسلمون في طلب العلم وتلقي الأخبار التحري والتثبت ،  
وبذل الجهد في النقد ، وتمييز الزائف من الصحيح والحق من الباطل .

وكان خلفاء المسلمون وأمرأؤهم وكبرأؤهم يتنافسون في دعوة العلماء  
والأدباء اليهم ، ويتفاخرون بهم تضم مجالسهم من كبار العلماء ونابهي  
الأدباء وقد جعل الاسلام الأرض كلها للمسلم مسجدا وطهورا ، جعل  
الأرض كلها دار تعلم وتعليم ، فالمسلم مأمور أن ينظر في السموات والأرض  
وآثار الأمم وسيرها ، وأن يطلب العلم حيث كان ويتلفظ الحكمة التي  
وجدها فهو يتعلم في الحضر والسفر ، وفي المسجد والدار .

وكانت مساجد المسلمين منذ انشئت دار تعليم منذ جلس المعلم الأعظم  
محمد صلى الله عليه وسلم ، يعلم أصحابه في مسجد المدينة الى  
يومنا هذا (٢٢) .

ودور العلماء كذلك كانت مقصد طلاب العلم يتلقونه عن تبع منه  
وعرف به ويقطعون اليه الفياض والثقار . ولما بنى المسلمون دورا للعلم  
خاصة لم تختلف هذه الدور عن المساجد الا بمساكن المعلمين والطلبة فيها ،  
ولم يبعد التعليم عن المساجد بعد بنائها ، فالمدرسة مسجد  
والمسجد مدرسة .

وكثير من مساجد المسلمين التي نراها اليوم سميت في التاريخ  
مدرسة ، اذ لم يفرق المسلمون بين العبادة بالصلاة والعبادة بالتعليم  
والتعلم ، فكانوا يبنون الأبنية فهي مساجد للصلاة ، وهي مدارس  
للعلم (٢٣) .

---

(٢٢) عبد الوهاب عزام « الاسلام والعلم » ص ١٤٣ .

(٢٣) المرجع السابق ص ١٤٤ .

أثر حق العلم في البيئـة الاسلاميـة :

وقد كان لتقرير الاسلام في هذا الحق الثابت لجميع الناس آثار بعيدة في المجتمع الاسلامي نذكر منها :

١ — ان العلم كان يشمل جميع الفئات ، حيث كان يبدأ من الفرد ثم يعم الأسرة ، فقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٢٤) .

ومسئولية الرجل في اهله تشمل تاديب اولاده ، وتعليم زوجته وهدايتهم الى سبل الخير والفلاح ، قال على رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى « قوا انفسكم واهليكم نارا » علموا اهليكم الخير (٢٥) .

٢ — ان العلم كان مشاعا في المجتمع ميسرا لكل انسان ، في المسجد وفي المدرسة وفي الحلقات العلمية ، وفي المكتبات العامة ، فلم يعرف المجتمع الاسلامي ارسنقراطية العلم او انحصاره في فئة معينة ، كما كان محصورا في رجال الدين عند اكثر الامم القديمة وخاصة عند الغربيين حتى عصر النهضة .

٣ — سارت الحضارة والعلم مع الدين جنبا الى جنب في تاريخ الحضارة الاسلامية ، حتى اعترف بعض مؤرخي الغرب بان حينة قرطبة في ايان ازدهارها ، كانت تحتوي على ملبسونى نسمة ليس فيهم اى واحد (٢٦) .

٤ — بعد افول شمس الحضارة الاسلامية ، لم تتف حركة العلم ، بل استمرت ولو في نطاق ضيق — حتى عصر نهضتنا الحاضرة ، ونعني بذلك استمرار اتبال الناس على العلوم الشرعية خاصة من تفسير وحديث وفقه واصول وعقيدة وغيرها . وعلى العلوم الادبية كاللغة

---

(٢٤) رواه البخارى ومسلم .

(٢٥) رواه الحاكم .

(٢٦) مصطفى السباعى « من روائع حضارتنا » ص ٩٨ .

والادب والتاريخ وسواها ، وبعض العلوم الرياضية كالحساب  
والفلك والهندسة (٢٧) .

لقد استمرت المساجد والمدارس والمكتبات تؤدى رسالتها فى نشر  
هذه العلوم ، ونشير هنا بصورة خاصة الى علم الفقه . فاعقل  
الاسلامى رغم ركوده بعد عصور الحضارة الاسلامية الزاهرة لم  
ينقطع عن التفكير فى التشريع فى اية بيئة اسلامية كانت سواء فى  
العواصم او القرى وسواء فى مراكز الحضارة او الاماكن النائية ،  
كاليمن او نجد او حزموت او اواسط افريقيا لم تنقطع ابدا حركة التأليف  
فى الفقه على مختلف المذاهب ، وبذلك أصبح الفقه الاسلامى ثروة نامية  
لا مثيل لها فى امة من امة من امم المسالم .

---

(٢٧) مصطفى السباعى - « اشتراكية الاسلام » ص ٧٠ .

( م ٧ - الاستشراق ) .



## الفصل الرابع

المستشرقون والنظم الاسلامية



## المستشرقون ونظم الحكم في الاسلام

لم يسلم نظام الحكم في الاسلام من اقلام المستشرقين المغسولين الذين حاولوا أن يشككوا المسلمين في عدل النظم السياسييه التي جاء بها الاسلام ، بل وارادوا أن يجردوا الشريعة الاسلامية من الصفة الكبرى التي اتصفت بها وهي أنها دين ودولة . فهذا كتاب صدر سنة ١٩٦٢ م الفه ه/ب شرابي وهو استاذ مساعد بجامعة جورج تاون وعنوانه « الحكومات والسياسة بالشرق الأوسط في القرن العشرين » .

يقول المؤلف عن موقف الشريعة من نظم الحكم « اذا دققنا في القول لم نجد في الاسلام نظرية مستقلة للحكومة ، اذ كل ما يرتبط بالحكومة والدولة يدخل في نطاق الديانة ، فلا فاصل بين الدينيات والدينيويات ، والمسلم الذي يدين بالله وبرسالة نبيه محمد عضو من اعضاء الجماعة الاسلامية بحق الانتماء الى الديانة فقط ، لا بحق القرابة او اللغفة او العنصر ، ومن الوجهة السياسية تنتم الجماعة الاسلامية ، او الدولة الاسلامية بسمات أربع وهي :

١ - أن الله رأسها والقرآن كما تنزل على النبي دستورها الوحيد .  
٢ - أن كلمات الله هي الشرع الوحيد وليس للجماعة أن تجري لها شرها غيره .

٣ - أن وظيفة دستور الحكومة وشكلها واحكامها ابدية ، ولا يمكن تغييرها كيفما اختلف الزمان والمكان .

٤ - أن الغاية من الحكومة هي اقامة الدين وتنفيذ كلمات الله قال :  
ويتضح من هذا أن الشريعة - وهي جملة الاوامر الالهية - ليست لنا بالمعنى المفهوم من القائلون في العصر الحديث ، ولكنها قضايا

معصومة ترسم للمسلم احكام سلوكه فى حياته كلها دينيا وسياسيا واجتماعيا وفى الاسرة والبيت « (١) .

معنى ذلك ان هذا المستشرق يحاول ان يشوه حقيقة الشرع الاسلامى بالنسبة للحكومة الاسلامية ، بل وينفى عنه انه جاء بشيء لتنظيم الحياة الانسانية ، بل وجعل الحكومة حكومة ثيوقراطية بمعنى الكلمة ، اى انها لا تمس النواحي الدنيوية ، ولا يستطيع المسلم او يضيف الى هذه الشريعة شيئا يتلاءم مع تطورات العصر اى انها شريعة دينية جامدة .

ونسكتنا لا بد ان نوضح لهذه الفئة من المستشرقين حقيقة الحكومة الاسلامية ، وطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم فيها .

فلاسلام دين ودولة ، لانه نظم شئون الدين والدنيا معا ، فسكما تكلم عن الملائكة والانبياء والجنة والنار والمبساتات وغيرها من شئون الدين ، تكلم كذلك عن البيع والشراء والزواج والطلاق والميراث وغيرها من شئون الدنيا ، ووضع الاسلام لهذه وتلك القوانين والنظم ، والزم المسلمين باتباعها ، وحدد عقوبة المخالفين .

يذكر جولدزبير ، مة اخرى وهى « ان سلطة الخليفة كانت مطلقة فى كل مكان ، ولم يكن هناك نظام يتدخل بين الحاكم ورعاياه لتقييد سلطته » (٢) .

اذا اردنا ان نفند هذا الاتهام ، فعلينا ان ننظر الى الدولة الاسلامية عامة ، والى اول خلفائها ابي بكر الصديق الذى يعتبر مثلا يحتذى فى الحكومة الاسلامية المثلى فقد طبق ما جاء به الشرع فى شئون الناس الدينية والدنيوية .

كان هذا الخليفة المحكم راس الدولة ، اختير من بين صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واشترطت اختياره امور شرعية كثيرة ، منها العلم ، والمدل ، والكفاية وسلامة الحواس ، والنسب القرشى .

(١) عباس العقاد « مايقال عن الاسلام » ص ١٢١ .

(٢) جولدزبير « العقيدة والشريعة » ج ٢ ص ٥٤٥ .



وإذا استعرضنا مجموع خلفاء الإسلام — حسب الراسخين — نجد أنهم نماذج مشرفة لتطبيق سياسة الدين والدنيا ، وحسبنا في ذلك عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب ، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الخلفاء .

فهؤلاء الخلفاء أذن ليسوا خلفاء دينيين فقط ، وإنما هم خلفاء دين ودنيا ، فليست النظم الإسلامية مثل النظم الغربية تتجسس بين السلطتين ، فلا يعرف الإسلام سلطة الكهنوت ، ولا يعرف العصمة لأحد إلا المرسلين (٢) .

والحاكم والخليفة ليس معصوما من الخطأ في تصرفاته ، وليس له قداسة مترفعة عن مستوى الناس ، كيف وهو فرد من الألة جاء عن طريق الاختيار والبيعة وعليه أن يستشيرها ، ويأخذ رأي أهل الحل والعقد فيها .

معنى ذلك أن الحكم في الإسلام قام على أساس الشورى ، وماهى إلا المسمى الحديث « الديمقراطية » قال تعالى « وأمرهم شورى بينهم » (٤) وقوله تعالى « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ونساوهم في الأمر » (٥) .

وهاتان الآيتان تبيان أن اختيار الحكومة ليس معناه تسليم كل الأمور إليها ، وانقطاع رأي الناس ، بل توضيح أن واجب الحاكم أن يستشير ليس فقط ، أهل الحل والعقد ، بل جماعات أوسع من المسلمين ، بل المسلمين جميعا في مهام الأمور إذا أمكن ذلك بطريق الاستفتاء العام أو أى طريق آخر ، والآية الأولى تصوغ هذه الفكرة صياغة رائعة فهى لاتتجه إلى أسلوب الأمر بالمشاورة ، وإنما توضح أن المشكلات إنما هى مشكلات الامة ، وأن الأمور أمورها فطرح هذه المشكلات للامة للتشاور

(٣) القرضاوى والعسال « الإسلام بين شبهات الضالين » ص ٢٩

(٤) سورة الشورى آية ٣٨ .

(٥) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

ولرغبة الوصول الى حل سليم امر عادى ، هو فى الحقيقة وضع الامور  
فى نصابها واعطاء الحق لصاحبه .

اما الآية الثانية ، فلم تكف بالامر بالمشاورة ، وانما رسمت اخلاق  
الاسلام وروحه التى يجب ان يتحلّى بها الحاكم ، فأوصفته بالرحمة ولين  
الجانب والعمو والتسامح والدماء للمسلمين بالمغفرة ، وكل هذه المظاهر  
تمهد للمشاورة (٦) .

معنى ذلك ان الحكومة فى الاسلام تتميز بصفتين :

١ - الحرية السياسية ، وهذه تتجلى كما ذكرنا فى مبدأ الشورى ، فلا  
استبداد فى الراى من قبل الحاكم ولا قلة تتحكم فى السكثرة .

٢ - هناك حرية فى التفكير والنصح والنقد وابدء الراى فالحرية  
مصانة ، وكل مسلم له الحق فى ان يبدي رايه فى اعمال الحاكم  
واعمال اخوانه اذا كان فيها ضرر على المجتمع الاسلامى ، وله ان  
ينبه على الخطا ويبدل على الطريق الحسن ، وهذا هو الامر بالمعروف  
والنهي عن المنكر يفعل ذلك دون ان يخاف ظلما او تعسفا  
او سجفا (٧) .

وكذلك فان له ان يقترح على الحاكم ما فيه الخير للمجتمع .  
خطب عمر بن الخطاب فى الناس عندما اراد القبول من طاعون عبواس  
فقال : « من علم شيئا ينبغى العمل به فليعلمنا نعمل به ان شاء  
الله (٨) .

٣ - هناك حرية التملك فانتم تستطيع ان تمتلك ما تشاء بالحق اى  
بسعك ومالك ، ليس بالسرقة او الرشوة او الاغتصاب ولا يحق لاحد  
من الناس ولا للحاكم ان ينزع حق التملك منك ، ولا ان يأخذ من مالك الا  
برضاك ليس غصبا ولا سرقة ، ولا تأمينا قال رسول الله صلى عليه

---

(٦) احمد شلبى « مقارنة الأيمان » ص ٢٥٤ ح ٣ .  
(٧) صلاح الدين المنجد « المجتمع الاسلامى » ص ٣٤ .  
(٨) ابن كثير « البداية والنهاية » ج ٧ ص ٧٩ .

وسلم « كل المسلم على المسلم حرام - دمه وماله وعرضه » (٩) ولا تقيد الملكية الا اذا أدى استعمالها الى الاضرار بالغير .

وإذا تركنا ذلك ونظرنا الى العلاقة بين الحاكم والمحكوم فى الاسلام نجدها فى قوله تعالى « اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (١٠) فالحاكم الذى يبايعه المسلمون لضمان حقوقهم ومراجعتهم فى واجباتهم له عليهم حق السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكروه، وهذا يعنى مؤازرة الحاكم فى كل شىء مادام يتقيد بالشرع او مادام متصفا بشروط الامامة فاذا خرج عن الشرع او فقد شروط الامامة فلا طاعة له (١١) .

وهناك نماذج مشرفة فى الاسلام لهذه العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، ولا يغوتسنا اننا نتوه هنا بعهد الخليفة العظيم عمر بن الخطاب الذى ضرب أروع مثل فى هذه العلاقة الحرة الديمقراطية ، حتى نراه يوما يصعد المنبر خطيبا فيقول على حسب رواية بن الجوزى « لا تزيدوا فى مهور النساء على اربعمائة درهم من زاد القيت الزيادة فى بيت المال » ثم غادر المنبر فقبرت اليه امرأة من صف النساء تقول « ما ذلك لك » فسألها ولم ؟ فأجابت لأن الله تعالى قال « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإنما مبينا » فقتل عمر : اصابت امرأة واخطأ عمر، ثم رجع الى المنبر فقال : ايها الناس كنت نهيتكم ان لاتزيدوا النساء فى صدقاتهن على اربعمائة درهم فمن شاء ان يعطى من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليعمل (١٢) .

هذا دليل بسيط على ديمقراطية الاسلام ، وكيف كانت العلاقة بين

---

(٩) خطبة حجة الوداع . انظر بن هشام « السيرة النبوية » ج ٤

ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(١٠) سورة النساء آية ٥٩ .

(١١) محمد الدنى « المجتمع الاسلامى كما تنظمه سورة النساء »

ص ١١٥ .

(١٢) عائشة عبدالرحمن « المرأة المسلمة بين الأمر واليوم » ص ٨٦

الحاكم والمحكوم ليس هناك حجابا يحجب بينهم ، ولا مانع يمنع أحدا من مجادلة الخليفة بما يراه في مصلحة الاسلام ، وليس هناك ما يمنع انسانا من ان يأخذ حقه من الخليفة سواء اكان هذا الحق حقا ماديا ام معنويا ، فالاسلام هو دين الديمقراطية الحقة .

وقد أفرد بن عبيد ربه في كتابه « العقد الفريد » كتابا للوعاظ والزهد وهو ملء بها وعظ به العباد رجال الحكم من الخلفاء .

ويكفي ان نثبت صلاحية الحكم في الاسلام بما يثبت من تقدم الشعب ورفاهيته في عهد الخلفاء الراشدين فالفساد الذي طرأ في عهد متأخر لا يرجع الى تاتون الاسلام ، وانما الى التخلي عنه .

ويكفي ان نؤيد رأينا هذا برأى فيليب حتى المستشرق المعسادي للاسلام ، والذي عاب من قبل شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولسكنه انصف الحكومة الاسلامية في قوله : « لم تكذ ثمر مائة عام على وفاة مؤسس الاسلام ، حتى صار اتباعه سادة امبراطورية اعظم من امبراطورية روما ابان مجدها ، امبراطورية امتدت من خليج بسكاي الى نهر السند ، ومن تخوم الصين وبحر آرال الى الهندل انعليا من الفيل » وكان اسم النبي العربي مقترنا بلفظ الجلالة ، تردده الالسنة خمس مرات في اليوم من آلاف المآذن المتناثرة فوق جنوب أوربا وشمال افريقيا ، وغرب آسيا ووسطها (١٢) .

حقيقة ان الدين الاسلامي لم يهمل النظم السياسية التي سيساس بها العالم ، فقد ترر هذا الدين في محكم آياته ميدا المساوا بين الناس

علمة ، والمرأة والرجل والصفير والكبير ، والغنى والفقير والوالى والمساكين كلهم متساوون مساواة تامة ، والله سبحانه وتعالى هو الذى جعل الناس شعوبيا وتبائل مختلفة متعددة : والجميع متساوون أمام الله واکرمهم عند الله اتقاهم (١٤) .

قال تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبيا وتبائل لتعارفوا ، ان اكرمکم عند الله اتقاسمکم » (١٥) وقوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربکم الذى خلقکم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (١٦) .

وبهذا اقر الاسلام بأن الخلق ابناء اب واحد وام واحدة فمن اصلهم فمهما كان موطن مولدهم ، ومهما كان وضع طبقتهم فهم متساوون ، فلا تفاخر بالانساب ولا تباهى بالانساب ، يقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا انفسکم ولا تنابزوا بالانساب » (١٧) .

ولم تكن المساواة معروفة قبل الاسلام . بل كان يسود المجتمعات البشرية نظام الطبقات ، والتفرقة الكبيرة بين الطبقة والاخرى بل بين افراد الطبقة الواحدة ، فكان اذا قتل لقبيلة عبد اجتمع افرادها ليقرروا ما يساوى عبدهم من افراد القبيلة . وقد جزم القرآن الكريم بالتصاوص من سورة البقرة « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم التصاوص من القتل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى » (١٨) .

(١٤) عبد الرزاق نوفل « الاسلام والعلم الحديث » ص ١١٣ .

(١٥) سورة الحجرات آية ١٣ .

(١٦) سورة النساء آية ١ .

(١٧) سورة الحجرات آية ٤٩ .

(١٨) سورة البقرة آية ١٧٨ .

وبهذه المساواة التامة بين أفراد الجنس البشرى حصن المسلمون  
ضد الانقسامات التي نشأها في معظم بلاد العالم ، ولعل ما يعترى  
العالم على فترات الزمن من جور الأمم بعضها على بعض ، وبقي  
الأفراد بعضهم على بعض يرجع كله الى عدم المساواة ، فما زالت بعض  
الأمم تعتبر أفرادها من جنس مفضل على جنس أفراد غيرها ، وما زالت  
الترقة العنصرية واختلاف الأصل بين الدول الكبرى سببا في اندلاع  
الثورات وعدم الاستقرار .

## المستشرقون والنظم الاقتصادية في الاسلام

لاقت النظم المالية في الاسلام من زكاة وصدقة وىء وغانم وجزية وخراج وضرائب متنوعة وجهات نظر ، وآراء هدامه من قبل المستشرقين؛ فمنهم من بين قيمة هذه النظم ، وانها نظم عادلة لم تجاف الحق ، ولم تنظم احدا ، ومنهم من تجنى عليها ورماها بالقصور والظلم ، وذكر « ان الاسلام ليس الا دين تشريع ومعاملات ، ولم يأت للناس بنظام منفصل للشئون الاقتصادية والحياة السياسية » (١) .

وهناك ماكتبه ماكس بريشم العالم السويسرى في حديث مجحف يجافى الحقائق التاريخية ، فقد انتهى فيه الى ان نظام الجزية في الاسلام اضطر الكثير الى الدخول في الاسلام تخلصا من الضرائب الثقيلة التى فرضت عليهم ، واعفى منها المسلمون ، وايضا لتكون لهم المسكاة الاجتماعية التى يتمتع بها المسلمون دونهم « ولم يخل كلامه من تضارب واضطراب (٢) .

وهناك رأى لأحد المستشرقين يدعى فيليب فوتداس خاص بالزكاة فى الاسلام ، يقول « ان الأموال المادية فى نظر الاسلام هى من اصل نجس شيطانى ، ويحل للمسلم ان يتمتع بهذه الأموال شريطة ان يطهرها» وذلك بارجاع هذه الأموال الى الله « . ويظهر أن الشارح أخذ من قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » (٣) . أى - على

---

(١) محمد غلاب « نظرات استشرافية » ص ٥٨ .  
(٢) عبد الجليل شلمبى « الاسلام والمستشرقون » ص ٩٧ .  
(٣) سورة التوبة آية ٣٠ . .

اعتقادهم — ان الاموال نجسة في اصلها، واذن فالزكاة وسيلة لتطهيرها،  
وبذلك فهم التطهير فهما حربيا او حسيا (٤) .

ورأيت قبل ان افند افراءات المستشرقين ، وارد شبهاتهم ان انكر  
بعضا من آراء المتصنيفين منهم ، فالسير توماس ارنولد يقول في موضوع  
الجزية « لم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين ، كما  
يريد بعض الباحثين على الظن — لونا من الوان العقاب لامتناعهم عن  
قبول الاسلام وانما كانوا يؤدونها مع سائر اهل الذمة ، وهم غير  
المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة  
في الجيش في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سسيوف المسلمين ، ولما  
قدم اهل الحيرة المسال المتفق عليه ذكروا صراحة انهم انما دفعوا هذه  
الجزية على شريطة ان يمنعونا واميرهم البغي من المسلمين وغيرهم ،  
وكذلك حدث ان سجل خالد في المعاهدة التي ابرمها مع بعض اهالي  
المدن المجاورة للحيرة قوله « فان منعناكم فلنا الجزية والا فلا » .

ويمكن الحكم على مدى اعتراف المسلمين الصريح بهذا الشرط من  
تلك الحادثة التي وقعت في حكم الخليفة عمر ، لما حشد الامم،راطور  
هرقل جيشا ضخما لصد قوات المسلمين المحتلة ، كان لزاما على  
المسلمين نتيجة لما حدث ان يركزوا كل نشاطهم في المعركة التي احدثت  
بهم ، فلما علم بذلك ابو عبيدة قائد العرب كتب الى عمال المدن المفتوحة  
من الشام يامرهم بان يردوا عليهم ماجبي من الجزية من هذه المدن وكتب  
الى الناس يقول « انما رددنا عليكم اموالكم لانه بلغنا ما جمع لنا من  
الجموع ، وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم ، وانا لانقدر على ذلك ،  
وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ، ونحن لسكم على الشرط ، وما كتبنا بيننا  
وبينكم ان نصرنا الله عليهم » وبذلك وردت بمبالغ طائلة من مال الدولة ،  
فدعا المسيحيون بالبركة لرؤساء المسلمين ، وقالوا : ردكم الله علينا

---

(٤) محمد البهي « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار »  
ص ٥٢ نقل عن فيليب فونداس « دراسة عن الاسلام في افريقيا السوداء »



ونصرمك عليهم . « أى الروم » فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا ، واخذوا كل شيء بقى لنا ، ويستطرد توماس أرنولد قائلا : ان الجزية فرضت على القسادين من الذكور مقابل الخدمة العسكرية التى كانوا يطلبون بأدائها لو كانوا مسلمين (٥) .

والى جانب رأى توماس أرنولد نضيف مذكرو المؤرخ فيليب حتى فى هذا الصدد — على الرغم من عدائه للإسلام — « كان أهل الذمة يتمتعون فى نظير دفع الجزية والخراج بحظ كبير من التسامح الدينى ، وكانوا يخضعون حتى فى الأمور المدنية والتسانونية جميعا الى رؤسائهم الرئيسيين » (٦) .

والمعروف ان الجزية وجبت على أهل الذمة ، كما وجبت الزكاة على المسلمين ، حتى يتكافأ الفريقان ، وهما رعية لدولة واحدة فى المسئولية ، كما تكافأ فى التمتع بالحقوق وتساويا فى الانتفاع بالمرافق العامة للدولة ، فليست الجزية دينا على الذمى يستوفى منه بالوسائل التى تستوفى بها الديون ، فمن وجبت عليه الجزية ومات أو أسلم قبل دفعها لم تؤخذ من تركته ، ولم يطالب بها ورثته (٧) .

وانما تجب الجزية على الرجال الأحرار العقلاء الأصحاء القادرين على الدفع ، ولا تؤخذ جزية من مسكين يتصدق عليه ، ولا من لا قدرة له على العمل ، ولا من الأعمى ، أو المتعد أو المجنون وغيرهم من ذوى الماهات ولا من أحد من المترهبين فى الأديرة وأهل الصوامع الا ان كان غنيا .

وبلاحظ أن الشرع لم يفرض الجزية الا على الأشخاص الذين يجب

---

(٥) توماس أرنولد « الدعوة الى الاسلام » ص ٧٦ .

(٦) فيليب حتى « تاريخ العرب » ص ٢٣٣ .

(٧) أبو يوسف « كتاب الخراج » ص ١٣٢ .

عليهم الجهاد لـ وكانوا مسلمين ، وأنه اعنى منها الاشخاص الذين يعفيهم من القتال .

وفى ذلك يقول الماوردى « واسمها مشتق من الجزاء ، فيجب على اولى الامر ان يضعوا الجزية على رقاب من دخل الذمة من اهل الكتاب ليقروا « يستقروا » بها دار الاسلام ويلتزم لها ببذلها بحقين ، احدهما الكف عنهم ، والثانى الحماية لهم ، ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محرومين » (٨) .

أما مقدار الجزية فقد قسمها أبو حنيفة ثلاثة أقسام :

١ - أغنياء يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما .

٢ - ومتوسطون يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهما .

٣ - وفقراء يكسبون ويؤخذ منهم اثنا عشر درهما .

وأما جباية الجزية فقد اوصى صاحب الشرع وقادة الاسلام بالرفق والانصاف فى جبايتها من اهل الكتاب وصيانة ارواحهم واموالهم من عبث الجبساء والولاه ، وتقضى القاعدة الفقهية او دستور الاسلام فيما يتعلق بطريقة أخذ الجزية من دائميها بأن « لا يضرب أحد من اهل الذمة فى استيلائهم الجزية » أى لحملهم على ادائها ، ولا يقاوموا فى الشمس ولا غيرها ، ولا يجعل عليهم فى ابدانهم شئ من المسكاره ، ولكن برفق يحبسون حتى يؤدوا ما عليهم » (٩) .

ويستقرأ هذه النظم تجسد أنها نظماً عادلة راعت حالة الشعب الاقتصادية ، ولو قارنا ذلك بأحوال هذه البلاد فى العهدين الروماني والبيزنطى ، فقد كانت هناك نظم جائرة ، فقد كان الروم يجبون منها

(٨) الماوردى « الأحكام السلطانية » ص ٢٦٣ .

(٩) أبو يوسف « كتاب الفراج » ص ١٣٣ .

عشرين ألف دينار ، وان الفراعنة كانوا يجيئون تسعين الف الف .

اما عن الخراج ، فقد وضع انه ضريبة على الأرض التي يفتحها المسلمون فتصبح فينا لهم ، والواقع ان المسلمين بدأوا اولاً بالسلام وبعرض الاسلام على اهل البلاد المفتوحة ، فاذا لم يجيبوا الى الاسلام فالحرب بينهم ، وبذلك تصبح أراضيهم من جملة الفء ، وقد ذكر ابو يوسف في كتاب الخراج ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى سعد بن ابي وقاص حين افتتح العراق « اما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه ان الناس سألوك ان تقسم فيهم مغنمهم ، وما افاء الله عليهم ، فاذا انك كتابى هذا ، فانظر ما اجلب الناس عليك به الى العسكر من كراع ومال فاقسمه بين من حضر من المسلمين واترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك فى اعطيات المسلمين ، فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شىء ، وقد كنت امرتك ان تدعو من لقبى الى الاسلام قبل القتال ، فمن اجاب الى ذلك قبل القتال فهو رجل من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم ، وله سهم فى الاسلام ، ومن اجاب بعد القتال وبعد الهزيمة فهو رجل من المسلمين ، وما له لاهل الاسلام لانهم قد احرزوه قبل اسلامهم فهذا امرى وعهدى اليك » (١٠) .

من هذا النص يتضح لنا مدى سماحة الاسلام ، وكيف ان المسلمين كانوا يراعون اهل الذمة ، وكيف ان الذمى اذا دخل فى الاسلام اخذ نفس حقوق المسلمين لم ينقص منه شىء ، وان هنالك اراضى تترك لأصحابها يدفعون عنها الخراج الذى قرره عمر بن الخطاب بعد ان اسشر جمساعة من المسلمين ، وجميعهم كانوا يرغبون فى ان تؤخذ هذه الاراضى من اصحابها ، وتصبح ملكاً لهم ، ولكنه قال : « رايت ان احبس الارضين بملوجها واضع عليهم فيها الخراج وفى رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فينا للمسلمين المقاتلة والذرية لى يأتى بعدهم » .

(١٠) ابو يوسف « كتاب الخراج » ص ٢٦ .

( م ٨ - الاستنراق )

وبذلك مسح عمر أرض السواد « العراق » فبلغ ستة وثلاثين ألف ألف جريب ، ورفغ على جريب الزرع درهما وفتبزا وعلى السكر عشر دراهم وعلى الرطب خمسة دراهم ، وعلى الرجل اثني عشر درهما وأربعة وعشرين درهما ، وثمانية وأربعين درهما (١١) .

والذكره أبو يوسف في كتاب « الخراج » ، واذ حللنا هذا النص نجد فيه مدى عدل الخليفة عمر ، فإنه لم يجعل الخراج مبلغا مساويا من المال يفرض على الأرض عامة ، ولكنه راعى في هذه الأرض نوعها ، ونوع المحصول الذي تنتجه ، ثم قدر بعد ذلك ، كما أنه راعى أمورا كثيرة منها سهولة ربا وتربيا وبعدها للعمار ، كما راعى ظروف الازميين ، فلم يجعل الجزية متساوية ، ولكنها طبقا لأحوال الفرد المالية .

وقد حاول المستشرق ماكس بريشم أن يدس اتهام آخر ، وهو أن الازميين « بدأوا يقبلون على الإسلام هربا من هذه الالتزامات المالية الكبيرة التي فرضها عليهم الإسلام » (١٢) .

والحقيقة أن هذا الرأي خاطيء ، خاصة وأن المسلمين اضطروا في فترة من تاريخهم إلى ابتداء الجزية على من أسلم ومع ذلك فلم تقل حركة الدخول في الإسلام بل كانت تزداد يوما بعد يوم ، فقد حدث أن رأى الحجاج بن يوسف وإلى العراق أن إيرادات بيت المال تنناقص من جراء دخول عدد كبير من أهل الذمة في الإسلام ، لذلك خالف سنة ابن الخطاب وأبقى الجزية على من أسلم وسار الولاية من بعده على هذا العيل ، فلم تقل حركة الدخول في الإسلام فقد حاول الوالي على مصر أن يفعل ذلك غير عهد عمر بن عبد العزيز ، فرد عليه بقوله « فضع الجزية عن أسلم تبج الله ربك ، أنا بعث الله محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا » (١٣) ورفع الجزية عن أسلم مرة أخرى .

---

(١١) أبو يوسف « المصدر السابق » ص ٤١ .  
(١٢) عبد الجليل شاذلي « الإسلام والمستشرقون » ص ٩٧ .  
(١٣) الطبري . « تاريخ الرسل والملوك » ج ٦ ص ٢٠٣ .

## الإسلام والملكية

اعترف الإسلام بالملكية الفردية الناشئة عن سبب مشروع ، ليشجع بذلك الدوافع الفطرية في حب التملك والادخار ، ولكنه لا يشجع الملكية الفردية اذا نشأت عن سبب مشروع ، فقد سمح بمصادرة هذه الأموال مهما طال عليها الزمن .

وقد شجع الإسلام الانسان ليحصل المال وينتفع به ، تأمر بتحصيله عن طريق التجارة وبالرحلة اليمينية والشامية اللتين يسرهما الله لقرشفي تجارتها يمن عليهم ويذكرهم بفضلهم ونعيمه ، وأمر بتحصيله عن طريق الزراعة التي بها حياة الأرض واستثمارها ، وبتحصيله من الصناعة والصناعة التي تقوم عليها الحضارات وفي القرآن الكريم اشارات كثيرة الى جملة من الصناعات مثل الحديد (١٤) .

أمر القرآن بتحصيل الأموال عن هذه الطرق وسمى طلبها **البتقاء** من فضل الله ، وقد بلغت عنايته بالأموال أن طلب السعي في تحصيلها بمجرد الفراغ من أداء العبادات الأسبوعية المفروضة ، وأنه لم يأمر بالانصراف عن تحصيلها الا لخصوص هذه العبادة ، يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » (١٥) .

معنى ذلك أن المال ليس غاية في ذاته ، وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع وقضاء الحوائج ، فمن استعمله في هذا السبيل كان المال في يده خيرا له وللمجتمع ومن استعمله على أنه غاية ولذو انقلب الى شهوة تورث صاحبه المهالك وتفتح على الناس أبوابا من الفساد .

هذا موقف الشرع من المال ، أما موقفه بالنسبة للانتفاع به فقد أمر بالاعتدال في صرفه ، وقرر بالنهي عن الإسراف فيه ، وبالنهي عن الضن به وجعل الاعتدال في صرفه من صفات المقربين عباد الرحمن ، وجعل الإسراف فيه ، والضن به عن الحقوق والواجبات مما يوقع في الحيرة

(١٤) محمود شلتوت « الإسلام عقيدة وشريعة » ص ٢٥٠-٢٥١ .

(١٥) سورة الجمعة آية ٩ .

والملزمة (١٦) فالإنسان في الإسلام ليس مالكا حقيقيا يتصرف في المال كيف يشاء لأن المال مال الله ، ومعنى هذه العبارة ، أنه مال الجماعة والفنى وذلك على رعايته وانفاقه بما يوافق صالح الجماعة « وأغثوا مهسا جعلكم مستخلفين فيه » (١٧) وقوله تعالى « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » (١٨) .

فالملكية اذا وظيفة اجتماعية ، والغنى اذن مطالب ازاء مجتمعه بواجبات مالية أدناها الزكاة ، وهى ليست تبرعا ولا احسانا يعطيه الفنى للفقير فيشعر بالاستعلاء ، ويشعر الفقير بالاذلة والهوان ، بل هى حق معلوم وضرية مفروضة تأخذها الدولة بواسطة الجباه العاملين عليها ، وتنفقها على المحتاجين ، وعلى المصالح العامة . قال تعالى :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها والمؤلفة ثلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » (١٩) .

وقد نص الامام الشافعى على أن للفقير احقية استحقاق المال حتى صار بمنزلة المشترك بين صاحبه ، وبين الفقير ، ويجوز للفقير أن يأخذ مقدار الزكاة اذا ظفر به ، وكان صاحبه قد امتنع عن ادائه ، وفى هذا اخراج للزكاة عن أن تكون مظنة للذل والمهانة للفقير ، كما يتوهم بعض الناس (٢٠) .

والنسبة المفروضة من زكاة المال هى ٢.٥٪ وهى نسبة مقبولة تسخو بها النفس طواعية ، واختيارا وهى مع ذلك تجمع حصيلة كبيرة جدا لانها نسبة من رأس المال والربح الناشئ عنه خلال السنة كلها ، كما أن الزكاة عامل من عوامل توزيع الثروة وانتقالها من ايدى الناس

(١٦) محمود شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ٢٥٢ .

(١٧) سورة الحديد آية ٧ .

(١٨) سورة النور آية ٣٣ .

(١٩) سورة التوبة آية ٦٠ .

(٢٠) مصطفى السباعى « اشتراكية الاسلام » ص ١٢٨ .

خلال سنوات محدوده بحيث يكون ما يملكه الانسان بعدها ثروة جديدة  
انشاها بجهده وعمله (٢١) .

وقد اشاع بعض المستشرقين كلاما مرذولا حول بيت المال الذى  
تجمع فيه الزكاة والموارد الأخرى ، وأن بيت المال ان هو الا خزينة  
خاصة ينفقون منها كيف شاءوا ، دون معذب (٢٢) .

هذا رأى بعض المنفاليين والحاقدين على الاسلام ، حاولت ان  
اعارضه برأى لمستشرق آخر منصفى هذا الموضوع بالذات وهو المستشرق  
ساسينيون قال « ان لدى الاسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد فى تحقيق فكرة  
المساواة ، وذلك بفرض الزكاة التى يدفعها كل فرد لبيت المال ، وهو  
يهاض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التى تفرض على الحاجات  
الاولية الضرورية ، ويقف فى نفس الوقت الى جانب الملكية الفردية ورأس  
المال التجارى ، وبذا يحل الاسلام مرة اخرى مكانا وسطا بين نظريات  
الراسمالية والبورجوازية ، ونظريات البلشفية والشيوعية » (٢٢) .

ولا بد ان نرد هذه الشبهات عن الاسلام ، فالذى يعرفه كل دارس  
للشريعة الاسلامية وتاريخها ان بيت المال ليس ملكا للخليفة ، وانما هو  
ملك للامة جميعها ، والخليفة انما هو خازن أمين ليس له منه الا راتبه  
بالمعروف كما قال ابو بكر رضى الله عنه : « أعطونى كأوسسط رجل من  
قريش » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « انما انا وهذا المال كولى  
اليتيم ان استغنيت استغنيت ، وان افتقرت اكلت بالمعروف » وأبى على  
ابن أبى طالب ان يأخذ من بيت المال شيئا لنفسه وأهله ! (٢٤) .

هذا مسلك الراشدين من حكام المسلمين ، وخلفائهم ، أما انحرافات  
بعض الحكام ، فليس حجة على الاسلام ولا يسأل عنها .

وإذا كان الاسلام قد سمح بالملكية الفردية الا انه وضع عليها  
قيودا بل وسمح لولى الأمر ان يعمل جهده بما يحقق للامة الانتفاع بها

(٢١) مصطفى السباعى « الرجوع السابق » ص ١٢٩ .

(٢٢) القرضاوى والعسال « الاسلام بين شبهات الضالين » ص ٢٣

(٢٣) محمد على « مولانا » الاسلام والنظام العالمى الجديد ص ٤٥

(٢٤) الطبرى « تاريخ الأمم والملوك » ج ٤ ، ص ١٧٥ ، ٢٠٣ .

تشر : وإن يعمل على تسييقها بحيث لا يترك الأموال تتكسفن في تركيز عنصر واحد منها دون سواه . فلا عليه أن يحول بعضها من الأراضي الزراعية إلى رؤس الأموال تجارية أو شركات صناعية ، على حسب حاجة البلاد المبنية على تقدير مصالحها : ويتم بذلك تسييقها على الوجه الذي يجعلها غنية بنفسها عن غيرها (٢٥) .

وقد عني القرآن الكريم عناية كاملة بالحث على البذل للفقراء المساكين والانتفاع في سبيل الله .

كما القرآن عمل على تحقيق الانتفاع بالمسال لخير الجميع . وتطهيرا للنفوس من بواعث الأثرة منها . وحارب الإسلام في المالكين لها والقائمين عليها خلق الشح الذي يمنع من البذل والانتفاع . كما جارب السفه الذي يؤدي بالمال في غير وجوه النفع . واتمامه المصالح يقول الله تعالى « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (٢٦) .

وقد أرشد القرآن الكريم إلى أن الضن بالأموال عن أداء الواجبات واتمامته المصالح القاء بالنفس إلى التهلكة .

وكما وقف القرآن وبجانبه أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من الشح بالأموال هذا الموقف : وقف أيضا الموقف عينه من التبذير فيها ، واضاعتها فيما لا يعود بخير على الأمة « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا » (٢٧) . وبعد أن أفرد القرآن كلا من الضن والتبذير بما يصور بسوء عاقبة جمعها في اطار واحد وارشد إلى الطريق السوي الذي يسلكه ارباب الأموال في اموالهم ، فيحفظ عليهم حياتهم ، ويمكنهم من اتمامها على عمسد قوية ثابتة (٢٨) قال تعالى :

« ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعسد

- 
- (٢٥) محمود شلتوت « المرجع السابق » ص ٢٥٥ .
  - (٢٦) سورة التغابن آية ١٦ .
  - (٢٧) سورة الاسراء آية ٢٧ .
  - (٢٨) شلتوت « المرجع السابق » ص ٢٥٨ .



ملوما محسورا « (٣٩) وقد حظر القرآن التعامل بالربا تشبها وكثيرة ،  
واعتبر آكل الربا محاربا لله ورسوله « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا  
ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين » (٢٠) .

وحرم عليهم الاحتكار الذي هو سمة الرأسمالية فقد قال صلى الله  
عليه وسلم « الجالب مرزوق والمحتار ملعون » (٢١) .

وقد حرم الاسلام الوان الترف التي تفسد الأفراد . فالخمر ممنوعة ،  
وأواني الذهب والفضة محظورة ، ولبس الذهب والحريير للرجال محرم

قال تعالى « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا  
فيها فحرق عليها القول فدمرناها تدميرا » (٢٢) .

من ذلك نرى أن النظم الاقتصادية الإسلامية نظم عالية متحضرة ،  
فقد اقام الاسلام قواعد الاقتصادية على منع الاستغلال بغير عمل ، وإن  
بتداول المجتمع الثروة حتى لا تكون دولة بين الأغنياء ، وتقرر أن تسكون  
للضعفاء والمحرومين حصصة سنوية ، وهي حق معلوم للسائل والمحروم ،  
قد يزداد عليها بأمر الأقامة واحسان الحسنيين .

فإذا كان المسلمون قد دفعوا الزكاة ، فقد دفع الذايمون الجزية ،  
فالمسلم لابد أن يتركى من ماله حتى لا يجبسه ، ويجب أن يتداول هذا المال  
فى التجارة والصناعة والعمل (٢٣) .

من هذا العرض نرى أن الاسلام يشجع تداول رأس المال، وتشغيله  
فإذا حبسه الانسان حولا كاملا ، وجبت عليه الزكاة وهى ٢٪ كذلك  
فرضت الى جانب زكاة المال زكاة الثمار والزررع ، وزكاة الأرض والثمار  
والذهب والفضة ، فالمجتمع الإسلامى هذا مجتمع متكامل متضامن ، ولا

---

(٢٩) سورة الاسراء آية ٢٩ .

(٣٠) سورة البقرة آية ٢٧٨ .

(٣١) القرضاوى والعسال « المرجع السابق » ص ٢٤ .

(٣٢) سورة الاسراء آية ١٦ .

(٣٣) عباسى المعتاد « مايقال عن الاسلام » ص ١٨٨ .

ولا أظن أن النظم الاجتماعية الحديثة من تكافل وتضامن ورعايه اجتماعية  
الإشينا قليلا مما أقره الإسلام .

واعتقد أن هذا رد كاف على المستشرق المتغالى الذى تصور أن أهل  
الذمة تسد اسلموا هربا من الضغوط المالية ، كيف ذلك وهذه هى نظم  
الإسلام المالية .

فالنظم الإسلامية نظم عادلة ، ومهما رفع دعاء الاشتراكية رؤوسهم  
ونادوا بمبادئهم ونظمهم ، فليس فى نظمهم وقوانينهم مثل هذه الاشتراكية  
الناعبة من ضمير الإنسان ، والتي جعلها الإسلام ديننا تقترب به دعواه من  
مسلاة ، وشهادة ، وتوحيد ، والمال كله ملك للإمة تحفظ اليد المستخلفة  
فيه وتنميه ، ثم تنفع به كلها ، يخرج من أحد جانبيها ويقع فى الجانب  
الأخر فهو منها كلها ، وهو الينا كلها ، وما اليد المعطية ، واليد الآخذة  
ألا يدان لشخصية واحدة كلتاها تعمل لخدمة تلك الشخصية ، وهى  
شخصية المجتمع الذى لا تقوام له إلا بتكافل هاتين اليدين على خيريه وبقيائه،  
ولعل معنى الوسيطة التى حل بها الإسلام المشكلة المالية تطهر بذلك،  
تلكم المشكلة التى ظل بها العالم فى أمسه وحاضره متردد بين طرفى  
الأمراط بالطغيان المالى والتفريط بالغاء الملكية الفردية ، وبذلك تقطعت  
أراصر الرحم الإنسانى ، وسخر الأغنياء الفقراء ، وثار الفقراء على  
الأغنياء ، ونشبت الحروب المدمرة ، وأفلست دعاوى المدعين السفين  
بخدمون أنفسهم من واقع الأمر ، ويتظاهرون بخدمة المجتمع الإنسانى ،  
وما ربك بغافل عما يعملون (٢٤) .

## المستشرقون والنظم الاجتماعية في الاسلام

لم يهمل المستشرقون بابا في النظم الاسلامية الا تدارسوه ، وبدلوا من اصدار الاحكام الجائرة عليه ، وكما بينت في كلامي السابق ان مرجع كل هذا هو العداء الصريح للاسلام والجهل به ، ولذلك فمن الموضوعات التي شغلت افكار واقلام طائفة المستشرقين المهادين للاسلام كانت النظم الاجتماعية في الاسلام ، واهم قضاياها . الفقر ، التعاون ، المرأة وما يخصها من موضوعات ، الرق في الاسلام .

وسأتناول كل تمضية من هذه القضايا على حده . متعرضة لآراء المستشرقين فيها ، مع تقديم الردود المؤيدة بالقرآن والسنة .

وسأبدا بمشكلة الفقر التي حاول هؤلاء المستشرقون ان ينسبوا الى بلاد الاسلام متخذين من سوء الاحوال الاقتصادية الموجودة في كثير من البلدان الاسلامية سببا في ترديد هذا الرأي متخذين من النظم الاقتصادية الاسلامية سببا لهذه المشكلة .

والدارس للاسلام يرى ان الفقر مرض اجتماعي ، وليس قدرا مقدورا لا حيلة في دفعه يسمى او كسب ، لقد أمر القرآن بالسعى في الارض قال « هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناسكها ، وكلوا من رزقه » (١) فلا يكون الفقر بعد ذلك الا لاحد امرين اما كسل او خمول وهذا لا يقره الاسلام ، واما العجز عن العمل ، ومثل هذا الفقر الذي لا حيلة للانسان في دفعه ، هو الذي وضع له الاسلام من قوانين التكافل الاجتماعي ما يدفع بؤسه ويحفظ للفقر كرامته .

ومما يدل على نفرة الشريعة من الفقر قوله صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر ان يكون كفر » (٢) وكان من دعائه عليه السلام « اللهم اني

(١) سورة الملك آية ٥١ .

(٢) رواه ابو نعيم في الحلية .

اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل ، واعوذ بك من الفقر والكفر  
والفسوق . واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون وسوء الأستقام « (٢)  
وفى دعاء آخر للرسول عليه السلام « اللهم انى أسالك التقى والهدى  
والعفاف والغنى » (٤) .

وهذا انتقال من موقف السلبية ، تجاه الفقر الى الايجابية من عكسه  
وهو الغنى ، وان فى طلب الرسول للغنى وهو قوة الزهاد فى الدنيا  
لدلالة بعيدة الأثر فى هذا المقام (٥) .

وقد عمل الاسلام على حل مشكلة الفقر ، فشرع تشريعات تعمل  
على الحد من هذا المرض الاجتماعى الخطير ، فقد رأينا فى دراستنا للزكاة  
التي فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده التيسارين حلا أمثل لهذه  
المشكلة ، فقد جعلها الله اذن لتومير العيش والطمأنينة للناسين  
والمحتاجين ، واذا امتنع الغنى عن اخراجها أخذتها الدولة منسه قهرا ،  
وجاز لها أن تعلن الحرب عليه .

وقد جاء الاسلام بنظام الارث . وذلك للتضاء على تكديس الثروات  
فى يد واحدة ، وهو من عناصر الطغيان المالى الذى يثير فى الجماعة  
حرب الطبقات ، ويعطى بذلك فرصة متكافئة للفقراء ليتفوا مع الأغنياء ،  
وفتح لهم باب العمل والسكيب . ولم يجعله محررا لطائفة : ولا مسدودا  
أمام احد فمن احيا ارضا ميتة فهى له ومن طرق باب تجارة فربحها فهى  
له ، ومن عثر فى باطن الأرض على ركاز (٧) ، يدفع الخمس منه  
والباقى له (٨) .

ومن لم يجد عملا وجب على ولى الأمر أن يجيبه له عملا . فان لم

(٢) رواه الحاكم والبيهقى .

(٤) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

(٥) مصطفى السباعى « اشتراكية الاسلام » ص ٨٢ .

(٦) محمود شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ٢٤٥ .

(٧) ركاز : مركزه الله تعالى فى الأرض من المعادن فى حالتها  
الطبيعية ، والسكنز والمال . انظر المعجم الوسيط .

(٨) القرضاوى والعسال « المرجع السابق » ص ٢٥ .

ببؤس منه عملاً أو كمن عاجزاً عن الصل أو كان نجساً من عنده كحذيف ، كان واجباً على ولي الأمر أن يرماه . وأن يبين له ما هو حق لستار مسلم أو ذمى في ظل دولة الاسلام .

وقد جعل الاسلام نفقة الفقير العاجز واجبة على تربيته الغنى ، وللحاكم اذا لم تكن الزكاة كافية لسد هذه الحاجات ان يفرض على اغنياء اذا لم تكن الزكاة كافية لسد هذه الحاجات ان يفرض على اغنياء المسلمين الضرائب الكافية التي تقيم مصالح المسلمين (٩) .

وقد قرر علماء المسلمين هذا الجدا ، فاذا احتاج المسلمون ، فلا مال لاحد كذلك اوجب الاسلام على اهل كل قرية ان يلتزموا بسد حاجة فقرائها ، ان لم تكف الزكاة ، وقد قرر ابن حزم « ان من ولي الامر يلزم الاغنياء من اهل كل قرية بذلك في هذه الحال » (١٠) . وهكذا اقام الاسلام العلاقة بين الغنى والفقير على اساس المساواة والعدل .

فهو يسوى بين الجميع في الحقوق والواجبات العامة ، ويتيح الفرصة للجميع ليتكسبوا ، ويقول للاغنياء « انفتحوا من طبيسات ما نسبتم » (١١) ويقول لولى الامر « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (١٢) ويقول للفقير لا تحقد ، ولا تحسد « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجنا منهم » (١٣) ثم يقول للجميع ، كونوا عباد الله اخوانا .

والمعروف ان الاسلام اعطى للفقراء ما لم يعطه دين آخر ، واهتم بهم اهتماماً بالفسالم يهتم به اى نظام اقتصادى عرف من قبل . محاولاً بذلك رفع الفقر عنهم لئلا يفسد المجتمع الاسلامى بوجود عنصر حاقدة محرومة نفيه فالفقر يدفع الى الكفر ، ولذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يشير الى الفقراء فى اكثر من موضع ، قال صلى الله عليه

- 
- (٩) محمد ابو زهرة « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ٢٣٠ .  
(١٠) المرجع السابق .  
(١١) سورة البقرة آية ٢٦٧ .  
(١٢) سورة التوبة آية ١٠٣ .  
(١٣) سورة الحجر آية ٨٨ .

وسلم « شر الطعام الوليمه يدعى لها الاغنياء ويترك الفقراء (١٤) » ، وقال « افضل الصدقة أن تشبع كبدًا جائعًا » (١٥) .

وقال عليه السلام « من منح منيحة لبن أو ورق أو أهدي زقانا كان له مثل عتق رقبة » وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الكثيرة يفضل الفقير على الغنى ، ليخفف من شأن الغنى في المجتمع ، وليجعل الشأن للعمل النافع وللإيمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأبي ذر أتري كثرة المال هو الغنى ، قال نعم يا رسول الله ، قال فتري قلة المال هو الفقر ؟ قال نعم يا رسول الله ، فقال الرسول : « انما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب » ، وفي حديث آخر « ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكي الغنى غنى النفس » (١٦) .

وكان الرسول عليه السلام يحارب مظاهر الغنى حتى لا تؤذى نفوس الفقراء معنى الحديث « لاتشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تلبسوا الحرير والديباج » (١٧) وفي حديث آخر « من لبس الحرير في الدنيا ، لم يلبسه في الآخرة » (١٨) وكان عليه السلام يأمر الفقراء الا ينظروا الى من فوقهم ، ولسكن الى الذين دونهم ، كيلا يعمل الحقد في نفوسهم .

وقد أمر الاسلام باخفاء الصدقات التطوعية وعدم اظهارها أو المن بها ابتغاء الشهرة والظهور والا بطل ثوابها ، قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » (١٩) .

والمعروف أن التعاون من أهم الوسائل التي تقضى على ظاهرة الفقر في مجتمع من المجتمعات ، لأن التعاون والتكافل يؤديان الى خلق مجتمع سليم ، واننا نرى اليوم في المجتمعات الحديثة مؤسسات تعاونية، ودور اجتماعية هدفها ربط الناس وتكافلهم بعضهم ببعض .

(١٤) رواه الشيخان .

(١٥) رواه البيهقي .

(١٦) رواه البخاري ومسلم .

(١٧) رواه الشيخان .

(١٨) رواه الشيخان .

(١٩) سورة البقرة آية ٢٦٤ .

وإذا كانت هذه النظم الحنيئة تدعو إلى ذلك ، فالدين الإسلامي هو دين المساواة والتكافل الاجتماعي ، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو أول استاذ لهذه النظريات في العالم .

وتعتبر دعوة الإسلام هذه أقدم دعوة في تاريخ العالم من ١٤٠٠ سنة ، والقرآن الكريم يقول في سورة المائدة محمداً بالتعاون على البر ، وقد جاء البر في القرآن بمعنى حسن المعاملة وطيب العشرة ومكارم الأخلاق ، والبعد عن الطغيان .

وفيه ورد قوله تعالى « وبرا بوالدتي، ولم يجعلني جبارا شقيا » (٢٠)

وجاء البر بمعنى الانفاق والبذل في سبيل الله وهو طريق للحق والخير والنفع ، وورد قوله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » (٢١) .

وجاء البر بمعنى العبادة من صلاة وزكاة ، وفيه ورد قوله تعالى بعد أن أمر بني إسرائيل بأقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة « أتأبرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » (٢٢) .

وجاء البر بمعنى مجموعة من الفضائل النفسية والاعتقادية والخلقية، وفيه ورد قوله تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله ، واليوم الآخر والملائكة ، والكتاب والنبين ، وآتى المسال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة والمؤمنون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (٢٣) .

كما جاء البر أيضا بالدعوة إلى التضامن فى أعمال الخير ، وعندهم

(٢٠) سورة مريم آية ٣٢ .

(٢١) سورة آل عمران آية ٩٢ .

(٢٢) سورة البقرة آية ٤٤ .

(٢٣) سورة البقرة آية ١٧٧ .

التضامن في أعمال العدوان في قوله تعالى « وتعاونوا على إتيار والتوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان » (٧٤) وإلى جانب البر نجد الإسلام أعلن عن مبادئ كثيرة للتكافل الاجتماعي في نصوص كثيرة من القرآن والسنة ، فمن القرآن الكريم قوله تعالى « إنما المؤمنون أخوة » (٧٥)

ان إعلان الإخاء بين أفراد مجتمع ما يوجب التكافل بينهم لأمى الطعام والشراب وحاجبات الجسم فقط ، بل في كل حاجة من حاجيات الحياة .

فالدعوة التعاونية في الإسلام قد عمت أكثر من ذلك ، فأمر بأن يكون أخير بلا تحديد في توأخيه هو هدف المجتمع التعاونى ، كما أمر بالبعد عن الأثم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ونرى الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أحاديثه يدعو إلى هذا المسداً قلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم « الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » (٢٦) وقوله عليه السلام « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة » (٢٧) وقوله عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (٢٨) وقوله « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمل والسهر » (٢٩) .

وبذلك تتنوع أنواع التكافل في الإسلام ، فهناك التكافل الأدبى ، وذلك أن يشعر كل واحد نحن الآخرين بشعور الحب وحسن المعاملة والتعاون في سراء الحياة وضرائها ، وقد دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « أحب لأخيك ماتحب لنفسك » (٣٠) .

(٢٤) سورة المسائدة آية ٢ .

(٢٥) سورة الحجرات آية ١ .

(٢٦) رواه الشيخان .

(٢٧) رواه البخارى ومسلم .

(٢٨) رواه الشيخان .

(٢٩) رواه الشيخان .

(٣٠) رواه الحاكم والطبرانى .



وهناك التكافل العلمى ، فقد أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
على العالم أن يعلم الجاهل ، وعلى الجاهل أن يتعلم من العالم . ويدخل  
فى ذلك الا يضمن العالم بعلمه على الناس ، وان يكتم ما أدركه من اسرار  
الشريعة او الكون ، لكى ينفرد بالرئاسة او التميز العلمى ، وقد جاء فى  
ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « من كتم علما لجهه الله بلجام من نار يوم  
القيامة » (٣١) .

وهناك تكافل سياسى . فقد قرر الاسلام أن لسكل مواطن حقه  
السياسى وحقه فى المراتبة والنصح لأولياء الأمور؛ لأنه مسئول عن مستقبل  
الامة وما كان كذلك ، فالجتمع كله متكافل فى تأييد السياسة الرشيدة ،  
وانكار الفساد والانحراف فيها ، ويدخل ذلك تحت عموم قوله صلى الله  
وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٣٢) .

وهناك تكافل دفاعى . وذلك ان كل مسلم فى الدولة عليه ان يتكافل  
مع بقية مواطنيه بالدفاع عن سلامة البلاد ، وعليه النفير اذا اغار عدو  
او مغير على ناحية منها بحيث أصبحت الامة فى حالة استنفار . وفى ذلك  
نزل قوله تعالى « اتفروا خفافا وثقالا » (٣٣) ولا يعفيه من هذا الواجب  
بثام ولا منزلة الا ان يكون به عذر او مرض (٣٤) .

وبذلك نرى ان الاسلام دين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويهدف  
الى تكوين مجتمع صالح متعاون متكافل ، متراحم متواص بالخير ، متواص  
بالرحمة له ولافراده ، لهم المجد والصلاح فى الدنيا والفوز والنجاح فى  
الآخرة . واذا كانت بعض المجتمعات الانسانية تسير الآن فى ظروف  
معتريا فيها الفقر والحاجة ، مما جعل اعداء الاسلام ينهالون على نظم  
الاسلام ويتمونها ، فائنا بما قدمنا نكون قد اثبتنا أن المسئول عن هذه  
المشكلة ليس الاسلام ، ولكن سوء تطبيق نظام الاسلام .

(٣١) رواه أبو داود الترمذى .

(٣٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣٣) سورة التوبة آية ٤١ .

(٣٤) مصطفى السباعى « اشتراكية الاسلام » ص ١١٨ .

## المرأة المسلمة في نظر المستشرقين

وجه المستشرقون اتهامات كثيرة حول قضية « المرأة في الاسلام » وحاولوا ان يشوهوا الصورة الكريمة الى رسمها القرآن الكريم للمرأة، ورددوا شبهات واهية ، وصورا مكنوبة .

فقد زعم زاعمون منهم ان الاسلام اهتم حق المرأة واستط منزلتها وجعلها متاعا في يد الرجل يتصرف فيها كما شاء بما يشاء .

والحقيقة ان المسألة لا ترجع الى حق يريدون تقريره او باطل يريدون تزييفه ، وانما هي العصبية الدينية او الفتنة بالتقليد الاجنبي عن طريق استحسان ما يستحسنه القوي ، ولو كان قبيحا منكرا واستقباح ما يستقبحه الضعيف ولو كان حسنا معروفا ، وهذا شأن درج عليه انفس في استحسان ما يستحسنون واستقباح ما يستقبحون (١) .

والحقيقة ان الاسلام قد شمل المرأة في جميع تشاريعه الخاصة بنظام الأسرة برعاية كريمة وعطف كبير ، وسما بها الى مستوى رفيع لم تصل الى ماله ولا الى ما يقرب منه اية شريعة اخرى من شرائع العالم القديمة والحديثة .

فقد رأينا كيف كانت تعامل المرأة قبل الاسلام معاملة مهينة ، فتسد كانت تعامل كأنها سقط متاع ، فهي لا تشارك في الرأي أو الحرب ، ولا تدفع الاذى عن قبيلتها (٢) .

يقول ابن عباس رضي الله عنه « كانت الحوامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة ، فمخضت على رأسها ، فاذا كان المولود انثى قذفت بها

---

(١) محمود شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ٢١٨ .  
(٢) عبد الرزاق نوفل « الاسلام والعلم الحديث » ص ٩٠ .

فى الحفرة واذا كان ذكرا استبقته فى حنان وعزه . وكان هناك طريقتة  
أخرى للواد وهى أن الرجل يترك البنث حتى السادسة من عمرها . فان  
أراد النخلص منها قال لأمها طيبيا وزينيا . ثم يذهب الى بئر حفرها فى  
المسحراء ويقول لها أنظرى هذا البئر . ويبيل عليها التراب « (٢) .

يقول الله تعالى « ويجعلون لله البنسات سبحانه . ولهم مايشتهون  
واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم : ينوارى من القوم  
من سوء مابشر به . أيهسكه على عون أم يدسه فى التراب الإساء  
ما يحكمون « (٤) .

وفى الغرب كانت المرأة فى ظل الحكم الرومانى تعال معاملة الرقيق .  
وتسمن كرامتها وعفتها . وليس هنسك أى تشريع عندهم يرفع من شأنها .  
وتد اجتمع فى روما مجمع كبير وبحث شئون المرأة ؛ فقرر انها كائن لانفس  
له . وانها لهذا لن ترث الحياة الأخرية . وانها رجس يجب . الا تاكل  
اللحم والا تضحك . وعليها أن نمضى وقتها فى الصلاة والعبادة والخدمة .  
وليس لها الحق فى ان تتكلم ؛ ولنعها من الكلام وضعوا على فمها قفلا  
من الحديد ؛ فكانت المرأة من اعلى الاسر تروح وتغدو فى الطريق او فى  
دارها وعلى فمها قفل ؛ هذا غير العقوبات البدنية التى كانت توضع عليها  
باعبارها أداة الاغواء يستخدمها الشيطان لاغواء القلوب (٥) .

والعجيب ان اهل الغرب الذين أصبحت نساؤهم تعيش تحت ظل  
المدنية الزائفة هم الذين يتكلمون عن مكانة المرأة فى الاسلام . ويقولون  
ان حقها هضم ؛ وان منزلتها اسقطت وجعلها الاسلام متاعا فى يد الرجل .  
فبالاسلام جعل المرأة شريكة الرجل حينما تحدث عن الاصل الذى تفرغ منه  
الإنسان . فكان الرجل ابا والمرأة اما فلا تفاضل بينهما فى جانب الإنسانية .  
يقول الله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم  
شعوبا وقبائل لتعارفوا ؛ ان اكرمكم عند الله اتقاكم « (٦) .

---

(٣) المرجع السابق .

(٤) سورة النحل آية ٥٨ — ٥٩ .

(٥) عقيف طباره « روح الدين الاسلامى » ص ٢٨١ .

(٦) سورة الحجرات آية ١٣ .

كما عنى الإسلام ببيان وحدة الزوجين وتساويهما من الناحية النفسية ليقضى على جميع النظريات الخاطئة التي كانت تزعم ان المرأة جنس منحط بذاته عن جنس الرجل (٧) . ويؤيد ذلك ما افترسه اللورد كرومر فى كتابه « مصر الحديثة » ان الرجل يتمسك بالاسلام اشد من تمسك المرأة المسلمة بالاسلام ويعلل هذا الافتراض على انه ظاهرة فى الحياة الاسلامية ، ويأته يرجع الى اختلاف وضعية كل من الرجل المرأة فى الاسلام (٨) .

والرد على ذلك قوله تعالى « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (٩) .

فبالاسلام يؤكد وحدة الزوجين ، وتساويهما من ناحية علاقتهم بربهما وجزائهما عنده « فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او اُنثى بعضهم من بعض » (١٠) .

وليقف المتأمل عند هذا التعبير الالهى « بعضهم من بعض » ليعرف كيف سما الاسلام بالمرأة حتى جعلها بعضا من الرجل ، وكيف حسد من طغيان الرجل فجعله بعضا من المرأة ، وليس فى الامكان ما يؤدي به معنى المساواة اوضح ولا اهل من هذه الكلمة التى تفيض بها طبيعة اجل والمرأة ، والتى تتبنى فى حياتهما المشتركة دون تفاضعل وسلطان قال تعالى « للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » (١١) واذا كانت المرأة مسئولة مسؤولة خاصة فيما يختص بعبادتها ونفسها فى نظر الاسلام أيضا مسئولة مسؤولة عامة فيما يختص بالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والأرشاد الى الفضائل والتحذير من الرذائل .

اضف الى ذلك ان الاسلام احترم رأى المرأة فيما تبدو وجاهته شأن رأى الرجل تماما سواء بسواء ، واذا كان الاسلام جاء باختيار آراء

(٧) سيد قطب « الاسام ومشكلات الحضارة » ص ٦٤ .

(٨) محمد البهى « الفكر الاسلامى الحديث » ص ٥٣ .

(٩) سورة النساء آية ١ .

(١٠) سورة آل عمران آية ١٩٥ .

(١١) سورة النساء آية ٣٢ .

بعض الرجال . فقد جاء أيضا باختيار رأى بعض النساء ، وذلك مملما  
حدث عندما تحاورت خولة بنت ثعلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بشأن زوجها الذى ظاهاها ، فسمع الله تحاورهما وانزل سبحانه ومعنى  
الآية الكريمة « قد سمع الله قول النى نجادلك فى زوجها وتشتكى الى  
الله ، والله يسمع تحوركما . ان الله سميع بصير » (١٢) فغرى كيف رفع  
الله شأن المرأة ، وكيف احترم رايها . وجعلها مجادلة ومحاوره للرسول  
وجمعها واياه فى خطاب واحد ، « والله يسمع تحاوركما » وكيف قرر  
رايها وجعله تشريعا عاما (١٢) .

والى جانب ما ذكرناه ، فان الاسلام لم يسلب المرأة حق التعليم فقد  
امرها ان تتعلم كل ما يمكنها من القيام بهذه المسئولية على الوجه الذى  
حددت فيه ، وطلب منها عليه وهو تحرى الخير والصلاح والبعد عن الشر  
والفساد ومن هنا اوجب الاسلام عليها - كما اوجب على الرجل معرفة  
العقائد والعبادات ومعرفة الحلال والحرام فى المأكول والمشروب رسائر  
النصرفات ، ولا نعرف بينها وبين الرجل فارقا دينيا فى التكليف واهليته  
سوى ان التكليف يلحقها قبل ان يلحق الرجل ، وذلك لوصولها بطبيعتها  
الى مناط التكليف وهو البلوغ قبل ان يصل الرجل اليه ، وفى ميدان الجهاد  
فقد سمح للمرأة بالاشتراك فيه بدون تكليف ، وقد وضع الاسلام ذلك  
وفرره من اول يوم دخل فيه ميدان الحرب والجهاد ، غير ان اختلاف  
النظم وتبدل الأحوال والشئون يوجب فى هذه الأيام حفظا لكرامة  
المرأة اذا ارادت ان تساهم فى هذا الواجب العام ان يتخذ لها الوضع  
الذى يصونها ، ويقيها شر العابثين مرضى القلوب السفين لا يسلم منهم  
جيش ولا مجتمع (١٤) .

وخلاصة ذلك ان الاسلام منح المرأة امساتها المساوية لانسانية  
الرجل ، وظهور ذلك فى كثير من نواحي التشريع الاسلامى ، فكان دينا  
مساويا لدمه والحكم فيهما واحد وهو التصاص ، قال تعالى « وكتبنا عليهم  
فيها ان النفس بالنفس » (١٥) وبذلك كان الجزاء الاخرى فى الاعتداء

(١٢) سورة المجادلة آية ١ .

(١٣) عائشة عبد الرحمن « المرأة المسلمة بين أمس واليوم » ص ٧٥

(١٤) محمود شلقوت ، « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ٢٢٧ .

فى حياة المرأة من نوع الجزاء فى الاعتداء على حياة الرجل ، كما أن القرآن نزل واحداً فى مسألة قتل الرجل خطأ ، وقتل المرأة خطأ « ومن تمل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله » (١٦) .  
دراخ انه لا فرق فى وجوب الدية بالقتل الخطأ بين الذكر والأنثى (١٧) .

وكذلك نجد أن القرآن الكريم لا يفرق بين الذكر والأنثى حينما حث الأبناء على البر بالوالدين « وتضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً » (١٨) .  
واذا انتقلنا من القرآن الكريم الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نجد انه ميز المرأة أكثر من الرجل ، فقد أجاب على سؤال أحد الرجال عن أحق الناس بحسن الصحبة فقال أمك ، وكررها ثلاث مرات ، ثم قال فى الرابعة أبوك .

والواقع أن الاسلام لم يحرم المرأة من الحقوق المدنية : فأباح لها التملك والتصرف فيما تملك ، وأباح لها توكيل غيرها فيما لا تريد مباشرته بنفسها وأباح لها أن تضمن غيرها وأن يضمنها غيرها .

وهذه منزلة تزد منحها الاسلام للمرأة باعتبارها انساناً كاملاً الانسانية منذ أن اشرفت الأرض بنسوره ، فى حين أن المرأة الغربية فى عصر الحضارة ، وحقوق الانسان — كما يقولون — لم تصل الى التمتع بهذا الحق الانسانى الذى تمتعت به المرأة فى ظل الاسلام (١٩) .

واذا نظرنا الى الحقوق التى منحها الله سبحانه وتعالى للمرأة فى موضوع زواجها ، نرى أنها حقوق تثبت مدى تقدير الشريعة للمرأة ، وكيف أن لها حقوقاً قبل الزواج وفى فترة الزوجية ، وعند فسخ العلاقة بين الطرفين .

فإذا ما جاء المرأة دور زواجها وهى بالغة عاقلة ، فإن لها أن تختار الزوج الذى تريده اختياراً حراً ، على أن يشترك معها وليها بالرأى

- 
- (١٥) سورة المسائدة آية ٥٥ .
  - (١٦) سورة النساء آية ٩٢ .
  - (١٧) شلتوت « المرجع السابق » ص ٢٣٧ .
  - (١٨) سورة الاسراء آية ٢٣ .
  - (١٩) سيد قطب « الاسلام ومشكلات الحضارة » ص ٦٦-٦٧ .

والمشورة فيمن تختاره . ولسكن ليس له أن يجبرها على وزوج معين وأن  
اختار هو زوجها لا يتم زواجها به إلا برضاها .

ويلزم الإسلام الزوج أن يقوم بتقديم مقدم صداق للمرأة ، ويعد  
منزل الزوجية ولا يحرم الإسلام أن تجهز المرأة بفاخر الثياب والزينة ولا  
أن يزود منزلها بالثمين من الأثاث والمناج قال تعالى « قل من حرم زينة  
الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (٢٠) .

أما في مرحلة الزوجية ، فقد اعنى الإسلام المرأة من أعباء المعيشة،  
والتأها جميعا على كاهل الرجل ، واحتفظ للمرأة مع ذلك بحقوقها المدنية  
كاملة غير منقوصة ، فالمرأة المتزوجة في الإسلام شخصيتها الكالة وثروتها  
الخاصة المستقلتان عن شخصية زوجها وثروته ، ولا يجبر الإسلام للزوج  
أن يأخذ شيئا من مال زوجته قل أو كثر (٢١) قال تعالى : « وإن أردتم  
استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحداهن منتظارا فلا أخسذوا منه  
نسيئا » (٢٢) وهذه المنزلة في المساواة بين الرجل والمرأة لم يصل إلى  
مثلها بعد أحدث القوانين في الأمم الديمقراطية المدنية (٢٣) .

وفي مرحلة الزوجية يعطى الإسلام الرجل الحق في انقواه على  
زوجته واسرته وقد بنى ذلك على سببين رئيسيين :

أحدهما أن الرجل مكلف بالاتفاق على الأسرة ، ولا يستقيم مع العدالة  
في شيء أن يكلف فرد الاتفاق على هيئة ما بدون أن تكون له التوامة عليها  
والإشراف على شؤونها .

والسبب الثاني : أن المرأة مرهفة العاطفة ، قوية الانفعال ، وأن  
ناحية الوجدان لديها تسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحي حياتها  
النفسية ، وقد سوى الله المرأة على هذا الوضع حتى يكون لها طبيعتها  
وما يتيح لها القيام بوظيفتها الأساسية ، وهي الأمومة والحضانة على خير

---

(٢٠) سورة الأعراف آية ٣٢ .

(٢١) عبد الواحد وافي « نظام الأسرة في الإسلام » ص ١٦٧ .

(٢٢) سورة النساء آية ٢٠ .

(٢٣) سيد قطب « المرجع السابق » ص ٦٦ .

وجه ، فلا يخفى أن هذه الوظيفة تحتاج الى عاطفة مرهنة ووجدان رقيق  
أكثر مما تحتاج الى التفكير والادراك والتأمل (٢٤) يشير القرآن الكريم  
الى ذلك « الرجال توأمون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض،  
وبما أنفقوا من أموالهم » (٢٥) .

وقد حاول بعض المستشرقين أن يبنوا فكرة قسامة الرجل على  
المرأة بفكرة التفوق Superiority ويجعل منه دلالة على نظرة الاسلام  
الى وضع كل من الرجل والمرأة في الحياة ، فهو يسمو بالرجل الى ذرى  
الرفعة بينما يهبط بالمرأة الى هاوية الضعة ، أما عن طاعة المرأة للرجل  
فتعرض على أنها نوع من الازلال ، وسبب لفرض الرق والعبودية على  
نصف البشرية الى غير ذلك مما يترتب على هذا الشرح المفرض (٢٦) .

ولابد أن نبين أن هذه الآراء جاءت من أجل تشويه الاسلام ، لأن  
الاسلام قد جعل قسامة الرجال في الأسرة قسامة رحيمة قائمة على المودة  
والمحبة والارشاد ، وتقيدها بقيود كثيرة تحفظ للمرأة كرامتها ، وبذلك منح  
المرأة مجال العلم ، ومجال العمل ، فقد تعلمت المرأة فعرفنا المرأة العاملة،  
والادبية ، والطبية ، والفقيهة ، والمتصوفة القانتة ، وما اليهن من كل  
ما عرف مثله عن أخيها الرجل .

#### شهادة المرأة وميراثها :

يرى كثير من المستشرقين الأجانب أن المرأة في الاسلام قد أهدرت  
انسانيتها ، لأنها ترث نصف حظ الرجل، كما أن شهادتها كذلك تعتبر نصف  
شهادة الرجل ، وذلك في قوله تمسالى « للذكر مثل حظ الأنثيين » (٢٧)  
وقوله « فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » (٢٨) .

والواقع أن السبب في تفضيل الرجل بالميراث أنه مطالب بنفقات  
المعيشة ومطالب بدفع المهر لزوجته، وعليه نفقتها وكسوتها وجميع ما تحتاج

- 
- (٢٤) عبد الواحد وافي « المرجع السابق » ص ١٧٠ .
  - (٢٥) سورة النساء آية ٣٤ .
  - (٢٦) محمد البهي « الفكر الاسلامي الحديث » ص ٥٣ .
  - (٢٧) سورة النساء آية ١٧٦ .
  - (٢٨) سورة البقرة آية ٢٨٢ .



اليه بالمعروف ببيها حتى أوجب الشهادة بالخائضين . وأوجب عليه أن يدفع العدة إذا ما طلق زوجته . فهو إذا مطالب بتفقتة على نفسه وأولاده ، وعليها : ومكلف بالديه وأقاربه . إذا كانوا ضعفا أو مفراة إذا فبماذا يتميز الرجل عنها ؟ الرجل مطالب بتل شيء والمرأة لا تطالب بشيء (٢٦) .

أما موضوع الشهادة في قوله تعالى « فإن لم يكونا رجيين فـرجل وامرأتان » فليس واردا في تمام الشهادة التي يقضى بها أمام القاضي ويحكم وإنما هو وارد في مقام الإرشاد الى طرق الاستيفاء والإطمئنان على الحقوق بين المتعاملين وقت التعامل . فالقسام مقام استيفاء الحقوق لا مقام قضائي .

ليس معنى هذا أن شهادة المرأة الواحدة أو شهادة النساء اللاتي ليس معهن رجل لا يثبت بها الحق ، ولا يحكم بها القاضي . فإن أتصى ما يطلب القضاء هو البينة ، وقد حقق العلامة ابن الجوزي أن البينة في الشرع أهم من الشهادة ، وأن كل ما يثبت به الحق ويظهره هي بينه يقضى بها القاضي ويحكم (٢٧) .

### الاسلام وتعدد الزوجات :

لم تلق أي مسألة من مسائل الاسلام مالاقتته هذه المسألة بالذات من طعن المستشرقين في الديانة الاسلامية فقد بثوا دعايات مسمومة ضد هذا الموضوع وحركوا الفكر الغربي ، بل والفكر الشرقي لينظر في هذا الموضوع لأنه يعده امتهانا لكرامة المرأة وأشعارا لها بعدم أهميتها في الأسرة ، وأن ذلك يؤدي الى مشاكل اجتماعية وخيمة والتي تشربد للأطفال والتي قطع أواصر الرحمة والترابة ومن الآراء التي أمامي الآن رأي الكاتبة الألمانية « اليس ليختنستادتر » (٢٨) تقول « انه من الامثلة التي طال بحثها واشتهر أمرها مثل النظام الذي يبيع تعدد الزوجات ، فليس في البلاد الاسلامية ماعدا البلاد التركية قانون يحرم هذا النظام بحكم القضاء

---

(٢٩) شلتوت « المرجع السابق » ص ٢٣٨ ، محمد أبو زهرة « الاسلام عقيدة وشرعية » ص ٢٣٣ .  
(٣٠) شلتوت « المرجع السابق » ص ٢٤٠ ، أبو زهرة « نفسه » .  
(٣١) عباس العقاد « ما يقال عن الاسلام » ص ٢١ .

السام أو القضاء الخاص بالأحوال الشرقية والمحاكمات الشرعية : فلا يزال تعدد الزوجات عملاً مشروعاً في ج.ع.م والباكستان وإيران والعراق واندونيسيا وأن العرف ليجته ، بتأثير القدوة العربية وتأثير متاعب تعدد الزوجات الى النفور منه ، ويزداد هذا النفور مع الزمن ، فنظر المسلم المعاصر الى البناء بأكثر من زوجة واحدة كأنه طراز عتيق ، وتختلف هذه النظرة بشيء من الترفع لأنه عمل يكاد أن ينحصر في الطبقة الرضيعة وأن المصلحين ليجدون السند الأقوى للاكتفاء بالزوجة الواحدة في آيات الكتاب إذ تدل الكلمات الأخيرة من الآية المشهورة في السورة الرابعة ، على أن الزواج المفضل هو البناء بزوجة واحدة .

والحقيقة أن الإسلام سمح بتعدد الزواج لأغراض عمرانية سامية وأغراض إنسانية نبيلة ، وأباح ذلك لضرورات حيوية لايسع مشرع حكيم إلا أن يقيم لوزنها أكبر وزن في تشريعها وخاصة إذا كان يشرع لجميع شعوب العالم كما هو الشأن في الإسلام .

فمن الأبحاث التي أقرها علماء الاجتماع أمثال جينزبرج وويستر مارك أن تعدد الزوجات كان النظام المتبع في الشعوب المتدينة في حين كان نظام الزوجة الواحدة هو النظام المتبع عند الشعوب المتأخرة وأن الشعوب التي كانت تحرم الزواج بأكثر من واحدة ، إنما كانت تتبع تقاليد لا تتصل بالدين ، كما أن الشعوب التي أجازت الزواج بأكثر من واحدة ، إنما أجازته طبقاً لما رأت فيه من فوائد اقتصادية أو عمرانية دون النظر إلى ذلك الدين ، فلم يرد في الإنجيل نص صريح يدل على تحريم الزواج بأكثر من واحدة ، وأن الإسلام في إباحته تعدد الزوجات قد أباحه في حدود معينها وظروف حددها وبقيود تجعل من العسير الأخذ به إلا في حالات اضطرارية (٣٢) .

كما أنه ثبت من علم الإحصاء أن نسبة الوفيات من الذكور أكثر منها في الإناث وذلك من ساعات الولادة حتى أول مراحل الشباب الأمر الذي يؤدي إلى زيادة نسبة الأحياء من الإناث على الذكور وهي مرحلة الشباب

---

(٣٢) عبد الرزاق نوفل ص ٩٢ .

تظل النسبة ثابتة ، اذ يموت من الشبان اكثر من الشباب وذلك يرجع اولا الى الحروب والى اخطار الأعمال التى يقوم بها الرجال فى المصانع والمعامل حيث نجد الوفيسات بين الرجال اكثر منها بين النساء وكذلك فان كثافة الأعمال التى تسبب الأمراض الخطيرة والموت المفاجيء والحوادث القتلة يتعرض لها الرجال مثل رجال المطافئء والغواصون ورجال الانقاذ ورجال الملاحة وغيرهم مما يجعل نسبة الأحياء من النساء اكثر من الرجال (٢٣)

واذا فرضنا جدلا أن جيلا من الأجيال انعدمت فيه الحروب والحوادث ونسأوت نسبة الأحياء من الذكور والاناث فى العمر حتى مرحلة الشباب فان كل فتاة فى سن الزواج لن تجد الفتى الذى يلائمها فى العمر على درجة الاستعداد للزواج نسبة لتكاليف المعيشة والزواج (٢٤) .

وبمناسبة هذه الأسباب الانسانية العامة التى تبرز نظام تعدد الزوجات كثيرا ما نظرا على الحياة الزوجية أسباب خاصة تجعل التعدد ضرورة لازمة فقد تكون الزوجة عقيما عقما أصليا أو قد تصاب بالعم بعد زواجها ، فلا تحقق فى كلتا الحالتين أهم غرض من أغراض الزواج ، وقد نصبح على اثر اصابتها بمرض جسمى أو عصبى أو بعاهة غير صالحة للحياة الزوجية فى أخص شسئونها وفى هذه الأحوال وأحوال أخرى كثيرة من نوعها ، يكون زواج الرجل بغير زوجته ضرورة لازمة لضمان الاستقرار العائلى ، وتحقيق الأغراض العمرانية من الزواج وللوقاية من الوقوع فى الرذيلة (٢٥) .

وقد أوجب الإسلام على الزوج فى حالة تعدد زوجاته ان يعدل بينهن واشترط على من يريد تعدد الزوجات أن يكون واثقا بقدرته على هذا العدل وأمره فى حالة خشيته من الجور أن يقتصر على واحدة قال تعالى « وان خفتن الا تقسطوا فى اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتن الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى الا تعدلوا » (٢٦) .

(٢٣) عبد الواحد وافى « الأسرة والمجتمع » ص ٤٣ .

(٢٤) عبد الرزاق نوفل « الإسلام والعلم الحديث » ص ٩٣ .

(٢٥) عبد الواحد وافى « نظام الأسرة فى الإسلام » ص ١٧٦ .

(٢٦) سورة النساء آية ٣ .

ولكن العدل الذي امر الله به مقصور على الأمور التي يستطيع الرجل أن يعدل فيها بين زوجاته كالأموال المتعلقة بالمأكل والمشرب والملبس والسكن والمبيت والوقت الذي يقضيه الرجل مع كل زوجة من زوجاته أما الأمور التي لا يستطيع الرجل بحسب طبيعته البشرية أن يعدل فيها كالميل النفسي والحب ، وما يترتب على ذلك من آثار في العلاقات الخاصة بين الزوج وزوجته ، فلا تدخل في نطاق العدل المأمور به .

وهذا هو ما وضحه الكتاب الكريم إذ يقول « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما » (٣٧)

ومعنى ذلك أن الرجل لا يستطيع سبيلا إلى العدل المطلق بين زوجاته مهما حرص على تحييده ، لأن ثمة أمورا لا سلطان للإنسان عليها كالحب والميل النفسي فلا يستطيع تبعا لذلك سبيلا إلى العدل فيها بحسب طبيعته البشرية ، وليس الرجال مكلفين بالعدل في هذه الأمور لأن البشر لا يكفون إلا ما يستطيعون القيام به ، وهم مكلفون بالعدل بين زوجاتهم فيما يستطيعون العدل فيه (٣٨) .

### المرأة المسلمة والطلاق :

يعتبر موضوع الطلاق من الموضوعات الهامة التي بدأ الغرب، يصوب اتهاماته نحوها ، ويذكرون أن المسلمين يستخدمون هذا الشريعة الإلهي أسوا استفلال ، ويتزوجون النساء ويطلقون بدون أسباب أو مبررات ، مما أدى إلى تدهور الحياة الاجتماعية بين الشعوب الإسلامية .

والحقيقة أن الإسلام شرع الطلاق من أجل استقرار حياة الإنسان لأن كثيرا ما يحدث في هذه الحياة ما يقتضي الطلاق ، بل ما يجعله ضرورة لازمة ووسيلة معينة للاستقرار العائلي والاجتماعي .

ولسكن الإسلام لم يبحه على الاطلاق ، بل قيده بقيود تكفل تحقيق

(٣٧) سورة النساء آية ١٢٩ .

(٣٨) محمود شلتوت « الإسلام عقيدة وشريعة » ص ١٨٤ .

المصالح العام ومصالح الأسرة نفسها ، ومكفل تحقيق التوازن في حقوق كل من الزوجين وواجباته والمساواة بين كفتيهما في هذه الشؤون .

ولذلك بغض الإسلام الناس في الطلاق ، وصوره في أبشع صورة ، وحث المسلمين على اتقائه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « ابغض الحلال إلى الله الطلاق » (٢٩) « تزوجوا ولا تطلقوا ، فإن الطلاق يهتز له عرش الرحمن » (٤٠) .

ولم يكتف الإسلام بهذا الزجر وهذا الوعيد ، بل اتخذ من النظم في شؤون الأسرة ما يكفل تحاشي الطلاق إلا لأسباب قوية ظاهرة .

فقرر أنه لا يصح الالتجاء إلى الطلاق لأسباب يمكن علاجها أو لأمر يمكن أن تتغير في المستقبل أو لا تحول بطبيعتها دون استقرار الحياة الزوجية على وجه ما . وحتى الأمور التي تتعلق بعاطفة الزوج نحو زوجته أو بكراهيته لبعض أحوالها لا يعدها الإسلام من مبررات الطلاق .

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى « وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن لمسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (٤١) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره بها خلقا رضى منها آخر » (٤٢) .

ومن النظم التي قررها الإسلام لتحاشي الطلاق أنه أمر الزوجين عندما يحدث بينهما شقاق أو نفور أن يعملوا على إزالته بإثارة دواعي الرحمة والوئام (٤٣) وفي هذا يقول الله تعالى « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا

---

(٣٩) رواه البخاري باب الطلاق .

(٤٠) ذكره الكاساني في كتابه « بدائع الصنائع » باب الطلاق .

(٤١) سورة النساء آية ١٩ .

(٤٢) رواه مسلم في صحيحه .

(٤٣) عبد الواحد وأبي « نظام الأسرة في الإسلام » ص ١٨٤ .

او اعراضا . فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير « (٤٤) .

ومن النظم التي قررها الاسلام كذلك لتحاثي الطلاق . انه اوجب على الزوجين اذا لم يستطيعا ان يصلحا ما بينهما بنفسيهما وبوسائلهما الخاصة ان يعرضا امرهما على مجلس عائلي يتألف من حكيمين ، حكم من اهل المرأة ، وحكم من اهل الرجل ، اى من رجلين لا يرى كساد الزوجين غضاضة فى الافضاء اليهما بذات نفسيهما وبأسباب شقاقهما .

وهما يعملان على بحث اسباب الشقاق والنوغيق بين رغبات الزوجين حتى يحل الصفاء والوئام (٤٥) .

يقول الله تعالى « وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » (٤٦) .

ومن الامور التي قررها الاسلام لنحاثي الطلاق انه قد رتب عليه من الناحيتين المالية والاجتماعية نتائج خطيرة والتي بسببه على كاهل الزوج اعباء ثقيلة . وان من شأن هذه النتائج والاعباء ان تحمل الزوج على ضبط النفس وتدبير الامور قبل الطلاق . فقد قرر انه يجب على الزوج اذا طلق زوجته ان يوفئها مؤجلا صداقتها ويقوم بنفقتها من مآكل وشرب وملبس ومسكن مادامت فى العدة . وتكون حضانت اولادها الصغار لها ولقربانها حتى يكبروا ، ويقوم بنفقة اولادها منه واجور حضانتهم ورضاعتهم ، حتى لو كانت الأم نفسها هي التي تقوم بذلك (٤٧) قال تعالى « فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن » (٤٨) .

فاذا لم يستطع مجلس التحكيم ان يوفق بين الزوجين ، ولم تجد الوسائل السابقة جميعا ، ولم تنن الزوج عن عزمه على الفرقة كان فى ذلك دليل على قيام حالة خطيرة تهدد استقرار الاسرة .

- 
- (٤٤) سورة النساء آية ١٢٨ .
  - (٤٥) شلتوت المرجع السابق ص ١٦٨ .
  - (٤٦) سورة النساء آية ٣٥ .
  - (٤٧) عبد الواحد وانى « نظام الاسرة » ص ١٨٦ .
  - (٤٨) سورة الطلاق آية ٦ .

عندئذ يجيز الاسلام للزوج الطلاق لمصلحة الأسرة ، ولتحقيق الصالح العام .

وحتى في هذه الحالة قد احاط الاسلام بالامر فوضع لالطلاق نظماً تتيج للزوج في أثناء اجراءات الفرقة فرمسة طريفة ليراجع نفسه ، ويعدل عما شرع فيه . ان كان ثمة سبيل للابقاء على الحياة الزوجية فأباح للزوج ان يراجع زوجته بعد كل من الطلاقين الأولين .

فاذا تكرر الطلاق مرة ثالثة كان ذلك دليلاً على ان الحياة الزوجية قد أصبحت غير محتملة بين الزوجين وانهما حاولا جبراً اختل عليهما نظامهما ، فحينئذ يقرر الاسلام الفرقة بينهما نهائياً ، ولا تحل له بعد ذلك حتى تنحى آثار العقد الأول والحياة الزوجية الأولى انحاءاً تاماً ذلك لا يكون الا اذا تزوجت من شخص آخر ، وانتهى الامر بطلاقها منه طلاقاً عادياً ، وراى كلاهما بعد هذه المدة الطويلة ، وبعد تغير الأحوال على هذا الوجه انه من الممكن استعادة الحياة الأولى على وضع اوم وامثل (٤٩) .

وفي هذا يقول الله تعالى « الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان » (٥٠) الى ان قال « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » (٥١) فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ، فان طلقها هذا الزوج طلاقاً عادياً « فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظننا ان يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » (٥٢) .

هذا ولم يدخر الاسلام وسعاً في احاطة المرأة المطلقة بعطف كريم ورعاية كريمة وفي العمل على حفظ حقوقها وحمايتها من الأضرار بها ، وذلك بما سنه من نظم رشيدة في النفقة والحضانة والعدة والأرضاع وطرق ايقاع الطلاق وزمنه وما الى ذلك .

هذه هي تعاليم الاسلام والسمة التي تعمل على المحافظة على الأسرة

- 
- (٤٩) المرجع السابق ، ص ١٨٧ .
  - (٥٠) سورة البقرة آية ٢٢٩ .
  - (٥١) سورة البقرة آية ٢٢٩ .
  - (٥٢) سورة البقرة آية ٢٢٠ .

غوية متماسكة منحابة . فإذا اختل بنساؤها وتماسكها اوجد الحلول ، فإذا عجزت أوجب الطلاق كما رأينا ايعيد البناء والتماسك .

وإذا كانت هذه القضية تسد سفلت بال الغرب ، وبدأوا يتخذونها مادة لهجومهم على الاسلام ، لذلك آثرت ان آتى برد على هذه الاتهامات من قبل مستشرق انجليزى منصف من رجال القانون يسمى مستر بننام فى كتابه « اصول الشرائع » وفيه ينقد النظام الكنسى المسيحى الذى يمنع الطلاق ، جاء فيه « حقا ان الزواج الأبدى هو الأليق بالانسان والملائم لحاجته ، والأوفى لأحوال الأسرة ، والأولى الأخذ به ، ولكن ان اشترطت المرأة على الرجل ألا تنفصل عنه ، حتى لو حلت فى قلبها الكراهية الشديدة مكان الحب والثقة لسكان ذلك أمرا منكرا لا يستسيغه أحد من الناس ، على ان هذا الشرط موجود بدون ان تطلبه المرأة ، اذ الشانون الكنسى يحكم به ، فيتدخل بين العاتدين حال التعاقد ويقول لهما ، انتما تقتربنا لتكوبا سعيدين ، فلتعلما انكما تدخلان سجننا سيحكم غلق بابيه ، ولن أسمح بخروجكما ، وان تقتاتلما بسلاح العداوة والبغضاء (٥٣) .

ويعلق المستر بنتام على هذا بقوله « ولو كان الموت وحده هو المخلص من زواج هذا شأنه لتنوعت صنوف القتل ، واتسعت مذاهبه ، ولكن لحسن الحظ استحدث المسيحيون من القوانين مايفتح لهما ابواب الطلاق ، ويعفيهم من ان يلجأوا الى القتل أو الانتحار للخروج من هذا السجن » (٥٤) .

لذلك رأينا ان القوانين الوضعية فى الغرب بدأت تشرع الطلاق لتقضى على كثير من الانهيار والفساد الذى عم الأسر الغربية، ولكن جميع هذه الحالات من الطلاق لا ترضى عنها الكنيسة ، ولكنها تقف صامتا امامها، فنجد ان آلاما من حالات الطلاق وزواج المطلقين والمطلقات الذين يعدون فى نظر الكنيسة زناه ، تحكم بها المحاكم الأوروبية والأمريكية . وتنفذها الهيئات المدنية فى مختلف شعوب الغرب المسيحى على رأى من الكنيسة ومسمع من رجال الدين ، دون ان تحرك ساكنا .

---

(٥٣) منير البعلبكي « دفاع عن الاسلام » ص ١٢٥ .  
(٥٤) المرجع السابق .



## الرق في الاسلام :

يذكر الاستاذ عباس العقاد في كتابه « ما يقال عن الاسلام » ان مسألة الرق في الاسلام موضوع حملة من اقوى الحملات العصرية يتآمر عليها الذين لايتفقون على شيء فيما عدا هذه الحملات وهم الماديون المنكرون للاديان وجماعات المبشرين الذين يحترفون صناعة الدعوة الى هذا الدين او ذاك (٥٥) .

والواقع ان الرق كان امرا شائعا منذ قديم الزمان ، ولم يذكر التاريخ بداية استعباد الانسان لآخيه الانسان واسترقاقه الا انه عرف ان الهند كانت من قديم الزمان تعيش على الحكمة التي تقول « من ليس برهميما فهو عبد للبرهمي » كما ان الفراعنة بنوا الاهرام بسواعد الرقيق (٥٦) .

والرق كان معروفا عند جميع الامم القديمة خاصة عند اليونان والرومان ، كما ان التوراه اباحت الاسترقاق بطريق الشراء او سبيا في الحرب ، وكذلك المسيحية ، فقد سمحت بالرق ، ويؤكد ذلك قول توما الاكويني في ان الرق حال من الحالات التي خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية ، وليس مما يناقض الايمان ان يقنع الانسان من الدنيا بأهون نصيب (٥٧) .

وقد انتشر الرق عند العرب قبل الاسلام انتشارا كبيرا ، وكانت الحروب التي لا تنتقطع في الجزيرة العربية ، وكان الغالب يأسر من المغلوبين من يستطيع ليصبحوا عبيدا ، ومن وسائل الرق عند العرب القوة فاذا قابلت قبيلة قوية قبيلة ضعيفة استسلمت القبيلة الضعيفة للقوية ، وخضعت لها واصبح افرادها عبيدا .

ومن وسائل الرق عند العرب الهجوم السريع ، فالشخص الذي يوشى وحده او الجماعة من الناس التي تمشى دون ان تستطيع حماية نفسها كانت عرضة للخطف نتيجة هجوم سريع فيصبحون بذلك عبيدا (٥٨)

(٥٥) عباس العقاد « ما يقال عن الاسلام » ص ١٥١ .

(٥٦) احمد زكي « الرق في الاسلام » ص ٩٨ .

(٥٧) العقاد « حقائق الاسلام وابطال خصومه » ص ٢١٥ .

(٥٨) احمد شلبي « مقارنة الاديان » ص ٣٣٥ .

والرقيق يعتبر مملوكا لسيدته اذا اشتراه كمتاعه . له الحق في بيعه أو قتله واذا كانت أنثى فله ان يستمتع بها كيف شاء ، وليس للرقيق قبل سيده ولا قبل المجموعة . ولا الدولة أى حق ، بل عليه كل الواجبات مشروعة أو غير مشروعة كانت في الاستطاعة أم لم تكن ، بل بلغ من الانسخاف بأمر هؤلاء الرقيق ان كانت الفلاسفة والحكماء يتبررون أن ارواح الرقيق غير خالدة (٥٩) .

وجاء الاسلام الذى صوره المستشرقون على أنه أباح الرق . وأباح استرقاق الأسرى وقتلهم ، كما أنه جعل هذا النظام نظاما مشروعا . فهذا كتاب يحمل اسم « الاسلام فى اثيوبيا » يقول كاتبه « وتجارة الرقيق ، وما تدره من أرباح تفوق حد التصور . تغرى كثيرين على احترامها . ولهذا اشتغل بها عدد كبير من العرب . فمكثنا اذن أن نتصور العدد الكثير من العرب الذى اشتغل بهذه التجارة ، وكون المراكز التجارية الكبيرة والصغيرة ، واستقر فى هذه المراكز المنتشرة بين قرى شرق افريقية صغيرة وكبيرة » (٦٠) .

وهكذا يحصر مؤلف هذا الكتاب تجارة الرقيق فى العالم كله فى افريقيا ، ثم يحصرها فى العرب ، كأن الرقيق لم يكن يسود العالم كله .

ثم يستطرد فيقول : « ولسكن الاسلام وحد بين العرب وحسد من خصوماتهم ، وأوقف غزواتهم التى كانوا يشنونها على بعضهم ، كما حرم أن يسترق مسلم مسلما وبذلك نقص مورد من موارد الرقيق الذى كان يعتمد عليه العرب فى حراسة قوافلهم وزراعة أرضهم وخدمتهم وليس هناك من مكان يستطيع أن يسد هذا النقص سوى الساحل الأفريقى للبحر الأحمر ، وما يسكنه — من مورد لاينقطع — من شعوب سوداء » (٦١) .

وبذلك يعيد المؤلف الى الواقعية بين المسلمين والأفريقيين الذين يريدون اعتناق الاسلام .

(٥٩) المرجع السابق .

(٦٠) عبد الكريم الخطيب « الاسلام فى مواجهة الملحدين والماديين »

ص ١٦٣ .

(٦١) المرجع السابق .

والحقيقة التي لاشك فيها أن الإسلام حرر البشرية من عبودية الرق ، وأوصى بتحرير الرقيق ، وكما هي سنة الإسلام بعدم الأخذ ببدا الطفرة فقد عالج مشكلة الرق بمحاولة الغائها على مراحل ، لأن المجتمع العربي كان يعترف بهذا النظام ويسير عليه ، ومن الصعب أن يجيء الإسلام ويلغى هذا النظام ويحرج جميع العبيد الموجودين في العالم الإسلامي دفعة واحدة مما يؤدي إلى ثورات السادة الكبار ، وتخلخل المجتمع وخلق مشكلة جديدة أزاء هذه الفئة المحررة .

لذلك تضمنت الحكمة الإلهية بأن يتدرج الالفاء ، ورسمت له خطة محكمة تتألف من النقاط التالية :

١ — لا يرد في القرآن الذي هو النصوص الأصلية الأساسية ، أي فصل يدل على الأمر بالاسترقاق أو اتخاذ الإماء سراير ، إن كان ذلك لا يمنع أن يتحدث القرآن عن هذا حديث من يعرفه ويقره كواقع ويرتب الأحكام التشريعية على أساس واقعته التي تقضى الحكمة بأن تترك مؤقتا (١٣) .

٢ — تتكفل النصوص من الكتاب والسنة ببيان أن الرق واقع مكروه ، وتشريع ما يكفل تصفيته من العتق في مناسبات متعددة ، لما عرض في سوق المعارضات ما يسهل كل من في يدهم رقيق ليحرره وليأشوا العوض الجزى لهم ، من صور تلك المعاضات .

### (أ) العوض المالي :

وذلك بأن يشتري العبد نفسه من سيده ، ومالك رقبته نظير مال بتفقان عليه ، فان اتفقا على الثمن المطلوب ، أعطى السيد عبده كتابا بهذا يحدد فيه المال الذي كاتب عبده عليه ، ويسمى الرقيق في تلك الحال مكاتباً ، لا يحرر من الرق حتى يؤدي المال الذي كوتب عليه . وقد دعا الإسلام إلى هذه المسكافية ، وجعلها أمراً ملزماً للمالك الرقيق إذا طلب

محمد المدني « المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء »

( م . ١٠ — الاسترقاق )

الرتيق ذلك منه فقال تعالى « والذين يبتغون السكاتب مما بائكت ايماكم فكانوا وهم ان عليهم فيهم خيرا » (٦٣) وهي دعوة الى مالك الرقيق ان ينظر في حاله ، وان يتحرى تسدرته على الحياة ، اذا هو تحرر من اسر الرق ، فان بعض الارتقاء قد افسد الرق وجودهم الانساني وفي خروجهم من يد بائعهم ضياع لهم .

ولما كان الرقيق المكاتب لا يملك مالا ، فقد جاء امر الاسلام انى المسلمين ان يخفوا لمساعدته ، وتخليصه من قيد الرق بتقسيم المال المطلوب منه فقال تعالى « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » (٦٤) وقال سبحانه « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والسائلين ، وفى الرقاب » (٦٥) .

وقال جل شأنه « فلا اقتحم العقبة ، وما ادراك ما العقبة ، فك رقبة ، او اطعام فى يوم ذى منقبة ، بقيمة ذا متربة او مسكينا ذا متربة » (٦٦) .

ولم يكف الاسلام فى شأن الرقيق المكاتب بهذا ، بل جعل فى الزكاة المفروضة فى مال اصحاب المال من المسلمين نصيبا ليؤلف المكاتبين ، فقال تعالى « اما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليهما والمؤلفة تسلوبهم ، وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » فريضة من الله « (٦٧) .

### (ب) العوض بما يقابل المال والجهد :

وهناك اعمال ، ارتكبتها المسلم مخالفا فيها شريعة الله ، فلما اراد ان يكفر عنها كان كفارة ذلك مالا ، نفقه فى سبيل الله ، وعيدا يعقسه او

- سورة النور آية ٣٣
- سورة النور آية ٣٣
- سورة البقرة آية ١٧٧
- سورة البلد آية ١١ — ١٦
- سورة التوبة آية ٦

أياماً معدودات يصومها فمن ذلك : الحنث في اليمين وكفارته كما يقول القرآن « اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم « (١٨) .

وهناك القتل الخطأ ، وكفارته كما نص القرآن الكريم « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا . فإن كان من قوم عدو لكم ، وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة . وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ، فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين « (١٩) .

وهناك الظهار ، وهو أن يقول الرجل لزوجته « أنت على كظهر أمي ، يريد تطليقها وتحريمها بهذا البدع من القول ، وفي هذا يقول الله تعالى « والذين يظاهرون من نسائهم ، ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلك توعظون به ، والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا « (٧٠) .

فهذه ثلاثة وجوه ملزمة للمسلمين ، فتحتها الإسلام لتحرير العبيد من أسر العبودية ، وقد كان لهذه الوجوه اثر ظاهر في تحرير أعداد لا حصر لها من الرقيق (٧١) .

٣ - يقصر الإسلام مورد الرزق على الأسر في حرب لاعلاء كلمة الله تعالى ، وفي هذه الحرب لا يجوز للمسلمين أن يتخذوا أسرى حتى نكحوا أي حتى يظهروا فيها ، وتعلوا كلمة الحق والتوحيد ، وإذا اتخضوا في حرب وانتصروا كان لهم أن يأسروا حينئذ ، ثم كان لأولياء الأمر الخيار المقرر بقوله تعالى « فأما منا بعد وأما فداء « أي فأما أن تمنوا عليهم منا »

(٦٨) سورة المائدة آية ٨٩

(٦٩) سورة النساء آية ٩٢

(٧٠) سورة المجادلة آية ٣ ، ٤

(٧١) عبد الكريم الخطيب « الإسلام في مواجهة السائين المحدثين »

تطلقوهم تفضلاً عليهم واحساناً بغير مقابل ، واما أن تتخذوا منهم فداء أى تطلقوهم بمقابل ، وعلى هذا فلا ذكر صراحة للاسترقاق ، واما يتكلف بعضهم فيجعل الاسترقاق داخلاً فى المن لأن المن اما أن يكون كاملاً بإطلاقهم دون أى مقابل ، واما أن يكون جزئياً باعفائهم من القتل مع استرقاقهم ، وبعضهم يحاول ادخال الاسترقاق تحت الفداء فيقول ان فداء حياتهم اما أن يكون بمقابل مايبذلونه أو بنفس الأسير حيث يستعبد ويسترقق ثمنا لبقائه حيا دون قتله (٧٢) .

والخلاصة التى تنتهى اليها أن هذا النص هو الوحيد المتضمن حكم الأسرى وسائر النصوص تتضمن حالات أخرى غير حالة الأسرى . وانه هو الأصل الدائم للمسألة ، وما وقع بالفعل خارجا عنه كله لمواجهة حالات خاصة واوضاع وقتية ، فقتل بعض الأسرى كان فى حالات فردية يمكن أن يكون لها دائما نظائر ، وقد أخذوا بأعمال سابقة على الأسرى ، لا بمجرد خروجهم للقتال ، ومثال ذلك أن يقع جاسوس أسيرا فيحكم على الجاسوسية لا على أنه أسير ، واما كان الأسير مجرد وسيلة للقبض عليه .

ويبقى الاسترقاق الذى كان لمواجهة اوضاع عالية قائمة ، وتقاليد فى الحرب عامة ، ولم يكن ممكنا أن يطبق الاسلام فى جميع الحالات النص العام « فاما منا بعد واما فداء » فى الوقت الذى يسترقق أعداء الاسلام من يأسرونهم من المسلمين ، ومن ثم طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم فى بعض الحالات فأطلق بعض الأسارى منا ، وفادى ببعضهم أسرى المسلمين ، وفادى بعضهم بالمال وفى حالات أخرى وتم الاسترقاق لمواجهة حالات قائمة لاتعالج بغير هذا الاجراء (٧٣) .

تلك هى الخطة التى وضعها الاسلام لتصفية الرق ، وتضييق مداخله وتوسيع مخرجه ، ولا ينبغى أن يؤخذ الاسلام بفعل المسلمين ، فيها بعد حينما كان الاسترقاق خارجا على هذه الخطة ، وكان الخلفاء من أمويين وعباسيين وغيرهم من الاغنياء يتخذون السرارى بغير تقييد

(٧٢) المدنى « المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء » ص ١٤٨.

(٧٣) سيد قطب « فى ظلال القرآن » ج ٦ ص ٣٢٨٥ .

بل يتوسع وأسراف فإن ذلك كله مناف لروح الإسلام ، وإن ادخل على النصوصم بالأراء والأقوال وتأويل الرجال .

وقد رأينا فيما ذكرناه من آيات أن الأرقاء تسد فتح الله أمامهم باب العتق لأن الإسلام يعتبر أن الرق ماهو إلا أمرا عارضا .

أما موقف الإسلام من الأرقاء في حالة استرقاقهم فقد كان موقفا كريما أصيلا .

فقد ذكرت أحاديث كثيرة للرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن منها جاء في الحديث « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين » ذكرتهم « ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها ثم أدبها فأحسن تأديبها ، ثم اعتقها وتزوجها » (٧٤) وقوله صلى الله عليه وسلم « من لطم مملوكا له أو ضربه مكفارته عتقه . » (٧٥) وقوله صلى الله عليه وسلم « إلا أتيتكم بشراركم : قالوا نعم يارسول الله ، قال من أكل وحده ، ومنع رغبة ، وجلد عبده » (٧٦)

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرقيق حيرا قال : « اتقوا الله في الضعيفين المرأة والرقيق » (٧٧) .

ويؤيد هذا الكلام مستشرق هو ستانلى لين بول وهو يتحدث عن الأرقاء بأسبانيا عقب الفتح الإسلامى للانطلس قال : أما فرج العبيد بما طرا على نظام الحكم من التغيير فقد كان عظيما حقا ، يمسد أن لايقوا من ضروب العسف والقسوة من القوط والرومان ماتتشمع له الأبداء ، فإن الرق في رأى المسلمين نظام انساني رقيق ، حتى أن النبي « صلى الله عليه وسلم » حينما لم يجد بدا من الإبقاء على هذا النظام العتيق الذى يعارض مبادئ الإسلام بذل كل جهد لتخفيف ويلاتة في كثير من الوصايا والأحاديث (٧٨) .

(٧٤) رواه البخارى ج ٨ .

(٧٥) رواه مسلم وابو داود .

(٧٦) رواه الطبرانى .

(٧٧) رواه ابن ماجه .

(٧٨) لين بول « العرب في اسبانيا » ص ٤٠ .

ونرى مصداقاً لجميع هذه الآراء ماعرضه المستشرق جوستاف لوبون بقوله « واعترف جميع السياح الذين درسوا الرق في الشرق درساً جدياً بان الضجة المفروضة التي أحدثها حوله بعض الأوربيين لا تقوم على أساس صحيح ، وأحسن دليل يقال تأييداً لهذا هو أن الموالى الذين يرغبون في التحرر بمصر ينالونه بإبداء رغبتهم منه أمام أحد القضاة ، وانهم لا يلجأون إلى حقهم هذا » . قال المسيو ابيير مشيراً إلى ذلك « يجب عد الرقيق في الإسلام منجوتاً على قدر الامكان » (٧٩) ويذكر السير توماس ارنولد ، ما يؤكد كلامنا هذا بقوله « كان للرقيق كما كان لسائر المواطنين حقوقهم ، بل قيل انه كان للعبد أن يقاضى سيده إذا اساء معاملته وانه اذا تحقق القاضى من اختلاف طبيعتهما اختلافاً بينا إلى حد تعذر الاتقان بينهما ، فله أن يرغم السيد على بيعه » (٨٠) .

وقد اوصى الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بحسن معاملة الرقيق « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ، وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » (٨١) .

ويقول الأستاذ العقاد في هذا الموضوع (٨٢) « ان الأديان جميعاً تبطل الإسلام أباحت الرق ، والزمت الأرقاء طاعة سادتهم وتسخيرهم في خدمتهم وخدمة ذويهم واعتبره بعض الدعاة قضاء مبرماً يعاقب به الخالق من يعصونه من خلقه ويضلون عن سبيله ، فشرع العتق ولم يشرع الرق ، وقد تدب المسلمين إلى فك الأسار عن الأسرى فجعله فريضة من التكفير عن ذنوب كثيرة .

أوجب الإسلام قبول الفداء مع استحسان فك الأسار بتغير فداء وغرض تحرير الرقاب على من يقتل خطأ ، ومن يحنث في يمينه ، ومن بظاهر من زوجه ، ومن يؤدي الزكاة في مزارعها ومنها غدية الرقاب .

- 
- (٧٩) جوستاف لوبون « حضارة العرب » ص ٣٧٧ .
  - (٨٠) توماس ارنولد « الدعوة إلى الإسلام » ص ٢٠٠ .
  - (٨١) سورة النساء آية ٣٦ .
  - (٨٢) عباس العقاد « ما يقال عن الإسلام » ص ١٥٤ .



ولم يبق الاسلام من قيود الرق الا ما هو باق الى اليوم لاتفاق الدول وسيبقى بعد اليوم الى ان يشاء الله .

فالقوانين الدولية اليوم تبيح تسخير الأسرى واعتقالهم الى ان يتم الفداء بتبادل الأسرى او ببذل التعويض الذى تفرضه الدولة الغالبة . وقد تأخرت دول الحضارة أكثر من عشرة قرون قبل ان تنتظم بهامعاملات الحرب على هذا النظام الذى شرعه الاسلام . وأوجبه على الدول الإسلامية ، وهى تتولى صرف الزكاة « فى الرقاب » .

فاذا كانت الدول غير الإسلامية ، لم تعرف لها نظاما تمنعه لاطلاق اسراها من الرق ، فهى المسئولة عن هذا التصير ، وليس نبي الاسلام ار الدولة الإسلامية ملامة فيسه ، وقد تعود الى الواقع من رايخ الحرب بين الدول الإسلامية ، وغيرها فنسظم ان هذه الدول الأخرى تسد تعلمته من المسلمين نظام تبادل الأسرى وتحرير الأرقاء منذ اشتبكت بالحروب بين حكومات الروم فى آسيا الصغرى ، وحكومات المسلمين التى تجاورها . ولو وجدت شريعة الفداء عند حكومات القرن السابع للميلاد ، كماوجدت عند الحكومة الإسلامية لتقدم العالم كله فى قضية الأسر والرق أكثر من عشرة قرون .

ولنسأل أدياء التحرير فى العصور الحديثة ، ماذا يحدث فى هذا العصر . لو لم يصبح تبادل الأسرى معاملة متفقا عليها بين اعدائين ؟ ماذا تصنع كل دولة بأسراها فى ميادين القتال ؟ هل تفهيم من العمل ؟ هل تعامل اعداءها المأسورين معاملة المواطنين اصحاب الحقوق ؟ هل تطلقهم وتبقى جنودها المأسورين عند اعدائها ؟ هل تصنع بهم من نيعا أكرم من صنع الاسلام يوم أوجب على المسلمين ان يمنوا بالتسريح أو يقبلوا الفداء والعق أو يوجبوه فى مقام التكفير والاحسان .

ان صنيع الاسلام الذى أوجبه قبل أربعة عشر قرنا هو غاية ماتستطيعه دول الحضارة اليوم فى انصاف اسراها وأسرى اعدائها ، فأما ان يكون ، ولا كيف يأتى لنظام من النظم الدولية أن يستقر عليه .

على ان دول الحضارة لم تدرك فضيلة الدين الاسلامى . ثم ثريعات الرق ، استثناء دولة منها فى احدث تشريعاتها الإنسانية كما تسجيا ، أما

الإسلام فقد أنصف الأرقاء ابتداء بغير اضطراب إلى الإنصاف انقضاء لثورة سياسية أو منازعة اقتصادية أو أزمة من أزمات الحروب والاستعداد بالسلاح .

ان اول خطوة من خطوات الحضارة الحديثة إلى تحرير الأرقاء جاءت على أثر النزاع بين اصحاب الصناعات الكبرى في بلاد تنفق الأجور الوفيرة على الصناع ، وبين اصحاب الصناعات حيث تدار بأيدي الأرقاء ، ولا تنفق عليها أجور ، فان اصحاب الأموال والصناع معا حاربوا الرق ليحاربوا هذه المنافسة ، واستجابوا لداعى المنفعة قبل ان يستجيبوا لداعى الكرامة الانسانية .

ثم جاءت الخطوة الثانية يوم احتاجت الدول إلى العبيد لتجنيدهم أو لصنع السلاح في غيبة المجندين ، فخطبت ودهم بمنحهم حقوق الانتخاب والتصويت ، وجاءت بعدها آخر الخطى يوم نهضت القارة الأمريكية نهضتها تحررت شعوبها من سادتها وخاف أولئك السادة أن يسبب السواد إلى معسكر أعدائهم في سباق التنافس على التحرير واجتذاب قلوب المستضعفين إلى هذا الفريق أو ذاك الفريق ، فلما وصلت الحضارة الأوروبية إلى هذا المدى بعد طول التمثر والمحال ، لم تكن قضية الرق بمندها قضية سماحة وإنصاف وكذا كانت ولا تزال قضية مساومة واضطرار وحيلة من حيل السياسة والادارة ، وخطة من خطط التأخير والاستغلال .

والفارق الأكبر في مسألة الرق من جانب الواقع التاريخي هو ذلك الفارق الذي تحصيه الأرقام بالحساب بين عدد الأرقاء في البلاد الإسلامية وعددهم في البلاد الغربية حيث يعيشون اليوم بين الأمريكتين . فان الأرقاء من الزوج لم يزيدوا في البلاد الإسلامية — بعد ثلاثة عشر قرناً — على ثلاثة ملايين أو نحو هذا العدد القليل بالقياس إلى سعة البلاد وطول الزمان واتقارب المكان ولكن عدد السود في الأمريكتين قد يبلغ العشرين مليوناً ولما لم يمض على قيسام الحكم الأبيض هناك أكثر من ثلاثة قرون . وبعد من هذا الفارق في العدد فارق في المعاملة التي لقيها الأرقاء في البلاد الإسلامية والمعاملة التي لقيها اخوانهم في الأمريكتين ، فلا وجسه للمقارنة بين المساواة في النسب والمصاهرة ، وحقوق الدم والمال وبين

تحريم المساكنة والمصاهرة ، واستباحة الدم انتقاما من الأسود الذي يرفع هذه الحواجز بينه وبين سادته البيض .

ان مسألة الرق تصلح للدعاية الواسعة بين الناشئة الاسلامية والامم الافريقية التي تتحرر من قيودها وتتلتمس سبيلها الى عقيدة مثلى ، وحضارة يصلح لها وتخطبها بما يقنعها ، ولكنها دعاية للاسلام ، وليست بالدعاية التي يحارب بها الاسلام ، فاذا انعكست الآية ، وذهب بها سيطرة المادية والتبشير مذهب الحملة الشعراء على الاسلام ، بوسع ومشهد من المسلمين ، فمن ذا يلام على ذلك غير اولئك المسلمين « (٨٢) .



الفصل الخامس  
الإسلام والعلوم الحديثة



## الإسلام والعلوم الحديثة

يعجب المسلم عندما يقرأ ما كتبه الغربيون المستشرقون عن الإسلام والمسلمين وموقفهم من العلوم العلمية .

فهذا هو المسيو رينان أحد أعضاء جمعية المعارف بفرنسا في جامعة السوربون بباريس (١) يكتب مقالا عن دين الإسلام والعلم ، وفيه نرى افتراءات واكاذيب وجهلا كبيرا بحقيقة الدين الإسلامي وموقفه من العلوم العلمية .

يقول المسيو رينان في ثانيا مقالة ص ٤ .

« كل من ذهب معنا الى المشرق او الى افريقيا رأى ان عقولهم بلغت من الحمق غاية حتى كأن دينهم صار كنانا على قلوبهم فحجبها عن ان تعى شيئا من العلوم والافكار الجديدة ، فلا ترى الا القليل من اولادهم من تشاهد فيه النبهة ، لكن اذا بلغ العشر او الاثنتى عشرة سنة وتعلم العقائد صار متعصبا في الدين ، واخذ يختال حقا على غيره ظننا ان هذا هو الحق فيعد نفسه سعيدا بما اختصه بما هو في الحقيقة سببا لانحطاطه » (٢) .

---

(١) أرنست رينان أحد أعضاء جمعية المعارف بفرنسا في جامعة السوربون بباريس له كتاب « الإسلام وآراء العلم والفلسفة » وهناك محاضرة معربة عن دين الإسلام والعلم قام بتعريبها على يوسف .

(٢) أرنست رينان « دين الإسلام والعلم » ص ٤ .

ويقول في موضع آخر ص ٨ « قال بعض كتاب المشرق المدعو « أبو الفرج » — وهو مسيحي ملطي — في انشاء كلامه عن طباع العرب « ان العلوم التي كانت تفخر بها هذه الأمة « يعنى العرب » هي علوم اللغة والعروض والقياف والانشاء اما من جهة الفلسفة فما عليهم الله منها شيئا وما جعلهم اهلا لها « ويستكمل مسيو رينان كلامه بقوله « وهذا هو نفس الحقيقة اذ البدو وان كانوا اكثر الناس كلاما وهم اقلهم في التأمل والبحث عن الخفى والعربى المتدين يكتفى في تعليل حوادث الكون بقوله : ان الله تعالى خالق العالم هو الذى يدبر الامور مباشرة ، يرسل لسا انبياء يرشدونا اليه . ولهذا لا ترى في المدة التي كان فيها الاسلام منحصر في الأمة العربية — اعنى مدة الخلفاء الاربعة الاولين ومدة بنى امية ادنى فكرة خارجة عن الديانة » .

ويقول رينان في موضع آخر ص ٣٩ .

« ان الدين الاسلامى اخر العقل البشرى وحجبه عن التأمل في حقائق الاشياء بنفوذ زاد منعمول تأثيره عن الاديان الاخرى حتى جعل بعض البلاد التي انتشر فيها كميدان لايعبر البحث عن حقائق الاشياء الذى به يتسع العقل ، وزد على ذلك ان عقول اهل هذه البلاد قاصرة من نفسها ، وما يتميز به المسلم هو بقضه للعلوم ، واعتقاده ان البحث كفر وقسلة عقل لا فائدة فيه » (٢) حتى ان هذا المستشرق يشير الى ان رفاعسة رافع الطلطاوى عندما عاش في باريس اثناء بعثته ثم عاد الى مصر الف كتابا ادعى فيه ان العلوم مضادة للدين الاسلامى .

والى جانب هذه الاتهامات يقول : عندما دخل الاسلام بلاد الفرس اوقف النشاط العلمى حيث كانوا منفردين بالطب وعلى المسام بالفلسفة الاغريقية واساتفتهم كانوا من اهل الهندسة والمنطق فترى قوتهم قهقائد

---

(٢) رينسان « دين الاسلام والعلم » ص ٣٩ .



الفرس التي اشتهروا فيها ووتائع رستم انه كان يدعو جاتليك كلما احتاج لعمل تنظرة ، وهذا الاسم كان يطلق على اساتفة وبطارقة النصارى . حتى انه يقول ان بغداد اُسست عاصمة لهذه الدولة الفارسية ؛ لكن ما أمكن تعويض لغة الفاتحين أي لغة العرب باللغة الفارسية ؛ حتى انه يشك في اسلام الخلفاء المشهورين اعنى المنصور وهارون الرشيد والمأمون المعاصرين للكارتلوسيين عندنا فانهم كانوا يعملون ظاهرا لا باطنا بالديانة التي هم رؤساؤها ، وكانوا يبيلون لمعرفة كل شيء خصوصا الاشياء الاجنبية وثنية كانت او هندسية او فارسية او اغريقية (٤) .

هذه جملة افتراءات وكتايب وجهل صدرت عن مستشرق فرنسي في القرن التاسع عشر وابواب القرن العشرين ، يحاول فيها أن يعمد عن الاسلام كل اتجاه علمي — ويرمى الاسلام بالجهود والتخلف ، ويسبب المسلمين ويدعى انهم يحرمون الاستغفال بالعلم .

والحقيقة انني اخترت واحدا من هؤلاء المستشرقين \* لانهم كثر والانحراف في اقوالهم واحكامهم الجاهلة يسيء اليينا ، ولكن لا بد لنا من معرفة مايقال عنا وما ننتهم به حتى نستطيع ان نقدم الأدلة والبراهين التي نسوقها جميعا من كتاب الله « دستور المسلمين » .

ويرى الشاطبي في الموافقات (٥) ان القرآن يشمل علوم الدين وعلوم الدنيا وهي ما تسمى بالعلوم الكونية ، وما يلحق بها من فنون وعلوم للمتقدمين والمتأخرين لعلم المنطق ، ودليل هذا قول الله في كتابه العزيز : ما فرطنا في الكتاب من شيء (٦) وقوله « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » (٧) .

(٤) المرجع السابق ص ١١٠-١٢٠ .

(٥) الشاطبي « الموافقات » ج ٢ ص ٥٢ .

(٦) سورة الانعام آية ٢٨ .

(٧) سورة النحل آية ٨٩ .

ولذلك فان العلوم الحديثة على اختلاف أنواعها وتباين موضوعاتها لم تكن نظرياتها وتواعدها أو قوانينها الا ترجمة ناطقة بلسان الحقائق الصامته الموجودة في الكون . غداً العلوم ومسمياتها موجودة عند موضوعاتها منذ خلقت الدنيا ، وانها عمل فيها واضعوها بعد ان استكشفوا حقائقها باستقرار جزئياتها ، عملوا امرين اثنين :

١ — تسميتها وجمع تواعدها وترتيبها .

٢ — تحقيقها ببراهينها وتطبيقها على افرادها .

ولنضرب لذلك مثلاً الحرارة والبرودة فانها خلفتاً مع السموات والأرض وكذلك الكهرباء الاستاتيكية مخلوقة مع النعام وتلك شرارة كهربائية تبدو مشاهدة للعالمين كلما برق البرق ودوى الرعد قبل ان يعلم الانسان علم الكهرباء . والكهرباء الديناميكية موجودة قبل العلم بنظرياتها كلما كان احتكاك بين جسمين صلبين كالصلب والحديد مثلاً ، وهكذا ظاهرتنا الضوء والصوت ، فانها من الحقائق حين يدا في الكون الضياء والاصوات وان الذي استطاع الانسان عمله من ذلك بعد مرور الالاف من السنين هو انه اهتدى اليها وكشف غطاء الجهالة عن وجهها فتجلت له نظريات وتواعد ونجارب ومسائل جمعت ورتبت فكانت علوماً ، واختص كل علم بما يناسبه من تلك النظريات ، وان من الخطأ البين القول بأن العلماء اوجدوا باختراعهم طرق تسخير الطبيعة لارادتهم وتيسير سبل الانتفاع بها بعدد كسبها ، وكذلك نقول في العلوم الاجتماعية كعلم التاريخ مثلاً الذي يقرر الحقائق الماضية التي وقعت في الأزمنة المنقرضة فيجمع المؤرخ شتاتها ويؤلف بينها ويهذب عبارتها ويرتبها فتكون علماً يسمى علم التاريخ اذا تجلى هذا يتبين لنا ان القرآن الكريم ، حينما يعرض لنظرية من نظريات العلوم التي استكشفت ، ولم يكن للعلماء علم بها من قبل ، فاننا نقول ان استكشاف ذلك العلم الذي منسه تلك النظرية اثبتت تسميتها موجوداً في الكون من قديم الزمان (A) .

والحقيقة التي أحب أن أركز عليها في هذا الموضوع هو أن الدين الإسلامي يحث المسلمين على البحث والإطلاع والدراسة والتتقيب فهو ليس دين جمود ولم يحارب العلم مطلقا ، فكما ذكرت من قبل فإن أولى آياته التي نزلت على رسوله هي « اقرأ باسم ربك الذي خلق — خلق الإنسان من علق » (٩) . وتتكرر آيات القرآن الكريم في الدعوة الصريحة إلى النظر في خلق السموات والأرض ولا بد أن هذا حث على البحث العلمي بقوله تعالى (١٠) « قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » .

وقوله تعالى (١١) « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » .

وقوله تعالى (١٢) « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » .

وقوله تعالى (١٣) « فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شققا ، فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم » .

ويقرر القرآن أن الله سبحانه وتعالى علم الإنسان فيقول في سورة الرحمن (١٤) « خلق الإنسان علمه البيان » وفي سورة العلق « علم الإنسان . ألم يعلم » (١٥) وفي سورة البقرة (١٦) « واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » .

---

(٩) سورة العلق آية ١

(١٠) سورة يونس آية ١٠١ .

(١١) سورة الأعراف آية ١٨٥ .

(١٢) سورة ق آية ٦ .

(١٣) سورة عبس آية ٢٤ — ٣٢ .

(١٤) سورة الرحمن آية ٤ .

(١٥) سورة العلق آية ٥ .

(١٦) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

(م ١١ — الاستشراق )

معنى ذلك ان آيات القرآن الكريم كلها تحث على البحث والاستقصاء والتعلم والتفكر ومعرفة اسرار الكون والاطلاع الدائب ، وسنورد امثلة صريحة لمعظم العلوم العلمية وان الله سبحانه وتعالى حض الانسان على الاهتمام بها بل وشرح نظرياتها التى يتصور الغرب انه صاحب فضل فيها ، وينسى ان للاسلام السبق فى ذلك ، فكيف لامة هذا دينها ان ترمى بالتصور والتخلف .

### علم الجرافيا الطبيعية

من نظريات علم الجغرافيا ان الأرض كانت جزءا من الشمس ، ثم انفصلت لأسباب غير معروفة والدليل على ذلك وجود حرارة عظيمة فى جوف الأرض تصهر المعادن التى لاتنصهر الا بحرارة عظمى وتنبعث من باطنها فوارات الماء الحميم مثل ماكان فى طوفان نوح عليه السلام . وهذا يرشدنا الى ان الشمس والأرض كانتا جزءا واحدا وكسذلك الحال بين الشمس والنجوم (١٧) . وفى ذلك يقول الله تعالى (١٨) « اولم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » أى فصل الله تعالى الأرض عن السماء ثم « استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وبالتالي فان النظريات الحديثة اثبتت ان القبة المضروبة فوق سطح الكرة الأرضية فضاء لم يستطع الانسان أن يدرك له نهاية، بل عاين بالآلات نجوما وكمنوسا لاعداد لها مختلفة فى بروجها متباينة فى حجومها وبدل على ذلك قول الله تعالى فى سورة الفرقان (١٩) « تبارك الذى جعل فى السماء بروجها وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » ، والسراج هنا معناه الشمس .

وهناك مذنبات ذات اذيات ضافية وانفلاك مترامية وهنالك كواكب اعظم حجما من الشمس لاتكاد هذه الشمس تذكر بجانبها .

وهناك نجوم تتم دورتها كل مائة سنة ، ومنها مايقم دورته كل ألف سنة ، ومنها مايقم كل مائة سنة والذى سنة ومنها مايقمها كل ثلاثة آلاف

---

(١٧) جمال الدين الفندى « قصة الكون » ص ٤٩ .

(١٨) سورة الأنبياء آية ٣٠ .

(١٩) سورة الفرقان آية ٦١ .

سنة ومنها ما يتمها كل مائة الف سنة ، وقد عرف العلماء ذلك بواسطة حساب المثلثات الكروية (٢٠) .

وإذا كان الغرب قد نوصّل الى نظرية كروية الأرض ، وتصور أنه اضاف للعلم الجغرافى حقائق جديدة . فإن الدين الاسلامى قد أثبت فى دستوره كثيرا من هذه الحقائق التى لم يكن على الانسان إلا ان ينتهم معناها ، ولكن كيف ينتهم ذلك إلا بسلطان العلم .

قال الله تعالى « والأرض مددناها » « ألم نجعل الأرض مهادا » « الذى جعل لسكم الأرض غراشا » ونحو ذلك من الآيات الشريفة الخاصة بالكرة الأرضية .

والله سبحانه وتعالى قد نفى عن الأرض صفة التسطح ، فلو كانت الأرض مسطحة ، لما كثر فى الآيات القرآنية قول الله وتذكيره لعباده بأن الأرض « مع كونها كروية » صالحة لمعاشهم ومع كونها كذلك تـذ جعلنا ذلولا ، نامشوا فى مناكبها آمنين على ظهرها لا تخافون تلقا ولا اضطرابا ، ومهما سرتم فلن تجدوا لها آخر فقد مددناها أمامكم ؛ فلا تعترضكم نهايتها ولا نهاية لها .

وأما الجسم المسطح فلا بد ان له نهاية من كل جانب فحينما يتوغل السائر فى ناحية منه وجد آخره فينقلب على عقبه .

ثم يقول الله تعالى فامشوا فى مناكبها ، بـدرن أن يحذرهم من المشى فى اطرافها « ان كانت مسطحة » فهذا دليل يصدع بأن الأرض لا اطراف لها والاطراف لازم من لازمات المسطح ونفى اللازم وهو الاطراف يستلزم نفي اللزوم وهو المسطح ، فالأرض اذا كروية وليست مسطحة (٢١) .

---

(٢٠) جمال الفندى « حقيقة الكون » ص ٥١ — ٥٢ .  
(٢١) رضوان شامسى « التوفيق العلمى » ص ٦٧—٦٨ .

## الإسلام وعلم الفلك :

قال الله تعالى « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٢٢) وقوله تعالى « والقمر ندرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » (٢٣) .

تستمر الشمس طول السنة في قطع محيط دائرة، وهذا المحيط يسمى الفلك وكذلك القمر ، فان له فلكا ، ولكن الشمس تقطع فلکها في سنة كاملة اما القمر فيقطعه خلال شهر واحد . وكل من الشمس والقمر ، وما يتبعهما من النجوم والتوابع في فلك يسبحون أي يسرون بسرعة شديدة، ثم ان فلك الشمس مقسم الى اثني عشر جزءا ، تقطع كل جزء في شهر وفي اثناء سيرها حين تقطع الجزء الأول من الاثني عشر جزءا تكون الشمس موازية لسكواكب مخصوصة أي انها تسامت الكواكب التي فوقها في الشهر الأول ، وهذه المجموعة من الكواكب التي تسامتها الشمس ، وهي جزء من هذه الأجزاء تسمى برجاً ، فاذا تم الشهر تكون الشمس قد انتهت من هذا البرج وانتقلت الى البرج الثاني ، وفي ذلك يقول الله تعالى (٢٤) « والسماء ذات البروج » وقوله تعالى (٢٥) « تبارك الذي جعل في السماء بروجا » .

ثم ان القمر يقطع فلكه في ثلاثين أو تسع وعشرين ليلة كل ليلة يقطع جزءاً منه ، ويسامت كواكب كل ليلة غير التي يسامتها في ليلة اخرى من الشهر ، فالقمر مثل الشمس الا ان الليلة بالنسبة للقمر بمثابة الشهر بالنسبة للشمس ، والمجموعة من الكواكب التي تسامت القمر في ليلة واحدة تسمى منزلة ، والجمع منازل ، ولذلك يقول الله تعالى (٢٦) « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل » وقوله (٢٧) « والقمر

- 
- (٢٢) سورة يس آية ٣٨ .
  - (٢٣) سورة يس آية ٣٩ .
  - (٢٤) سورة البروج آية ١ .
  - (٢٥) سورة الفرقان آية ٦١ .
  - (٢٦) سورة يونس آية ٥ .
  - (٢٧) سورة يس آية ٣٩ .

قدرناه منازل « فنلك بروج الشمس وهذه منازل القمر . لسى ذلك المستقر  
فى قوله تعالى (٢٨) « والشمس تجرى لمستقر لها » .

والجواب اننا اذا قابلنا آية الشمس وهى « والشمس نجسرى  
لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » بآية القمر ، هى « والقمر قدرناه  
منازل » نجد ان قوله منازل فى القمر تقابل قوله « لمستقر لها » فى  
الشمس والدليل على ذلك انه بمعرض ذكر حركة كل من الشمس والقمر  
لقوله « وكل فى فلك يسبحون » ثم ذلك التقدير فى قوله « ذلك تقدير  
العزيز العليم » وكما قال فى القمر « قدرناه منازل » أى ان المستقر مقدر  
للشمس بتقدير العزيز العليم كما ان المنازل مقدره للقمر أيضا .

وعلى ذلك يكون مستقر الشمس هو برجها . وقد يقال ان المستقر  
اسم مكان من استقر والبرج هو طائفة من الكواكب العالية جدا المسماة  
للشمس ، فكيف تكون مستقرا للشمس ؟ والجواب ان ذلك مكان اعتبارى  
او على حسب النظر ، ولما كان فلك الشمس أكبر من فلك القمر كانت  
المسافة التى تقطعها الشمس عظيمة جدا تحتاج فى قطعها الى سرعة ،  
ولذلك عبر فى جانب الشمس بلفظ تجرى ليشير الى ان تلك المسافة الطويلة  
جدا فرض الله لها مدة تجرى فيها الشمس جريا حتى تتمكن من انمامها  
فى موعدها (٢٩) .

وقد قال بعض المفسرين فى قوله تعالى « تجرى لمستقر لها » هذه  
اشارة الى دوران الشمس حول محورها وهى الحركة الرجوية ، والمستقر  
هو محور الشمس ، وهذا بناء على القول بأن الشمس ثابتة فى مكانها  
وانما تدور حول محورها دورتها الرجوية . ولكن الظاهر المتبادر من  
الآيات التى وردت فى الشمس ان المستقر هو يوم القيامة الذى يستقر فيه  
كل متحرك ، وانا لنجزم بأن معنى قوله تعالى « والشمس تجرى لمستقر  
لها » يساوى قوله تعالى « وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجر مسهى »  
فيكون قوله « تجرى لمستقر » مساويا لقوله « تجسرى لأجل » وكل من

(٢٨) سورة يس آية ٣٨ .

(٢٩) رضوان شامعى « التوفيق العلمى » ص ١٠١ - ص ١٠٢ .

اللام فى قوله مستقر واللام فى قوله لأجل للانتهاى أى تجرى الى مستقر  
وتجربى الى أجل مسمى فاذا جاء الأجل استقرت فى مستقرها .

والحقيقة ان القرآن الكريم يسير سيرا منظما فى شرح علم الفلك  
وغيره من العلوم التى حاول الناس بعسد ذلك أن يتفهوها ويشرحوا  
غامضها ويأتوا بنظريات فيها ، وقد شرحها القرآن وبينها ، وبين  
سطوره معانيها ، ولكن عقلية الانسان هى التى لم تكن لتصل الى هذه  
الدرجة العالية من العلم لتتفهم كل ماخفى من معجزات القرآن فحينما تفتح  
لها نظرية جديدة تتصور أنها قد اضافت جديدا ، أما الحقيقة فهى أنها  
تفهت أشياء فى السكون وفى القرآن لم تكن قد وصلت اليه من قبل .

فى الفلك اذن ترى ان القمر يسير بأحكام نظام سيرا دقيقسا يتخذ  
الناس فيما بينهم مواعيت بالأيام حين ينزل كل ليلة ، منزلة من منازلها التى  
تدورها الله له ، ويعرف به الناس مواعيد الحج فى كل عام فكانه ساعة  
نعرف بها المواعيت كل يوم وكل عام .

وكذلك يسير الله الشمس وسائر الكواكب على ذلك النظام المحكم،  
وهذا دلالة على ان الكواكب على اختلاف طبقاتها وتفاوت حجومها خاضعة  
بأسرها لذلك النظام المبدع وعلى ذلك يكون قول الله تعالى « مواعيت  
للناس والحجج » ، وقوله (٢٠) « وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر  
نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » وقوله « فمحونا آية  
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين  
والحساب » (٢١) مرادا به السير بنظام هو غاية فى الأحكام وليس مجرد  
أخبار .

لذلك فدين الإسلام دين العلم ، وهو الذى حث الانسان على التوغل  
فى ملكوت السموات والأرض سواء بالدراسة او بالانفاذ فى الفضاء فى  
قوله تعالى « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار

---

(٢٠) سورة يونس آية ٥ .

(٢١) سورة الاسراء آية ١٢ .



السموات والأرض فانفجوا لانتفخون الا بسلطان « (٢٢) وقد قرر العلماء أن هذا السلطان هو قوة الله سبحانه وتعالى صاحب السلطان ، ولن ينفذ الانسان الا بالعلم . فأين هذا مما يتهنأ به المستشرقون من تأخر وجمود .

### الاسلام وعلمها التبت والحيوان

قال الله تعالى في سورة الانعام « وهو أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخيل من طلعمها قنوان دائية ، وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا اثمره وينعه ان في ذلكم لآيات لتقوم يؤمنون « (٢٣) .

توضح هذه الآية السكرية ما أثبتته علم وظائف الأعضاء في النبات من انه عندما ينزل الماء من السماء ينبت البذور فتخرج لجنة النباتات من دور الركود الى دور النشاط ، وتبدأ في وظائفها الحيوية ، وينمو النبات ويتخصص أجزاء منه هي الأوراق في انتاج المادة الخضراء « الكلوروفيل » وهي المادة اللازمة لتكوين المادة الغذائية في داخل النبات من عناصر التربة ، ومن عناصر الهواء ثم تنتقل هذه المواد الغذائية ، على هيئة عصارة داخل عروق النبات فتتكون البذور والثمار « (٢٤) .

ويقول الله تعالى في سورة النحل « وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين « (٢٥) وقوله تعالى « اولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم « (٢٦) وقوله تعالى « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين « (٢٧) .

هذه بعض آيات القرآن التي تفتح للبشر النظر والبحث ، بل وتأميرهم بدراسة ما غمض فيها ، وتوضح للانسان الاسس الأولى في هذين

(٢٢) سورة الرحمن آية ٣٣ .

(٢٣) سورة الانعام آية ٩٩ .

(٢٤) محمود دياب « الطب والأطباء » ص ١٠٠ .

(٢٥) سورة النحل آية ٦٦ .

(٢٦) سورة الشعراء آية ٧ .

(٢٧) سورة الرعد آية ٣ .

العلمين ، أولهما أن كل مخلوق من مخلوقات الله سواء أكان إنسانا أم حيوانا أو نباتا فهو زوجان مذكر ومؤنث ، يتكاثران ويخرجان أصولهما من نفس نوعيهما .

وقد أمر الله الانسبان أن ينظر الى النبات وكيف توضع بذوره في الأرض وكيف ينمو ويتعرعرع ، ويخرج لنا حبا وفاكهة مختلفة أنواعها بالرغم من أن الأرض واحدة ، فهذه قدرة الله سبحانه وتعالى ، الى جانب أن الله جل شأنه أوضح للانسان كيف يعرف مذكر النباتات من مؤنثه لأن ما يظهر منه وما لا يظهر ، الى جانب أن الله أوضح في آياته المحكمات أن النبات يلتحق بواسطة الرياح اللواتح، وتارة يكون بواسطة الحيوان انسانا أو بهيمة تنتقل من شجرة الى شجرة أو طائرا يهوى من غصن الى غصن (٣٨) ، وحينئذ فلا شك أن كل أنواع النبات لاتخرج عن عموم قوله تعالى « من كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (٣٩) .

واستثمرت عقلية الانسان في توضيح اسرار علوم النبات واستكشاف غوامضه، حتى وصلوا الى طرق جديدة في الزراعة وزيادة الغلة وتحسين المحصول ، كل ذلك نجد له معان اذا فسرنا آيات القرآن الكريم بعقلية علمية .

لقد كان الانسان فيما مضى يقرأ هذه الآيات ، وكان يتصور أنها ترمى الى ما يتبع تحت حسه من أنواع الحيوان والنبات ، فلما تطور علما النبات والحيوان ، وجد أن هذه الآيات تتكشف عن دائرة هامة مترامية الأرجاء وتشمل أصنافا من الحيوان تراها ولا تراها .

أفلا ينظر المغرضون كيف كان دستور الاسلام هو قلعة العلم الحديث ، فكيف اذا لا يشجع أبناءه ، ولا يدعوهم الى الكشف عن الكون وما فيه .

---

(٣٨) رضوان شافعى « التوفيق العلمى بين الحضارة الاسلام »  
ص ١١٢ — ١١٣ .  
(٣٩) سورة الذاريات آية ٤٩ .

## الاسلام وعلم الطب

لاشك ان دين الاسلام يحث على الاهتمام بصحة الانسان وبدنه، فهو الدين الذى بنى على النظافة والطهارة والوضوء والسواك وتطهير الثياب وعدم القاء الأوساخ فى طرق المسلمين ، وعدم البصاق ، وعدم الإفراط فى الأكل أو ادخال الطعام على الطعام ، وعدم الأكل قبل الجوع ، وعدم الامتلاء واللجوء الى الحمية « لأن المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » (٤٠) .

وهناك احاديث الرسول صلعم كلها تتلاءم مع نظريات الطب الحديث فيذكر المؤرخون ان الرسول صلعم عندما بعث اليه القوقس عظيم القبط فى مصر بالطبيب ، رده اليه قائلاً « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » (٤١) وبعد طول السنين وبالدراسات العلمية ثبت ان هذه نظرية طبية وهى أساس صحة الانسان .

ومن احاديث الرسول صلعم التى تدل على الوعي الطبى ، وهو ما نسميه الآن بعمليات الوقاية من الأمراض والحجر المصنى قوله عليه السلام « اذا سمعتم به — أى بالوباء والطاعون — بأرض فلا تقسموا عليه ، وإذا وقع بأرض روائتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » (٤٢) .

فالاسلام يأمر بالوقاية من الأمراض لئلا تنتقل العدوى الى مسائر افراد المجتمع ، وذكر أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك « فر من المجذوم كما تفر من الأسد » (٤٣) .

وهناك كثيراً من احاديث الرسول صلعم التى تدل على ان المسلمين اهتموا بالطب والدواء ، فقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم يوماً بعض الأعراب وسألوه أنتداوى ، قال « تداوا فان الله لم يضع داء الا ووضع له نواء » (٤٤) .

---

(٤٠) صلاح الدين المنجد « المجتمع الاسلامى فى ظل العدالة » ص ٥٩ .

(٤١) رواه البخارى .

(٤١) رواه البخارى ومسلم بسند صحيح .

(٤٣) رواه البخارى .

(٤٤) رواه أحمد وإسحاق السنن بسند صحيح .

أما إذا أردنا أن نحلل القرآن الكريم ونرى بعض الآيات التي أثبت العلم الحديث صحتها ، وكيف نزلت على الرسول الأسمى في وقت لا يمكن لإنسان أن يحلل هذه الآيات ويفسرها كما فسرتها النظريات العلمية الحديثة . فلنأخذ أولا موضوع خلق الإنسان .

قال الله تعالى في سورة المؤمنون « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة . فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما » (٤٥) .

فمن المعروف أن علم الأجنة يعتبر من العلوم الحديثة ، فإنه لم يصل إلى حقائق تكوين الجنين ، وتصوير أشكاله المختلفة في مراحلها المختلفة إلا بعد أن اكتشفت المجاهر والأشعة حيث عرف التشريح المقارن معرفة تامة ، وحيث وصل العلم إلى الحقائق التي تقرها الآية الكريمة ، خلقناكم من عناصر التراب المختلفة ، ثم خلقناكم بطريق التناسل من حيوان منوي داخل سائل متدفق بواسطة تلقيح الحيوان المنوي لبويضة الأنثى ، ثم تحوت علقة تنمو حتى تصبح شبيهة بقطعة دم تتعلق بجدار الرحم ثم تنمو العلقة حتى يصير في حجم ما يمكن مضغه .

وفي الجنين توجد الطبقة المتوسطة من طبقات الجرثومية الثلاث وهي تنقسم إلى خلايا يتكون منها العظام والعضلات ، وتتصل خلايا الطبقة الصلبة وتمتد إلى أماكنها الكثيرة ، وتصبح باقى خلايا الطبقة الجرثومية عضلات تسير جنباً إلى جنب مع النعصر . وفي الأسبوع الثاني يظهر التكلس والتعظم للعضلات ، وتكون العضلات قد تميزت بسرعة في جميع أنحاء الجسم وأخذت الشكل النهائي لها ، وبعد أن يكسو اللحم العظام يكون الإنسان قد أنشئ خلقاً جديداً وظهرت جميع أعضاء الجسد (٤٦) .

وقد كان المسلمون في القرون الخالية يقرعون تلك الآية وأمثالها تراءى تعبدية محسب ، ويمرون على ما فيها من علم صادق ويقولون آمنا به كل

(٤٥) سورة المؤمنون آية ١٢ — ١٤ .

(٤٦) محمود دياب « الطب والأطباء » ص ٩٤ — ٩٥ .

من عند ربنا ، حتى جاء علم التشريح ، ووضح هذه النظرية العلمية التي سبق القرآن بها العالم أجمع فقد قال تعالى « تلك من انبياء العيب نوحيا اليك ماكنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا » (٤٧)

وهنالك اعجاز قرآني آخر في مجال الطب في قوله تعالى « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » (٤٨)

نفى هذه الآية يبين الله تعالى عملية خلق الانسان ، وكيف توضع النواة في رحم الأم وتوعيتها ، وكل ذلك عكف على دراسته العلماء . فوجدوا في القرآن الكريم اساسا لما يدرسون فهو الذي يبين كيفية الحمل ومراحل الخلق وكيفية الوضع : ثم عملية الرضاعة ، واهميتها السحية للانسان ، ومدتها ، كل هذه آيات محكمات دقيقة الصنع . وما العلماء المحدثون الا اناس يحاولون تفسير ماغضى (٤٩) .

وإذا أردنا ان نتمعن كيف كان الاسلام هو اساس الطب الحديث . فلننظر الى تعاليمه التي امرت المسلم بالوضوء في قوله « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين ، وان كنتم جنبا فاطهروا » (٥٠) .

فللوضوء حكمة بالغة ، فالانسان ينظف أعضائه الظاهرة ، فكما نعفر الانسان وتغير جاء ميعاد الوضوء نأزال القذارة عن اعضائه فلذلك فهو دين يدعو الى النظافة التي هي الأساس الاول في علم الطب ، فهي التي تحمي الانسان من مختلف الأمراض (٥١) .

وإما تعاليمه بالنسبة للصوم : فهو يفيد الانسان لعلاج كثير من الأمراض ، ويقلل من وزن الجسم .

- 
- (٤٧) سورة هود آية ٤٩ .
  - (٤٨) سورة الطارق آية ٥ — ٧ .
  - (٤٩) عبد الرزاق نوفل . ص ٧٦ .
  - (٥٠) سورة المسعدة آية ٦ .
  - (٥١) محمود دياب ص ٨١ .

كذلك حرم الله تعالى الميتة والدم ولحم الخنزير ، فالحيوان الميت لا يموت الا لمرض او شيخوخة ، فاذا مات نتيجة لمرض فانه مما لا شك فيه انه مازال يحمل فى جسمه بعد الموت مواد غير طبيعية ، وتسميته ضارة بجسم الانسان الحى حتى بعد ان تعتم من الجراثيم .

وكذلك الدم . فانه سائل أغلبه وأهم عنصر فيه كريات الدم الحمراء وفيه من امرازات الجسد ما هو معد للافراز بالبول والعرق .

فالدم مزيج من مواد مفيدة للجسم ، ومواد تضر اذا لم يفرز ، واذا كان الحيوان المأخوذ منه الدم ايضا مريضا كان شرب الدم أشد ضررا .

واذا بقى الدم فى الحيوان قبل اكله احدث تفاعلات فى أنسجة الحيوان مثل العضلات وبصبح اكلها غير صالح للانسان .

والميتة بالشيخوخة ضررها كضرر الميتة بالمرض لان الشيخوخة معناها انحلال احد الأنسجة وذلك متدمة لانحلال آخر حتى تنحل جميعا ويصبح الاكل فى هذه الحالة اكلا لأنسجة مريضة متحللة ، ولحم الخنزير كثيرا ما يصاب بطفيليات ، وينقل من الأمراض التى ثبتت أخيرا مثل التيفيا والبلانتيدوم ، كما انه الحيوان الوحيد الذى يصاب بالتركينا وهو نوع خطير من الديدان لانه اذا أصيب به الانسان يحدث تسهما عمويا واسهالا مثل السكوليرا يؤدى الى الوفاة (٥٢) .

وقد حرم الله سبحانه وتعالى الخمر ، فالخمر تسبب الاضرار بكثير من أجهزة الجسم المختلفة ، كالجهاز الهضمى والعصبى والدموى (٥٣) .

وفى مجال الطب والصحة التى أثبت العلم الحديث صحتها وأهميتها قول الله تعالى « ويسألونك عن المحيض ، قل هو اذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » (٥٤) .

ولقد ثبت علميا ان الحيض اذى اى ضرر على الرجل والمرأة على

---

(٥٢) عبد العزيز اسماعيل « الاسلام والطب الحديث » ص ١٠٤ .

(٥٣) احمد علوش « الخمر والحياة » ص ٦٥ .

(٥٤) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

حد سواء فهو يؤدي الى امراض للرجل لأن دم المرأة فى هذه الفترة خليط من خلايا بطانة الرحم وافرارات الغدد وبه كثير من الجراثيم (٥٥) .

وهناك معجزة علمية طبية فى القرآن فى قوله تعالى فى سورة الأحزاب آية ١٩ « فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يخشى عليه من الموت » (٥٦) .

تشير الآية الكريمة الى حقيقة علمية لم يكن سببها معلوما عند نزول القرآن وهى دوران مقلة العين عند اقتراب الموت وعند الخوف ومن اسباب ذلك أن شدة الخوف تذهب الوعى فتعطل الإدراك ، فتعمل المراكز العصبية اللاواعية منطقة مهاد المخ فيصير الخائف فى حالة شبيهة بحالة الذى يغشى عليه من الموت اذ تدور مقلته وتوسع حدقته (٧٥) .

وهناك معجزة أخرى من قوله تعالى فى سورة الحديد آية ٢٥ « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » (٥٨) .

فللحديد منافع جمة للكائنات الحية اذ تدخل مركبات الحديد فى تكوين الكلوروفيل وهو المادة الأساسية فى عمليات التمثيل الضوئى التى ينشأ عنها تنفس النباتات وتكوين البروتوبلازم الحى وهى الطريقة التى يدخل الحديد بها جسم الانسان والحيوان .

ويدخل الحديد فى تركيب بروتينات النواة « المادة الكروماتينية » فى الخلية الحية ، كما انه يوجد فى سوائل الجسم مع غيره من العناصر وهى احدى مكونات الهيموجلوبين .

ويقوم بدور هام فى عملية الاحتراق الداخلى للانسجة والتمثيل الحيوى بها أو الحديد يوجد كذلك فى السكيد والطحال والسلى والعضل والنخاع الأحمر ، ويحتاج الجسم الى كمية مناسبة من الحديد يجب ان

(٥٥) دياب ص ٩٠ .

(٥٦) سورة الأحزاب آية ١٩ .

(٥٧) دياب ص ٩٩ .

(٥٨) سورة الحديد : آية ٢٥ .

يزود بها من مصادره المختلفة . فاذا نقصت تعرض الانسان لأمراض  
أهمها فقر الدم (٥٩) .

### الإسلام وعلم الكيمياء :

حاول كثير من المستشرقين أن يفضوا الطرف عن الدور الذى قام  
به المسلمون فى مجال الكيمياء ، هذا المجال الذى يعتبر واحدا من أهم  
الميادين العلمية التى اشتغلوا بها ، بعد أن حثهم دينهم الحنيف على العلم  
والبحث واستطلاع خبايا الكون .

ومن أول من اتهم المسلمين المستشرق أوليرى فى كتابه « الفكر  
العربى ومكانه فى التاريخ » قال ان « الكيمياء العربية تعيد عرض ما قام  
به الكيميائيون فى مدرسة الاسكندرية » ويرى المستشرق Rnska  
« ان مادة الكيمياء العربية منقولة الى العربية من القبطية ، ولكن  
ربما كان بها عنصر خفى مصرى أصيل » فان أوليرى يرجع فيقول « ان  
النسخ القبطية فيها يبدو ، انها ترجمت من أصول عربية الأمر الذى يبعد  
معه أن يكون اصل الكيمياء العربية ترجمات من القبطية » (٦٠) .

والحقيقة ان العرب فطنوا الى علم الكيمياء منذ صدر الدولة  
الإسلامية فى العصر الأموى فقد شغف المسلمون كما نعلم منذ بداية الأمر  
بالبحث عن الحقيقة ، فاتبعوا منها سليما تتبعوا به سير الظواهر ، ولم  
يقبلوا شيئا على أنه الحق ما لم تؤكد به الخبرة والواقع العلمى (٦١) .

ومن أوائل العلماء الذين ظهروا فى ميدان الكيمياء وأثروا ابلغ الأثر  
فى تطور هذا العلم ، واقامة دعائمه ، خالد بن يزيد الأموى وجابر بن  
جبران وأبو بكر الرازى وابن سينا وكثير غيرهم ، الا أن جابرا هو بحق  
المثل العظيم للكيمياء الإسلامية فى عهدنا المبكر (٦٢) ، وبجهود جابر

(٥٩) دياب ص ١٠١ .

(٦٠) أوليرى « الفكر العربى ومكانه فى التاريخ » ص ١٣٦ .

(٦١) مصطفى لبيب « الكيمياء عند العرب » ص ٢٤ .

(٦٢) Mocre " A History, of, Chemistry." p. 23.



والرازي وبفضل عبقريتهما بدأت تتضح مبادئ الكيمياء ويصبح لها منابع العلم الحقيقي ، كما بدأت الحقائق التجريبية تساند النظريات العقلية التأملية وتدعمها ، وتحدد المواد الكيماوية . وصنفت تصنيفا محدد الخصائص كما تقدمت وسائل البحث العلمي وطرق التطهير والتنميع والحل والعقد والتبلر ، وفهم الفرض منها . وقد بعثت عقلية هؤلاء الرواد من علماء المسلمين عن السحر والخرافة وكانوا أول من طبق المنهج العلمي في دراسة الظاهرة الكيماوية (٦٢) .

وقد ثار جدل بين مؤرخي العلم حول حقيقة الأصول التي استقى منها المسلمون معارفهم الكيماوية ، وتنوعت حججهم قوة وضعفا في هذه السبيل ، ويكاد يجمع الغربيون والمسلمون من كتاب التراجم والطبقات على أن خالد بن يزيد هو أول من تكلم في الكيمياء وأنه تلقى علومه من مصادر يونانية أو على الأرجح مصادر هيلينستية على يد واحد من رهبان الاسكندرية يدعى ماريانوس الذي ترجم كتب الكيمياء الى العربية .

والواقع أن المسلمين الأوائل ان كانوا قد ورثوا شيئا من المعلومات الكيماوية التي انتهت اليها جهود المصريين القدماء أو اليونانيين الا أنهم بحق قد بعثوا عن الارتجال والغموض وأسسوا كما يقول هوليامر « نظاما عمليا عماده الحقائق التي تدعمها التجربة ، وتبعد عن الخيال ، وفي الجانب العملي في الكيمياء الإسلامية يبدو التنظيم السليم بأوسع مداه » (٦٤) .

وحيثما بدأ المسلمون يتشككون في النظريات الكيماوية القديمة بدأت مرحلة وصولهم الى مستوى عال من التفكير الكيماوي (٦٥) . وإذا كان من الممكن للمرء أن يطلع على علوم الآخرين فان ذلك ليس ضمانا له بالقدرة على التفكير المبدع ، فالعرب وقد كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان الا أنهم سرعان ما أدركوا ان التجربة والرصد خير من الف كتاب (٦٦) .

Holmyard. " Makers of Chemistry " p. 56. (٦٣)

Holmyard. " Chemistry to the Time of Dalton " p. 30 (٦٤)

(٦٥) سارتون جورج « مقدمة لتاريخ العلم » ص ٣١ .

(٦٦) لوبون « حضارة العرب » ص ٤٢٥ .

ان تاريخ العلم يؤكد ان المسلمين فى بحوثهم الكيمائية اتبعوا الطريق العلمى بالرغم من معرفتهم ان التجربة لاتوصل الى اليقين الحاسم وليست وثيقة وثيقة البرهان او القياس ولكنهم وقد كان هذا شأنهم ادركوا تماما ان مطلب اليقين ليس هدف الكيمياء ، او حتى فى متناوله وان نتائج العلم تخضع لاعتبارات الاحتمال والترجيح كما لم يروا فى القانون العلمى صبغة مطلقة تحتم ضرورة صدقه فى كل مكان وزمان وتجعل « التنبؤ العلمى » فى المستقبل على نحو ما اظهرته تجربة الماضى والحاضر امرا محتوما . لذلك نرى ان المنهج العلمى فى الكيمياء الاسلامية قام على المشاهدة المضبوطة ، والتجريب المحكم بعكس الطريقة المدرسية التى سادت اوربا بعد ذلك طوال العصر الوسيط ولا يمكن فى واقع الامر ان تظهر قيمة العرب الحقيقية ومكانتهم العلمية الا باظهار الفرق بين المنهجين السالفى الذكر ، فان زملاء العالم الايطالى جاليليو قد رفضوا فى عناد حتى مجرد ان يكلفوا خواطرم بالنظر فى منظره ليروا ما يتعاقب على اجرام من تغيرات » .

فالجانب التجريبي فى الكيمياء العربية من اهم المسائل الجديرة بالاعتبار ، وعلى اساسه استطاعت اوربا ان تجد الاساس السليم ، ونقطة البدء الصحيحة فى هذه الدراسات التى خلفها العرب ، يقول هولياذر ، لقد قدم كيميائيو العرب الجوهر والاساس لهذا العلم الناشئ واستطاعت اوربا ان تبدأ بحوثها الكيمائية على اساس واقعى سليم ، وبناء نظرى مشتق وتأكيد لقيمة الكيمياء المباشرة فى حياة الفرد « (١٧) .

ان النقاش الطويل حول الطريقة التجريبية ، ومحاولة اسنادها لغرب العرب ليدرس الا حلقة من حلقات التضليل وليس الا تصحيحا فى فهم المصدر الحقيقى للحضارة الاوربية كما يقول « بريغولت » فالدراسات العلمية التى ظهرت فى اوربا كانت نتيجة لروح جديد فى البحث وطرق حديثة فى الاختبار والفحص ، وكانت كذلك نتيجة للتجارب والملاحظات ودقة المقاييس ، وكل هذه الدعائم لم تكن معرفة للاغريق انها جميعا هدية المسلمين الى اوربا .

# الفصل السّامن

## الإسلام ومشكلات الحضارة والمدنية الحديثة



## مشكلات الحضارة

تعرضت الانسانية عامة فى الشرق والغرب لهزات عنيفة بمسد الحربين العالميتين الاولى والثانية .

فقد انقلب ميزان القوى فى العالم ، وانتصرت فئة وانهزمت فئة اخرى وعلت جبهة وانخفضت جبهة ، بل ان هنسك من الدول العظمى انى انكسرت هذه السكسرة فى الحرب — مثل المانيا ودول المحور — وكان لابد عليها من أن تعيد بناء نفسها من البداية .

أصبح امام الشعوب مشكلات ضخمة سياسية واقتصادية واجتماعية، وقد أصبح من المحتم على العالم الاسلامى أن يسهم بحظ وانسر من تلك المشكلات ، وان يشترك بتيمة العالم فى التواء القدر الكافى من الاضواء لحلها والاستفادة من نتائجها .

ومن الطبيعى أن العالم الاسلامى يختلف كلية على العالم الغربى فى دينته وتقاليدته وعاداته وتراثه العلمى ، الذى يختلف مع ما للآخر من نظائر هذه الميزات كل الاختلاف .

ويرجع هذا الاختلاف الى الفترة التى بدأت فيها أوربا عصر النهضة، واذعنت لدعوة الأحرار من مفكريها ، فانفصلت عن الكنيسة ، واندفعت فى الطريق الذى جعلها تبتعد عن المدنية والحضارة الشرقية شيئاً فشيئاً .

ولقد جعل مفكرو الغرب يمعنون فى توسيع الهوة بين الحضارتين، فأعلنوا جدودهم للروحانيات ، وصرحوا بانكارهم لكل ما لا يعرفون سببه الظاهرى ، ونادوا باستقلال العلوم التجريبية عن الدين ونادوا بصدارتها عليها ، وتمروا ان كل ما لا يخضع للتجربة غير ثابت ، ولا جدير بالتصديق . فقال تائلوم « اذا وضعتم الاله والروح على المشرحة ، وصوبتم اليهسا

الميكروسكوب ، فانا مستعد للايمان بهما « (١) . واعلنوا كذلك ان العقل البشرى المعتمد على الحواس هو وحده الوسيلة المثلى للمعرفة ، وجاهروا بأن المعرفة نسبية وبأن مبادئ الأثسياء وغاياتها مجهولة او غير قابلة للمعرفة ومعنى هذا انه يجب علينا ان نحصر جهودنا فى دراسة الظواهر الطبيعية ، وما دامت هى وحدها فى متناول عقولنا ، فلم يعد العقل سوى قوة تتعقب تحولات المادة ، لتتنزع منها خواصها .

هذه هى مميزات الروح الغربية التى يسودها العلم التجريبي بسيادة تامة . والتى ظفرت فى القرون الأخيرة بنمو وانتشار غير قابلين للتصديق ولقد تغلغلت فى جميع البيئات الدينية ، بل نسفدت الى أكثر القلوب المسيحية اخلاصا ، وأشدّها استمساكا بالايمان وحرصا على العقيدة ، دون ان يبدو لها ما فيها من تناقض مع العقل السليم ، والمنطق السليم (٢)

سلط الغرب افكاره على العالم كله ، ومنها العالم الشرقى الذى بدأت تغلغل فى مجتمعاته وبيئاته ، وطالما كان الاجتياح مقصورا على الشئون المادية من الحياة محصورا فى الامور العملية من الوجود ، لم يكن الخطر داهيا ، ولا الدمار محققا ، ولكنه بدأ يتغزو الارواح والنفوس والعقائد والقلوب ، فقد سلط الغرب على الفرد المسلم او « الانسان » فكرا وعادات وعقائد غريبة عنه ، محاولا بذلك تحطيم المفهوم الحقيقى للانسان المسلم وللمجتمع الاسلامى ، لكى ينشأ افرادا يكفرون بالاسلام والمجتمعات الاسلامية ويعملون على هدمها .

فالاسلام دين دعوة الى الحياة بنص القرآن الكريم ، نقد جاء فيه قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » (٣) .

وهكذا انفرد الاسلام بطابع دعوة الى الحياة ، ولكنها حياة تقوم على اساس جديدة تكفل الامن والسلامة لجميع بنى الانسان ، فكما ربطنا

---

(١) محمد غلاب « الاسلام من خلال مبادئه التأسيسية » ص. ١٩ .

(٢) محمد غلاب « المرجع السابق » .

(٣) سورة الأنفال : آية ٢٤ .

ما بين دعوة الاسلام وبين مشكلات الحياة التي يعاينها الناس . وجدنا حلولا علمية تضمن لهم حياة انسانية كريمة ، وآمنة .

وكلما اغفلنا هذه الصلة ما بين دعوة الاسلام ومشكلات الحياة التي يعاينها الناس ، فقد ابتعدنا عن روح الاسلام .

وانه مما يلفت نظر الدارس لتاريخ الحضارات العالمية المقارن هو ان جميع النهضات المادية في التاريخ - كما هو شأن النهضة في عصورنا الحديثة - وقد تكشفت في عز سلطانها عن مشكلة واحدة مشتركة وهي انها هدفت عملا بمبادئها ونظمها الى جعل فئة قليلة من الناس او امة من الامم تتحكم في مصير لقمة غيرها من الجماهير والامم ، وفي مصير امنها وسلامتها ، وذلك بما اقتصت به تلك الفئة القليلة او الامة الغالبة نفسها من امتيازات خاصة وحق الوصاية على الغير بما لا يتفق مع مبادئ الوحدة الانسانية ، ولا مع القواعد الاخلاقية ، ولا مع الحقوق الطبيعية . ولكن نهضة واحدة ظهرت في القرون الوسطى ، وهي النهضة الاسلامية الانسانية شذت عن ذلك ، وكانت وحدها بكل مبادئها وقواعد نظامها قائمة على محاربة هذا التحكم بجميع اشكاله والوانه . واستنتت نظاما اجتماعيا جديدا يقوم على فكرة الاخاء والتضامن .

والسائد الآن في العصور الحديثة هو انتشار الحضارات المادية التي تحاول ان تقضى على الانسان وتحوله الى آلة ، وتدمر خصائصه وهي تعامله بالمقاييس الآلية وبالمقاييس الحيوانية التي امكن دراستها في عالم الحيوان (٤) .

الى جانب ذلك نجد الانسان الان أصبح جاهلا بدوره الذي رسمه الله سبحانه وتعالى في الحياة ، والمعيشة وفي كيفية استقلال طاقات الحياة وكنوزها كلها في التعمير والتنمية والارتقاء ، وفي ان يضع لنفسه نظاما شاملا لجواند بحياته كلها ، يتناسب مع طبيعته وخصائصه ، ويحفظ بها جميعا في حالة تجدد ونمو وازدهار .

---

(٤) سيد قطب « الاسلام ومشكلات الحضارة » ص ٧ .

معنى ذلك ان هذا الانسان يحتاج قبل كل شيء الى تقيم بينيه ، والى تمسك تام بالشرعية السماوية حتى لا يخرج بحضارانه عن الهدف المقصود منها وحتى لا يجعل من تلك الحضارة أداة تدمير تدمره ، معنويا وجسديا .

معنى ذلك ايضا ان المؤمنين يستطيعون — اذا تحررت عقولهم من اى افكار هدامة تخرج تحت اسم الحضارة والمدنية — ان ينشئوا أروع الحضارات ، وان يستلهموا سر الحكمة من الله خالقهم ، وخالق الاكوان ، وان ينهضوا برسالتهم الكبرى فى الحياة .

على الانسان ان يقدر نفسه كاتسان خلقه الله سبحانه وتعالى ونفخ فيه من روحه وانه قد تحول بهذه النفخة القدسية من روح الله الى كائن عظيم ، له قداسته ومنزلته تسجد له الملائكة باسم الله ، وسخر له الكون كله (٥) قال تعالى « نذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين : فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » (٦) .

فالاسلام قد رفع الانسان الى أعلى منزلة وكرمه أعلى تكريم ، وجعله من روح الله ، فهل هناك منزلة أعلى من ذلك .

الى جانب ان الاسلام يؤكد انسانية الانسان ، ويرتفع بها فوق حيوانيته ، ويؤكد بالتالى القيمة العليا للانسان فى الوجود كله ، ويؤكد ان مافى حياة الانسان من دين وعلم . وما للانسان من حواس وادراك ، وما لجماعته من تاريخ هو مجموعة مناسقة من طرق المعرفة تنتهى الى غاية واحدة هي سعادة الانسان .

وعندما لاح نور الاسلام ، وانشر فى ارجاء العالم اجمع ، حمل معه حضارة ذات خصائص معينة ، كل جانب من جوانبها يعمل على سعادة الانسان ورخائه ، وعلى تطور عقله وعلمه ، وعلى احترام آدميته ، وعلى ارضاء الله جل وعلى خالقه ، فكانت هي الحضارة الغالبة والسائدة .

---

(٥) توفيق سبيع « تقيم حضارية فى القرآن الكريم » ص ٩٥ .  
(٦) سورة ص آية ٧١ ، ٧٢ .



ولم تقتصر هذه الحضارة الاسلامية على خدمة الفرد المسلم فقط ،  
ونسكنها ذاعت وانتشرت وشملت العالمين الشرقي والغربي ، فعندما بدا  
الأوروبيون نهضتهم اعتمدوا اعتمادا كبيرا على الحضارة الاسلامية في  
نمتى فروعها .

ولعل أهم جانب من جوانب الفكر هو المنهج التجريبي الذي يؤكد  
العلماء الغربيون أنه ليس من صنع الغربيين ، ولكنه مأخوذ حضا  
عن العلماء المسلمين .»

يقول بريغولت في كتابه « بنساء الانسانية » ان روجر بيكون درس  
اللغة العربية والعلم العربي والعلوم العربية في مدرسة اكسفورد ، على  
خلفاء معلميه العرب في الأندلس وليس لروجر بيكون ، ولا لسيسيه الذي  
جاء بعده الحق في ان ينسب اليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ،  
فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين الى  
أوربا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه اللغة  
العربية وعلوم العرب ، هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة والنقاشات  
التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي ، هي طرف من التحريف الهائل  
لاصول الحضارة الأوروبية ، وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر  
بيكون قد انتشر انتشارا واسعا ، وانكب الناس في لهف على تحصيله  
في ربوع أوربا « (٧) .

وبعد ان انتقل المنهج الاسلامي الواقعي التجريبي الى العقلية  
الأوبية ، اتجه الفكر الغربي الى البحوث العلمية التجريبية ، وبدا البحث  
العلمي يكثف عن حقائق فلكية وجغرافية وطبيعية ، غير تلك المجموعة  
من الأوهام والأساطير والخرافات التي تتبناها الكنيسة ، وتعتبرها حقائق  
مقدسة ، وهي ليست من النصرانية في شيء ، وانما هي مجرد أفكار  
غير علمية كانت شائعة في تلك الأزمان ولم ينزل بها كتاب من عند الله  
فتبنتها الكنيسة ، ودافعت عنها بوصفها جزءا من العقيدة .

ولقد وقفت الكنيسة ، وقفة عنيدة في وجه هذا الاتجاه الجديد  
المنبثق من منبع الثقافة الاسلامية في الأندلس وفي الشرق كذلك ، وتابلت

---

(٧) نسيب قطب « الاسلام ومشكلات الحضارة » ص ٣٥ .

سائج بحوث الطليعة من العلماء الأوربيين الذين استقوا من ذلك النبع بجنوة وعداء شديدين ، واستخدمت سلطاتها ضدهم بوحشية كان من جرائرها ذلك الشرود من الكنيسة وضمنا من الهها الذى تستطيل باسمه زورا وبهتانا ، ومن كل ظل للدين وللتوجيه الدينى (٨) .

لذلك ضاق المجتمع الأوربى ذرعا بالكنيسة ، وتطلع الى معرفة اتقى وعلم أنفع ، فلم يكن بد أمام الأوربيين الا أن يعتمدوا على العقل وحده بعيدا عن أى دين ، لأن الدين فى نظرهم عدو للعلم والحرية والابتكار .

انطلق الفكر الأوربى مزهوا تياها بما احرز من انتصار على الكنيسة فظن انه يستطيع أن يبنى حضارته بعيدا عن دين صحيح ، يسبغ عليها السكامة ، ويحفظها من الانزلاق ويعصمها من الهبوط ، لأن الاحاد هو الأب الطبيعى لكل المساوىء والآفات الحضارية ، ورغم ذلك فقد انطلقت الحضارة الغربية من نقطة الاحاد لا تلوى على شىء ، ووصلت بهذا الى قمة التفوق المادى (٩) .

وعلى الرغم من أن العالم الغربى قد نجح فى ايجاد عالم صناعى مريح يسه كل مايفتقر اليه الانسان المتحضر من الكماليات ، الا ان القوم هناك فى غاية التوتر والقلق ، تغمرهم المشكلات الحساسة ، وتواجههم المتاعب القاسية ، وكأنما الانسان فى ظل الحضارة قد اعتراه الملل وسئم الاجواء الصناعية المادية ، وتطلع الى لون آخر من الحضارة تفذى عواظهم وتملا قلوبهم بالأمن والسكينة .

ولو تتبعنا الانعكاسات السيئة التى ترسلها هذه الحضارة لأعياننا الاستقصاء وتكنى وسائل التدمير والتخريب ، وكيف تستعمل فى ترويع الامن والاعتداء على كرامة الشعوب ، يكتفى ما اورثته هذه الحضارة أصحابها من غرور وصالف فقدت معه التوازن ، وتحيزت للظلم وضربت حركات الايمان فى كل مكان .

ان الحضارات المسادية فى الشرق والغرب ، قامت على اساس

(٨) سيد قطب ، المرجع السابق ص ٣٦ — ٣٧ .

(٩) توفيق سبع « قيم حضارية فى القرآن » ص ١١٣ .

مناهج بشرية تدعى أنها تستطيع أن تلبى حاجات الانسان ا وبتنع حياته،  
وكانت نتيجتها شقاء وضلال ، لأنها حضارات قامت على جهل مطبق  
بطبيعتنا وبحجبتنا وعواطفنا وخصائمتنا .

وقد بدأ العالم الغربى يشعر بازمة ضمير لانه لم ينطلق بالحضارة  
المادية الى اتمتها الروحى النبيل ، فيتخذ منها وسائل لرضاة الله .  
ودعائم لتقوية الايمان ، وانما اعتبرها فى ذاتها غاية ، فانفصل عن الله  
تل الانفصال ، ولم يتجج فى تهيئة هذه الحضارة لخدمة الانسان ،  
فاستبعدت هذه الحضارة المادية ضمير الانسان والفت ارادته . وبددت  
مطامحه واشواقه ، وجعلته عبدا خاضعا لها لا سيدا مسيطرا عليها .

ومثل هذه الحضارة لا يمكن ان تنجح فى بناء مدنيت غائسة .  
لكنها تنجح فى بناء امبراطوريات ضخمة ، تغرى بمظهرها فى حين  
ان الباطن خواء لانها دعت الى تخلف الخلق عن العلم فى مضمار  
السباق ، وبذلك باعت مثلها وقيمتها فى عالم الأرقام والكميات والحساب .  
وصارت حضارة بلا ضمير ، وتابى الحضارة المثالية الا ان تكون مزاجا  
بين الروح والسكم بين الغائبة والسببية ، حتى اذا حدث اختلال فى هذا  
التوازن هوت المدنية الى الحضيض ، لانها تحيف على فطرة الانسان  
ونصادم طبيعته التى جعلها الله مزيجا من المادة والروح .

لذلك فلا بد على الانسان المؤمن ان يفجر بالعلم كل ينابيع الحضارة  
ويضبط بالايمان مسارها فلا تنحرف أو تضل . وبهذا يتعاق الايمان مع  
العلم فى تشييد صروح الحضارات ، ومن غير الايمان بالله : واتساع  
منهجه وهداه يضل الانسان وتخطىء الحضارة طريقها وتتصارع عناصرها  
تصارعا يؤدى الى تدمير الحياة والاحياء « ومن اضل من اتبع هواه  
بغير هدى من الله » (١٠) .

وهذه النتائج السيئة للحضارات المادية ليست نظريات للدراسة ،  
وانما هى تجارب للذكرى والاتعاط والتدبير .

غاله قد اهلك امما وامنى حضارات ودمرها على رؤس اصحابها  
لامها قد ضلت طريقها ، واخطأت سبيلها حين رفضت ان تخضع لامر  
الله وتحقق منهجه وهداه « فصب عليهم ريك سوط عذاب — ان  
ريك لبالرصاد » (١١) .

وعندما طغت الحضارة المادية على اوربا بهذه الطريقة السريعة ،  
فقدت اوربا معها دينها ، وضيعف سلطان الدين نهائيا . ، ولذلك بداوا  
ينظرون الى الامم الأخرى ليتوسعوا فيها ، وليصرفوا منتجاتهم بعد هذه  
الانطلاقة الحضارية المادية ، ولينشروا فكرهم وآراءهم بين الشعوب  
المختلفة .

ولعل أهم الشعوب التي ركز الغربيون النظر عليها هي الشعوب  
الاسلامية لما بينهم من عدااء ديني ، ولما تتمتع به البلاد الاسلامية من  
خيرات وموارد ، وموقع جذب انتباه الغربيين .

لذلك بدأت حركة استعمار الشعوب الاسلامية منذ القرن السابع  
عشر الميلادى الى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فتمكن  
الاستعمار الغربى المسيحى من السيطرة سيطرة تامة على المسلمين فى  
وسط آسيا وشرقها ، واتخذ له نقطة ارتكاز رئيسية فى افريقية ، كما  
تمكن من مد نفوذه الى قلب العالم الاسلامى ومركزه الرسمى فى منطقة  
الشرق الادنى ، وبذلك طوق العالم الاسلامى من الشرق والغرب ،  
وسلط الاغبيه ودسائسه على بقية التجمعات الاسلامية الأخرى بين هذين  
الطرفين ، فوهنت هذه التجمعات ، وانحل عقدها بسقط بعضها اثر  
بعض تحت نفوذ المستعمر الغربى ، وما جاءت الحرب العالمية الاولى  
وانقضى اجلها حتى اصبح العالم الاسلامى كله تحت نفوذ هذا المستعمر .

ويهنا من هذا الموضوع خطورة تدفق سيل الاجانب على البلاد  
الاسلامية وقيامهم بنشر الحضارة المادية بين صفوف المسلمين على  
اساس من اضعاف العقيدة الاسلامية وتوهينها ، وتخريج جيل غير مؤمن  
بالدين وبالرسالات السماوية .

---

(١١) توفيق سبع « قيم حضارية فى القرآن الكريم » ص ١٥١ .

وبما يؤكد صحة هذه النظرية القتال الذي كُتبهُ المستشرق الفرنسي « هانتوتو » يصف فيه المسلمين وعقيدتهم ؛ ويضع المقترحات الضرورية في نظره لتوجيهه سياسة فرنسا في مستعمراتها الإسلامية تحت هذا العنوان (١٢) .

« اخترق المسلمون أبناء آسيا شمال التسارة الأفريقية بسرعة لاتجاري حاملين في حقائبهم بعض بقايا تمدن البيزنطيين ؛ ثم تراموا بها إلى أوروبا ، ولسكنهم وجدوا في نهاية انبعاثهم هذا مدينة يرجع أصلها إلى آسيا بل أقرب في الوصلة إلى المدينة البيزنطية مما حلوه معهم الا وهي المدينة الآرية المسيحية ؛ ولذلك اضطروا إلى الوقوف عند الحد الذي إليه وصلوا . واكرهوا على الرجوع إلى أفريقيا حيث بُنيت اقدمهم احتسابا منعاقبة . ولكن لا يزال الهلال ينتهي طرفاه من جهة بمدينة القسطنطينية . ومن أخرى ببلدة غاس في المغرب الأقصى معانقا بذلك الغرب كله .

« في تلك البقعة الأفريقية التي أصبحت مقر ملك الإسلام جاءت الدولة الفرنسية لمساغته — جاء التدبير لويس الذي ينسب إلى أسبابها بوالدته — ليضرم نيران القتال في مصر وتونس ، وتلاه لويس الرابع عشر في تهديده الإمارات الأفريقية الإسلامية . وعاود هذا الخاطر نابليون الأول . فلم يوفق إلى تحقيقه الفرنسيون الا في القرن التسلسع عشر ؛ حيث أخذوا على دولة الإسلام التي كانت لانثى في متابعة الغارات على انقارة الأوربيسة . فأصبحت الجزائر في أيديهم منذ سبعين عاما وكذلك انقار تونس منذ عشرين عاما .

« انن فقد صارت فرنسا بكل مكان في صلة مع الإسلام ؛ بل صارت في صدر الإسلام وكبده ، حيث فتحت أراضيها ، وأخضعت لسلطوتها شعوبه وقامت تجاهه مقام رؤسائه الأولين ، وهي تدبر اليوم تسنونه وتجبى ضرائبه وتهشم شبابه لخدمة الجندية وتتخذ منهم عساكر يذبون عنها في مواقف الطعان ومواطن القتال » .

---

٢١٢) محمد البهي « الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » ص ٢٨ — ٣١ .

نرى من هذا الموضوع ان هانوتو يرى انه يجب على المسلمين أن ينتقلوا الى الحضارة الأوربية الآرية المسيحية ، ويجب على شعوب أوربا المسيحية الآرية ان تتعاون فيما بينها على دفع الخطر الإسلامى الكامن ضمن الوحدة الإسلامية الفكرية والروحية

معنى ذلك أن الغربيين يعملون على اضعاف المسلمين فى اسلامهم أولا وحضارتهم ثانيا . ونملا استطاع الأوربيون أن يدخلوا الى البلاد الإسلامية كثير من المذاهب المسادية والفكر المادى الذى سبب لنا مشكلات حضارية كبيرة ، واغوى شبابنا ، مما يدعونا الى البحث فى هذه المذاهب والامكار لتحديد نوعية المشكلات الحضارية . أفكار فلسفية عقائدية مثل فلسفة هيغل والوجودية وافكار اقتصادية وسياسية مثل التيار الشيوعى الماركسى ، والفكر الراسمالي ، ومذهب الليبرالية الديمقراطية . وكل هذه الافكار - كما سنبين فيما بعد - أدت الى مشكلات حضارية فى المجتمعات الإسلامية ، وخلفت فى هذه المجتمعات أفرادا آمنوا بها - بحكم ضعف ايمانهم - وأفرادا قاوموها ودفعوها ، كما انها أدت الى نشأة حركات دينية لهدم مبادئ الإسلام - تحت اسم التقدمية - مثل حركة الأحمدية والقاديانية فى الهند ، والبهائية فى البلاد الإسلامية الأخرى الى غير ذلك مما سنعرض له .

### نظرية دارون

وسنبدا موضوعنا هذا ببحث عن نظرية دارون ، وكيف كانت سببا فى خلق مشكلات فكرية وحضارية عند الشعوب الإسلامية .

والحقيقة ان نظرية دارون تعتبر من أخطر النظريات التى ظهرت فى القرن التاسع عشر ، واوجدت مشكلات حضارية ، وعملت على بلبلة الفكر الدينى ، الى جانب أنها كانت بداية لموجة الالحاد التى سادت فى العصور الحديثة .

ولابد لنا أن نعطى فكرة عن دارون هذا ، فهو عالم بريطانى شهير ، له نظريات علمية من أهمها نظرية التطور والارتقاء ، وخلصتها « ان الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر هذه الأرض بجرثومة أو جراثيم قليلة تطورت من حال الى حال تحت تأثير عوامل طبيعية حتى وصلت الى هذه التنوعات التى نراها وعلى رأسها الإنسان .

وعلى هذا فإن الإنسان عندهم بسدات حيساته على ظهر الأرض بجرثومة صغيرة تحولت الى حيوان صغير ، ثم تدرج هذا الحيوان وارتقى الى حياة حيوانية بدائية ، فالى حيوانات اكبر ، فأكبر ريشيه ومجنحة ، ثم تحولت الى ذوات فقرات ، ثم ارتقت الى حيوان أشبه بالإنسان ، ثم كانت نهاية هذا التطور انسانا اول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم . ثم انسانا كاملا ، وهو المشهود اليوم بعقله وتفكيره وادراكه . ويقولون ان هذه التحولات والتطورات والترقيات جاءت بعد صراع مرير بين هذه الكائنات وعوامل الطبيعة وتقلباتها ، وبين نفس هذه الكائنات الحية بعضها مع بعض عبر آلاف القرون من أجل البقاء (١٢) .

### وجه الالتحاد فى هذه النظرية :

لابد من مناقشة الجانب الالحادى الذى حمل لواءه باسم هذه النظرية ارنست هيكل واوبارين وقبلهما لامارك وغيرهم من ماديين وماركسيين استغلوا اهتمام الناس الشديد « علميا » بهذه النظرية واتبالهم على الاعتناء بها ودراستها فصاروا يتخذون منها شركا يصطادون بوساطته صغار العقول من البسطاء الذين تمل حظيم من الثقافة الدينية فيرمونهم فى هاوية الالحاد ، وذلك عن طريق تفسيرهم لهذه النظرية تفسيراً يدخلون بوساطته « وباسم العلم » فى روع هؤلاء البسطاء المجردين من الحصانة الروحية والدينية ان واقع الوجود وطبيعة الكائنات الحية وتطورها، وتحول بعضها عن بعض ، واشتقاق بعضها من البعض الاخر ، كما هى « قواعد نظرية التطور والارتقاء » من انتخايب طبقتى واصطفاء نوعى يجعل من غير الضرورى الاعتقاد بوجود خالق يتولى ادارة هذا السكون وتنظيمه لان المادة — كما يزعمون — بطبيعتها وخصائصها الملازمة لها تقسوم مقام الخالق فى ذلك .

فالجنح الالحادى من انصار هذه النظرية يزعم ان الحياة الاولى جاءت نتيجة تفاعل طبيعى بين اجزاء من المادة ، هذه المادة التى يزعمون انها كانت ولم تزل قادرة بطبيعتها على اعطاء الحياة ، ولهذا فهم ينكرون ان تكون الحياة من صنع قوة فوق الطبيعة .

(١٢) محمد احمد باشمىل « الاسلام ونظرية داروين » ص ٢١-٢٢

فهذا الجناح الالهادى — عندما يتحدث عن مراحل التطور والارتقاء يخرج من حسابه قوة مانوق الطبيعة « وهى القوة الالهية » لأن حالة المادة — بزعمهم لا تحتاج الى هذه القوة ، فالطبيعة ملازمة للمادة بحركتها الدائمة، هى التى تخلق وتبدع وتنوع وتطور وتصفى وتبيد .

بل انهم حاولوا أن يفسروا الطبيعة ويقولون ان ظهور الأحياء الى الوجود قديم بفضل الطبيعة مباشرة . وأن تنوع الأحياء ، إنما حدث بقوة الطبيعة الملازمة للمادة وعلى طريقة النشوء والتحول والارتقاء (١٤) .

ومنطقة الخطر فى نظرية التطور والارتقاء ليست هى كرتها لم تبلغ من الناحية العملية درجة الصحة واليقين . وإنما فيها يتولد عن الإيمان بها — فى محيط تحسار النظر وضعيفى الإيمان — من نزعات الحسادية وميول تحليلية وجودية تربط الانسان بما على وجسه الأرض من غرائز حيوانية ، وميول بهيمية ، وتقطع صلته بما سواها على اعتبار أن الانسان — كما هى نظرية دارون — فى الأصل حيوان .

ويذكر الاستاذ محمد تطب « ان العيب الرئيسى لنظرية دارون ليس فى الومئاع العملية التى بسطها فى كتبه ، وتابعه فيها أهوانه ومريدوه ، بقدر ما هو فى احياءات تلك النظرية التى خلفت طابعها الخطر ، لا فى افكار الجماهير وحدها ، بل فى اتجاه العلماء كذلك منذ عهده الى العصر الأخير » (١٥) .

ومن أهم الاعتراضات التى وجهت لمذهب دارون ماكتبه الاستاذ محمد فريد وجدى فى « دائرة المعارف » (١٦)

١ — عدم مشاهدة أى ارتقاء من أى نوع كان فى الأحياء الأرضية من عهد الوف المسنين .

٢ — عدم وجود الصورة المتوسطة بين الأنواع اللازمة لمذهب

- 
- (١٤) باشميل « الاسلام ونظرية داروين » ص ٢٦—٢٧ .  
(١٥) محمد تطب « الاسلام بين المادية والاسلام » ص ١٩ .  
(١٦) محمد فريد وجدى « دائرة المعارف » ص ٣١ .



انتسلسل كأن يوجد مثلا حيوان ارتقى من القرد رتبة واحدة وادنى من الانسان رتبة واحدة أيضا .

٣ - طول الزمان اللازم لحصول الترقى بين الأحياء : فان عمر الأرض كما تالوا لا يكفى لاحداث كل مايرى من هذه الاشكال المختلفة غاية الاختلاف .

وهناك راي آخر يدحض هذه النظرية يقول الأستاذ نديم الجبر : ان الحيوانات البحرية الدنيا هي باقية حتى اليوم ، على الحالة التي كانت عليها في ابتداء العالم ولم نجد انها تأثرت بناموس الارتقاء ، وان طوائف الأحياء الكبرى ، الدنيا منها والعليا ، وجدت منها آثار في أسفل طبقات الأرض ، فلو كان ناموس الارتقاء أكيدا لوجب ان يكون الأعلى منها كذوات الفقرات في أعلى الطبقات واننا نجد كثيرا من الأجناس والطوائف قد كانت في العصور القديمة الأولى اكمل منها اليرم ، ونجد في الطبقات الأرضية بعض حيوانات نبتة فوق حيوانات عالية جدا (١٧)

والمهم في نظرية دارون هذه انها اتخذت أساسا للمذاهب المسادية المختلفة والفلسفات التي سادت الغرب بعد ذلك ، فقد استندت عليها الشيوعية واستند عليها فرويد في نظريته الى غير ذلك من المذاهب الهدامة .

وقد حاول دارون في كتابه « أصل الأنواع » ان يبين ان أنواع الأحياء كلها ترجع الى أصل واحد أو عدة أصول أوجدها الخالق ، وان الحياة سر يعجز كل البشر عن معرفته . معنى ذلك أن دارون قد اعترف بدون أن يدري - بأن لهذا الكون خالقا بل لقد صرح دارون نفسه بأن بحوثه الخاصة بنظرية التطور والارتقاء لا تستهدف الدعوة الى انكار الخالق، وليس فيها أي خطر على الدين (١٨) .

والمهم في هذا الموضوع - كما يرى الأستاذ العقاد - ان صاحبى مذهب التطور والارتقاء « داروين وولاس تلميذه من بعده » لم يستندا الى

(١٧) نديم الجبر « قصة الإيمان » ص ١٦٥ .

(١٨) عباس العتصاد « عقائد المفكرين » ص ٥٦ .

هذا المذهب في انكار العقيدة الدينية ؛ ولم يزعم انهما يفسران سر الحياة أو سر الكون - واحدهما وهو ولاس - كان مؤمنا بالله وبحكمته في مخلوقاته والاخر وهو دارون كان يأبى ان يوصف بالالحاد ويؤكد في آخر ايامه ان الاستدلال بمذهب التطور على انكار الاله الخالق خطأ كبير .  
وادعاء لاسند له من العلم ولا من التفكير الأمين .

هذا من ناحية موقف نظرية دارون الشخصي حيال مايفترية الملحدون من شيوعيين وغيرهم من ادعاء مفاده ان بحوث هؤلاء الأتطساب « حول التطور والارتقاء - تقوم على انكار الخالق سبحانه وتعالى .

أما من ناحية جوهر نظرية التطور والارتقاء ، فإنه بالرجوع الى قواعد هذه النظرية يتضح لسكل ذى عقل منزه عن الهوى انه ليس للملحدين في أى من هذه القواعد سند علمى أو برهان يعتمدون عليه لتأييد نزعهم الاحادية الداعية الى انكار وجود الله « .

بل ان بعضا من هذه القواعد اذا ما المعن الانسان فيه النظر يجد انه لا يؤدي الى انكار الله تعالى وانما يهد الانسان بروافد من الايمان بعناية الله ورحمته وحكمته (١٩) .

### موقف الاسلام من نظرية دارون :

يجب علينا كمسلمين مؤمنين بالله وبكتابه وسنة نبيه ان نقف موقف الحذر وان نحكم بالسكفر والخروج عن الدين على بن قال واعتقد في :

١ - ان الحياة الاولى التى اثار اليها دارون في نظريته قد وجدت مصادفة وانها حدثت بغير قدرة الله وارادته ، وانما تولدت من المسادة نولدا ذاتيا - وان كل ادوار التطور والتحول والارتقاء قد حدثت تلقائيا اى بغير قدرة الله وعلمه وارادته كما زعم الآخرون بهذه النظرية من الملحدين امثال لامارك وارنست هيكل واوبارين .

٢ — ان يسلم القبائل بهذه النظرية ان الانسان الاول الذي كان يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو ابونا آدم عليه السلام؛ وهذا لم يرد في كتاب دارون ولكن قال به من اقتنع بصحة هذه النظرية من علماء الغرب .

ان في القول الأول انكارا لوجود الله سبحانه وتعالى ؛ وفي القول الثاني تكديبا صريحا للقرآن الكريم ، لا . . . ينفي قصة آدم وحواء — الوارد ذكرها في القرآن الكريم — نفيا تاما يضاف الى هذا ان قصة وجود انسان اول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم « كما هي قواعد نظرية دارون » هي قصة مبنية على الفرض والتخمين والظن ومن المنه ان ينفي الانسان خاصة المسلم — قصة آدم وحواء المذكورة في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليصدق قصة ليس لها أي ظل من الحقيقة، قصة أساسها الفرض والحدس والتخمين لا القطع واليقين (٢٠) .

### بطلان نظرية دارون :

تميز الانسان — كما عرضنا من قبل — بخصوص لا توجد في عالم الاحياء ، وهو الذي جعل « جوليان هكسلي » في « الدارونية الحديثة » بتراجع عن الكثير من الدارونية القديمة التي قررها دارون .

يقول هكسلي في كتابه « الانسان في العالم الحديث » بعنوان تفرّد الانسان .

« لقد تأرجح رأي الانسان كالخطار « البندول » فيما يتعلق بمركزه بالنسبة لبقيّة الحيوانات ، بين اعجابه الشديد أو التليل بنفسه ، تفصل بينه وبين الحيوانات هوة سحيقة جدا وحيناً آخر هوة صغيرة جدا . »

ويظهر نظرية دارون بدا الخطار « البندول » يتأرجح عكسيا ، واعتبر الانسان حيوانا مرة أخرى ، ووصل الخطار شيئا فشيئا الى أقصى مدى تأرجحه ، وظهر مابدا انه النتائج المنطقية لفروض دارون . فالانسان حيوان كغيره من الحيوانات ، ولذلك فان آراءه في معنى الحياة الانسانية والمثل العليا لاتستحق تقديرا أكثر من آراء الدودة الشريطية أو كثرها

---

(٢٠) باشميل « الاسلام ونظرية دارون » ص ١٥٤ .

الباشلى ، والبقاء هو المتيسر الوحيد للنجاح التطورى . ولذلك فكل الكائنات الحية متساوية القيمة ، وليست فكرة التقدم الا لمكرة انسانية ، ومن المسلم به أن الانسان فى الوقت الحاضر سيد المخلوقات ، يسكن تسد تحل محله القطة او الفأر .

« ولم تصغر الهوة هنا بين الانسان والحيوان نتيجة المبالغة فى اعطاء الحيوان صفات الانسانية ، وانما نتيجة التقليل من الصفات الانسانية فى الانسان ، ومع ذلك فقد ظهر منذ عهد قريب اتجاه جديد سببه فى الغالب زيادة المعرفة ، واتساع نطاق التحليل العلمى .

« ان الخطار يتأرجح مرة ثانية ، وتوسع الهوة بين الانسان والحيوان مرة أخرى وبعد نظرية دارون لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا ، ولكنه بدأ يرى نفسه حيوانا غريبا جدا ، وفى حالات كثيرة لا مثيل له . وتحليل تفرد الانسان من الناحية البيولوجية لم يبلغ تمامه بعد . وما هذا المقال الا محاولة لعرض مركزه الحالى .

« وأول خصائص الانسان الفذه وأعظمها وضوحا قدرته على التفكير التصورى . ولقد كان لهذه الخاصية الأساسية فى الانسان نتائج كثيرة ، وكان أهمها نمو التقاليد المتزايدة ، ومن أهم نتائج تزايد التقاليد او اذا شئت من أهم مظاهره الحقيقية مايقوم به الانسان من تحسين فيما لديه من عدد وآلات ، وان العدد والتقاليد لهما الخواص التى هيات للانسان مركز السيادة بين سائر الكائنات الحية وهذه السيادة البيولوجية — فى الوقت الحاضر — خاصة أخرى من خواص الانسان الفذه ، وهكذا يضع علم الحياة « الانسان » فى مركز مماثل لما انعم به عليه كسيد المخلوقات كما تقول الأديان » .

« والانسان لا مثيل له أيضا كنوع مسيطر ، اذا تقسمت كل الأنواع الأخرى المسيطرة الى المئات والآلاف كثيرة من الأنواع المنفصلة ، وتجمعت فى اجناس وفصائل عديدة ومجموعات أكبر ، اما الانسان فقد حافظ على سيادته من غير انقسام ، ولقد تم تنوع سلالات الانسان فى حدود نوع واحد .

« واخيرا فان الانسان لا مثيل له بين الحيوانات الراقية في طريقة نظوره .

وللإنسان خاصية أخرى بيولوجية ، وهي تفرد تاريخ تطوره ، وأما خاصية الإنسان الجوهرية ككائن حي مسيطر فهي « التفكير المعنوي » (٢١) معنى ذلك أن نظرية التطور والارتقاء التي قال بها دارون واخذ بها الكثيرون نظرية غير ثابتة ثبوتنا قاطعا لا من الناحية العلمية ولا من الناحية الحسية .

وإذا كان دارون قد اعترف صراحة بأن الطريقة التي وجدت بها الحياة الأولى على وجه الأرض لا تزال مجهولة حتى يومنا هذا . فان جهله بالطريقة التي تسلسلت بها الكائنات الحية ، وفتوحت « كما يزعم » عن جهله بالطريقة التي وجدت بها الحياة ، يربى على وجه الأرض ، وكيف ومتى وجدت .

فالتبع لما كتبه ونشره دارون عن نظرية التطور والارتقاء . يجد ان دارون لم يبين هذه النظرية على أسس علمية قاطعة ثابتة ، لا يمكن الرجوع عنها ، وإنما بناها على افتراضات وتقديرات وتخمينات تحتل الخطأ والصواب .

فجميع الذين قالوا بنظرية التطور والارتقاء وعلى رأسهم دارون يعترفون بأن هذه النظرية هي فرض علمي يعوزه الدليل الحسي ، بل ان جوهر بحوث علماء التطور والارتقاء جميعها تشير كلها الى ان اصول هذه النظرية وفروعها هي من باب الافتراض لا القطع والتقدير لا التأكيد . وإذا رجعنا الى مكان مذهب التطور من العلم لانجد من يحسبه علما قاطعا مفروغا منه من اصوله وفروعه واكبر أنصاره لا يدعى له أكثر من أنه صحيح في بعض ملاحظاته ومقارناته (٢٢) .

(٢١) سيد قطب « الإسلام ومشكلات الحضارة » ص ٣٩-٤١ .

(٢٢) عباس العقاد « عقائد المفكرين » ص ١٢٠ .

وأعل من أخطر آثار فكر دارون ونظريته هو انهماك العالم الغربي بعد ذلك فى البحث العلمى من هذا المنطلق المادى ، محاولين الاستناد على ما جاء بهذه النظرية ، بل محاولين تفسيرها على النحو والاتجاه الذى يرضيهم فى ضوء المسادية الحديثة .

وإذا اغمضنا الطرف عما فى هذه النظرية من مكان الضسفف ، ومواطن النقص من الوجهة العلمية والفعلية ، ونظرنا الى الفتن التى قد اثارها هذا التخيل البساطل لاهلاك الانسانية والفتك بها بعد أن دخلت الفلسفة والاخلاق والعلوم العمرانية والاجتماعية . فلعل أحدا لا ينكر أن نظرية دارون هذه قمة النظريات التى ناصبت الانسان المءاء ، وعملت للقضاء على انسانيته ، فقد حاولت أن تجعل الانسان يعتقد أنه ليس الا حيوانا كسائر الحيوانات ، ومن نتائجها أن بنى آدم لا يتعاملون فيما بينهم الا كما يتعامل الوحوش فى الغنابة ، ومن تأثيرها أن الانسان بدلا من يستمد القوانين والمبادئ لحياته من المصادر السامية انما يبحث عنها فى حياة البهائم والوحوش . وهى التى عرضت على الانسان نظام الحياة كميدان للصراع والقتال ، وأن من بيدى قوته وجدارته فى هذا الصراع يستحق الحياة . ومن نتائجها أن الامم والشعوب جعلوا الدنيا ميدانا للتنازع والصراع ليس مقتضى الفطرة ولكن لأن القوى من حقه أن يببب الضسفف (٢٣) .

## نظرية فرويد وأثرها على الحضارة الإنسانية

اثرت نظرية فرويد فى الجنس تأثيرا خطيرا على الحياة الاجتماعية فى أوروبا والشرق فقد أدت نظريته فى العقل البساطن ، وفى التفسير الجنسى لمختلف نواحي سلوك الانسان الى انقلابات خطيرة .

وترجع خطورة نظرية فرويد الى اصرار زج الجنس فى كل مجالات النشاط الحيوى للانسان ، وقيل فى هذا الصدد أنه تائر بدراسة الشواذ الذين كان يفحصهم ، ثم أخطأ فى تعميم احكامه المستقاة من حالات شاذة على بقية البشر الاسوياء .

---

(٢٣) أبو الأعلى المودودى « الاسلام فى مواجهة التحديات » ص ٢٥.

ولكن النقد الاول الذى ينبغى ان يوجه الى فرويد فى أساس نظريته الى الانسان على انه كائن ارضى بحت ، لا يرتفع بمشاعره . وعواطفه من عالم الأرض الا فى حالات الشذوذ (٢٤) .

ولعل نظريته هذه اتخذها من نظرية دارون السابقة الذكر التى تنظر الى الانسان على انه مخلوق ارضى عاينه كله محصور فى هذا النطاق الضيق الغريب .

وتأثر فرويد بدارون من ناحية أخرى حين تابعه فى قوله ان غرائز الانسان هى الامتداد الطبيعى لغرائز الحيوانات السابقة فى سلم الصعود مضافا اليها قدر من التطور ، هو القدر الذى نتج من الظروف التى صادفت الجد الاعلى للانسان فأثرت فيه ، وانتجت منه الكائن البشرى على مر الايام . فالنظرة الحيوانية للانسان ان كان يصلح تطبيقها فى علم الحياة . من الخطأ ان تطبق كما هى فى علم النفس لانها تؤدي الى نتائج بعيدة عن الصواب .

ونظرية فرويد التى وجدت فى كتاب *The Contribution to Sexual Theorg* تؤدي الى أن الغريزة الجنسية هى التى تحرك الحياة كلها ، وهى تبع المشاعر البشرية جميعا بلا استثناء ، كما انه يؤكد ان الحضارة كلها نائسنة من الغريزة الجنسية ، وعلى هذا النسق من التعسف والسخف يجرى فرويد فى تفسير السلوك الانسانى كنه على سوء الجنس ، وما يحتاج الانسان لى يؤمن بقوة الدافع الجنى وتعمقه ان يصل الى كل هذا التعسف (٢٥) .

والدين فى رأى فرويد اختراع محض خلقتسه الرغبات البشرية المرموزة لسكى تجد جنة خيالية لحركة حرة من غير عائق ، وهميقولون ان العقائد والاراء الدينية ليست شيئا أكثر من نظريات بدائية عن الطبيعة حاول البشر استخدامها فى تخلص الحقيقة من بشاعتها الأصلية واطهارها فى صورة أقرب الى هوى القلب مما تسمح به حقائق الحياة ، أما ان

(٢٤) . عبيد تطيب « الانسان بين المادية والاسلام » ص ١٦ .

(٢٥) . المرجع السابق ص ١٦٨ .

هناك أدياننا وصورا من الفن تهييء لنا نوعا من الفرار المزرى من حقائق الحياة ، فأمر لا انكره وكل الذى اجادل فيه هو ان هذا الحكم لا يصدق على الأديان كلها ، فالعقائد والآراء الدينية لها من غير شك امارة ميثاقية (٢٦) .

هذه هي الآراء المادية التى نادى بها فرويد ، والتى أخذ بها الغرب واعتقدوا فيها ، وبذلك أخرجوا الإنسان من الوضع الكريم الذى رسمه الإسلام ، ووضعته فيه حضارة الإسلام ، وجعلوه يتردى الى أسفل الدرك فى صورة بهيمية حيوانية ، فهو يجرى وراء شهواته بدون ضابط ، وبدون نظام ففى هذه الحالة لانرى هناك فرقا بين الإنسان والحيوان ، فالإنسان الذى ميزه الله سبحانه وتعالى بالعقل ، ووضع له الأسس والقواعد يترك ذلك ليسير وراء شهواته فيعيش الإنسان فى مجتمع الغابة .

ان هناك وهما سارخا يستولى على أفئدة الناس فى الغرب ويتسلسل الى المستعبدين فى الشرق فيما مسمى نفوسهم من تفاهة وفراغ ، انهم يظنون ان العظمة العلمية تستتبع حتما ان يكون الإنسان كله قد ارتقى ، فلا بد اذا ان تكون الأخلاق والعادات والتقاليد الموجودة فى عصر السذرة أفضل من مثيلاتها فى العصور السابقة ، التى لم يكن العلم فيها قد وصل الى هذه الاسرار ، وما دام الناس لا يؤمنون بالله ولا يتبعون قواعد الأخلاق ، ويستبيحون الفوضى الجنسية . وينكرون التيم العليا ويعتبرونها خرافة ، فلا بد اذا ان يكون هذا كله هو السدمار الحقيقى للإنسان والانسانية (٢٧) .

## ذيوغ نظرية هيغل :

من الضلالات الكبرى التى تدفقت مع الحضارة الغربية على الإنسانية ، وسببت للعالم الإسلامى مشكلات حضارية ضخمة ، ترجع بعضها الى الفلسفة التى وضعها هيغل للتاريخ ، وأسس على مقدماتها كارل ماركس بناء تفسيره المسمى للتاريخ فيما بعد وهيغل هذا فيلسوف المانى ظهر فى أوروبا فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر ،

(٢٦) محمد البهى « الفكر الإسلامى الحديث » ص ٣٨٦ .

(٢٧) محمد قطب « المرجع السابق » ص ٢١٨ .



وكان يشغل أستاذا لسكسى الفلسفة فى جامعة هايدلبرج سنة ١٨١٦  
ثم فى جامعة برلين سنة ١٨١٩ (٢٨) .

وخلصة فلسفة هيغل للتاريخ « ان مايحصل فى الحضارة الانسانية  
من تطور وارتقاء انما يحصل بظهور الأضداد وتناطحها وتمازجها فيما بينها  
وان كل دور من ادوار التاريخ فى حد ذاته وحدة او كائن جسمى حى .  
وان مختلف نظريات الانسان من سسية واقتصادية ومناسبة ومناخية  
وعلمية وعقلية ودينية تكون على مستوى معين فى ذلك الدور ويكون برأيا  
التناسب والتلاؤم والوحدة المتناسكة ؛ كأنها جوانب مختلفة لىذا الكائن  
الحى ؛ او الوحدة الزمنية تسرى فيها روح الدور بكامله .

وان المبادئ والنظريات والأفكار الانسانية التى تقوم بالنوحيه  
فى هذا الدور عندما تصل بالحضارة الانسانية ومدنيها الى قمة الطائفة  
والصلاحية ينبثق من حضان هذا الدور نفسه عدوه الذى يترعرع فيه .  
ويأتى اشده أى ان طائفة اخرى من الأفكار الحديثة والميول الحديثة  
والنظريات الحديثة والمبادئ الحديثة لا تتولد ال من المقضى الطبيعى  
لهذا الدور الآخذ فى الزوال نفسه ثم نشرع فى محاربة الأفكار البالية  
القديمة » .

يستمر الصراع على قدم وساق بين القديم والجديد الى ما بعد من  
الزمان ؛ وفى النهاية يحصل التمازج بينهما بعد الأخذ والرد . ونخرج الى  
حيز الوجود حضارة عصرية جديدة فخلطة من عناصر قديمة واخرى جديدة .  
وهكذا يفتح الدنيا دور جديد من ادوار التاريخ .

ثم عندما ترتقى روح هذا الدور الجديد فى اعلى مدارجها على غرار  
الدور الذى سبق يظهر من حضانها أيضا عدوها ، وينشب الصراع الدائى  
الذى يتمخض عنه أيضا خليط جديد مكون من عناصر من هذا وعناصر من  
ذاك ، وبعد الأخذ والرد يصير روحا لدور جديد للحضارة والمدنية (٢٩) .

---

(٢٨) عبد الفتاح الديدى « فلسفة هيغل » ص ٦٤ .

(٢٩) أبو الاعلى المودودى « الاسلام فى مواجهة التحديات »

وهذه العملية للارتقاء هي التي يعبر عنها هيجل حسب اصطلاحه بالعملية الجدلية فكان مجال التاريخ . وخطبة الدهر تجرى فيها — في نظره — مجادلة منطقية متسلسلة وبموجبها يقوم اولا الدعوة ثم يبرز صدها جوابها ، وبعد ان يطول بينهما الصراع فان المعتل الكلى او الروح العالية تعتقد بينهما الصلح اى تقبل شيئا من هذا وجانبها من ذلك وتجمل منهما مزيجا . وهذا المزيج الحضارى عندما يتقدم قليلا يتحول الى دعوى ثم يواجه هذه الدعوة جوابها ، ثم ينعقد بينهما الصلح بعد نشوب النزاع بينهما مدة ، ويأتى الى حيز الوجود مزيج جديد وهلم جرا . .

فالعملية الجدلية بموجب نظرية هيجل عملية اجتماعية كلية . وبعبارة اخرى ان الحضارة الانسانية بكل شعبها وغروعا في كل عصر من عصور التاريخ بمثابة جسد حى او كائن حى ، وليس الأفراد او الطوائف الا بمثابة اعضاء او أجزاء لهذا الجسد فعلى هذا لا يمكن لفرد من الأفراد او لطائفة من الطوائف ان تتحرر من طبيعة عصرها الجماعية او من الروح العامة لمدنية عصرها وحضارته ، فكل انسان مهما كان كبيرا ، ومن المع الشخصيات التاريخية وأبرزها ، ليس في هذه اللعبة الجدلية أو الصراع الكلى الداخلى الا بمثابة قطعة من قطع البنيق في لعبة الشطرنج (٢٠) .

والواقع ان خطورة هذه الفلسفة الهيجلية على المدنية الحديثة وعلى الانسانية ترجع الى انها قد جعلت وجهات نظر أهل العلم في العصر الحاضر عن الدين والأخلاق والحضارة والاجتماع خاطئة من حيث الأساس والمبدأ ، والذين اقتنعوا بهذه الفلسفة سيطر عليهم أمران اثنان .

١ — ان الحضارة بجمالها في كل عصر من العصور التاريخية وحدة، وان كل ما يوجد في عصر من العصور من الأخلاق والقوانين والدين والعلم والفلسفة والعلاقات الدولية انما هو في حقيقة الأمر مظاهر متنوعة للطبيعة الاجتماعية أو الروح العالية لذلك الزمان .

٢ — ان أى مدنية من مدنيت الانسان عندما تتضح وتتبلور وتبلغ ذروة كمالها فان طائفة جديدة من الميول والأفكار والنظريات والتصورات تبرز الى الوجود من بطن تلك المدنية نفسها وتشرع في محاربة الأفكار

والنظريات القديمة التي تخرج الى المسرح مدنية جديدة يبقى فيها كل ما منى المدنية القديمة من العناصر الصالحة ، وتحل محل العناصر غير الصالحة عناصر غالبه من الأفكار والميول والنظريات الجديدة .

ووجه الخطورة على الاجيال الاسلامية من انتشار هذه الفلسفة وغيرها يرجع الى :

١ — ان هؤلاء لا يعترفون بالحضارات القديمة ، ولا يعترفون بأدوار الأنبياء والرسول .

٢ — تصورهم ان كل ما يوجد فى عصر خاص من عصور التاريخ من الأفكار والتصورات الدينية والخلقية والقانونية ولد من النظام الاقتصادى الراجح فى ذلك العصر .

ومعنى ذلك انه كلما تغير اسلوب انتاج وتوزيع اسباب المعيشة للانسان فلا بد ان يصاحبه التغير الشامل فى الدين والأخلاق والقانون . وهذا لا يتفق مع ما جاءت به الشرائع السماوية .

٣ — سيطرة الفكرة التي نادى بها هيغل على عقول الشباب وهى « ان الانسان فى مسرح التاريخ ليس الا ممثلا لا شعور له ، لا اختيار ولا ارادة له ، وان الله هو الذى يطرح الأفكار المتعارضة على بساط المسرح بواسطة الناس ويجعلهم يقتتلون أولا ، ثم يعتقد بينهم الصلح ، ويحدث فيهم صورا جديدة للفكر والخيال ، فهذا أيضا قياس فاسد لا اساس له من الصحة ، ولا تؤيده حقيقة علمية .

معنى ذلك انهم نفوا عن الانسان الارادة والعقل الذى خص الله بها الانسان عن بقية مخلوقاته ، ورفعوه عن مرتبة الحيوان ، وانه دعا الى أعماله دائما للتفكر والتدبر لمعرفة عظمة الله عز وجل وقدرته ونعمه على عباده وللتمييز بين الخير والشر » (٣١) ولو أن هيغل قد درس القرآن الكريم ، لما لقى فى فهم حقيقة الانسان وادراك الثابتون الأساسى لارتقاء المدنية الانسانية من العثرات ما قد لقى باللجوء الى الظن والتمسك

---

(٣١) صلاح الدين المنجد « الاسلام والعقل » ص ٥٩ .

بأذيال التخمين ، لأن ماقد يتقدم به القرآن من علم الانسان وفلسفة التاريخ يحل بصورة صحيحة ، وبأسلوب مقنع جميع تلك المسائل التي قد ارتبك فيها هيجل وغيره من فلاسفة الغرب (٣٢) .

فلا بد على الشباب المسلم ، الا ينجرف وراء هذه الفلسفة الجاهلة التي تخرج الانسان عن دائرة انسانيته وتجعله عبدا لحيوانيته ، وما بالناس لو وجدنا حضارتنا قد امتزجت بها أفكار هدامة مثل هذه ، وجرى وراءها كثيرون من لادين لهم ، فسئرى ان الفساد والانحلال والجرائم الخلقية ستزيد وتنتشر نتيجة لانتشار الدعوة الى سيطرة بهيمية الانسان على ارادته وانسانيته .

ان الدين الاسلامي وحضارته يرفضان هذه الافكار لأن الله سبحانه وتعالى وهب الانسان مواهب مختلفة من العقل والوعى وقوة اكتساب العلم والرأى وجعل له غرائزه ليستخدمها وقتما يشاء ، وعليه ان يطوعها لارادته لا يجعلها تسيطر عليه ، لأن الله اعطاه طريقين طريق الخير والشر « وهديناه النجدين » ، وطلب منه ان يميز بينهما ، فصور له سبل كل طريق من هذه ، وعاقبة السير فيه وله ان يختار .

## الوجودية وأثرها على الحضارة الإسلامية :

الفلسفة الوجودية هي فلسفة الذات الانسانية المتفردة دون ارتباط بعمرها من الذوات ، وهي فى واقع الامر ليست فلسفة ، ولسكننا لانجد لها اسما فى الواقع يمكن ان يعبر تماما عنها فنستعير لها كلمة فلسفة .

ومن اهم من نادى بالوجودية فى الغرب كير كجارد ، وهيدجر ، وسارتر .

والوجوديون لا يقيمون وزنا للقيم التي تربط الانراد بالمجتمع ، ولا يحفلون بما يوحى به العقل النظام مالم يكن ذلك فقط متفقا مع أهوائهم

---

(٣٢) المودودى ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

بصادفة ، انما العبرة عند الوجودى الامسيل بالتجربة الشخصية  
والمعاناة الذاتية .

ومن هنا نشأ فكرة اللادينية . اذ الوجودى لايعترف بشئ غير  
مرئى وغير محسوس ، غير واضح فى نفسه فالقواعد والتقاليد والنظم  
والاديان هى افكار متالية وتشريعات وتوجيهات لم يضعها الوجودى .  
ولم يساهم فى وضعها فهو لايعترف بها (٢٢) .

والوجودى لا يلتفت الى الوراثة لينظر ماخلفه السابقون ، ولا يربط  
نفسه بافكارهم والدين عندهم خرافة لانه نسيج من الاتجاهات العقلية او  
الغيبية يجب ان تؤمن بها ولو لم تحسها فى نفسك ، وليس معنى هذا  
ان الوجودية تسقط عالم الفكر من حسابها وانما لها فى ذلك منطقتها الخاص .  
فبئسما نجد الفلاسفة يجعلون الفكرة سابقة على الوجود اذا بالوجودى  
يجعل ذاته قائمة اولا ومنها بعد ذلك تنبثق الاتجاهات الفكرية وقد تسربت  
افكرة الوجودية الى كثير من النفوس التى عانت بعد الحرب العالمية  
مراغا روحيا هائلا ونهض الذين قضى عليهم ان يستأنفوا الحياء من تحت  
انتقاض عالمهم وهم يمسحون عن وجودهم غبار الانهيار الذى انهارت معه  
اعصابهم . فاصيبت القيم المعنوية .

وكان لابد لكثير من الناس ان يجد له راحة يصنعها بنفسه يستمد  
منها فلسفته الجديدة ، فبرزت الوجودية من مخبئها القديم . ووجدت  
مرعاها الخصب فى اوساط الشباب .

وقد ساعد على ذلك عجز رجال الدين الذين لم يتمكنوا من الوقوف  
امام هذه الافكار وقد بدأت تنتشر هذه الافكار الى الاوساط الاسلامية فى  
صور ادبية فى قصص ومسرحيات وروايات عالمية من اهمها ماكتبه سارتر  
والبير كامو . فانتشرت هذه الافكار الشاذة التى تدعو الى الاباحية  
فى كل شئ .

وهى تدعو الى الحرية التى ماهى الا عملية عزل مسننر وانفصال

---

(٢٣) محمد لبيب البوهى « الوجودية والاسلام » ص ١٨ .

عن المجتمع الانساني وما دامت الوجودية ترى أن الانسان مقضى عليه حتما بالفشل والخسران وأن الوجود نفسه باطل الأباطيل ، فما معنى هذه الحرية التي تنادى بها الا أن تكون دعوة الى ممارسة الانحطاط باعتباره الصفة اللازمة للوجود (٢٤) .

وحيثما نسلط بعض أضواء الاسلام على الوجودية انما نعنى بذلك العقيدة ، فالاسلام رمز للعقائد السماوية ، وبينما يعمل الوجودى على تنهيت المجتمع ونسف تجمعاته ليذهب كل فرد فى طريقه نرى أن العقيدة الدينية تعمل على تجميع القوى الفردية ، فالوجودية تدعو الى الفردية والدين الاسلامى يدعو الى الجماعية والتضحية فى سبيل الغير والتعاون وانكار الذات .

فالوجودى عدو اله ، والذي يعسدى الله ، انما يمسدى كل شىء حتى نفسه .

### الماركسية الشيوعية كمشكلة من مشكلات الحضارة :

اكتسب الاعلام الشيوعى منذ السنين الاولى للثورة الحمراء قدرات لم تعرف من قبل ، اذ أصبح قوة مؤثرة فى صنع الفكر وتوجيه الحركات الثقافية فى انحاء العالم ، ويكفى للتدليل على حجم هذا الاعلام ماورد فى احصاءات الأمم المتحدة اخيرا من أن الاتحاد السوفيتى يمثل المركز الاول فى انتاج الكتب اذ يصدر يوميا ٣٧٠٠٠٠ كتاب أى ما يوازي ربع انتاج العالم ، ويبلغ ما تنتجه المطابع السوفيتية فى الدقيقة الواحدة ٢٠٥٠٠ نسخة ، ولعل فى هذه الأرقام مايكفى بل ما يصرح بالمراد . ونجاح الاتحاد السوفيتى فى ادراك هذا المستوى العالمى من الانتاج يعود الى ما تقرر خلال الايام الأولى لقيام الثورة ، فقد أصدرت الحكومة فى

---

(٢٤) محمد لبيب البوهى « الرجوعية والاسلام » ص ١٠٤ .

١٩١٧/١٢/٢٩ م مرسوما حددت فيه مبادئ ونظم نشر الكتاب (٢٥) .  
ويعتقد الشيوعيون أن الصحافة والكتب من أهم وسائل الثورة  
الثقافية أو بتعبير آخر من أهم وسائل الانقلاب الفكرى الذى ينشدونه ،  
ولا شك أن الكتب والرسائل المؤلفة بذكاء من أمضى الأسلحة فى  
التضاء على الافكار والنظرات المعارضة ، وبث الآراء والتصورات  
الماركسية .

وتقول الأرقام : ان عدد الجرائد فى الاتحاد السوفيتى ٧٩٣٧ ،  
ويبلغ مجموع النسخ من كل طبعة ١٢٠ مليون ، ويصدر منها فى العام  
الواحد ٢٦ مليار ، ٦٥٥ مليون نسخة ، اما عدد المجلات فقد بلغ ٤٧٠٤  
يصدر منها فى كل طبعة ١٣٢ مليون نسخة ، ويدهى أن هذا الانتاج  
الضخم يتوزع على روسيا وغيرها من المؤسسات الشيوعية فى أرجاء  
العالم ، وهو يطبع باللغات المحلية واللهجات الوطنية (٣٦) .

ولابد لنا أن نعطى فكرة عن ماهية الشيوعية الماركسية ، وكيف  
استطاعت أن تنتشر فكرها فى العالم حتى أفقدته مظهره ودينه وتاريخه  
بل آدميته .

قامت فلسفة كارل ماركس — وهو يهودى روسى — على أساس الفسك  
المادى التاريخى وقد أسس عليها حتمياته فى التغير الاجتماعى ، كذلك  
التبشير بالحكومة العمالية العالمية، وديكتاتورية الطبقة العاملة، وبالمجتمع  
الانسائى عديم الطبقات .

وتعود فلسفته الى الفكر المادى التاريخى ، لأنها تستخدم تاريخ  
المجتمع البشرى — كما يدعى — فى علاقة هذا المجتمع بالاعتقادية «المادة»  
وتقنن تبعا لذلك قوانين اجتماعية يخضع لها المجتمع فى مستقبله وتطوره .

---

(٣٥) محمد الغزالى « مذائف الحق » ص ١٣٩ ، نقلا عن ابراهيم  
دسوقى أباطة « رسالة عن المخطط الشيوعى » .  
(٣٦) المرجع السابق .

ويعلق زعيم من زعماء الشيوعية على ذلك بقوله « ان على حزب طبقة العمال الا يقيم اعماله على مبادئ العقل البشرى المجردة ، ولسكن بقيمها على الاحوال المقررة للحياة المادية للمجتمع باعتبارها الثوى الفاصلة للارتقاء الاجتماعى » (٢٧) .

ويقول انجلز من زعماء الماركسية « ان العالم المادى ندركه بحواسنا ، والذى نحن جزء منه ، هو الحقيقة الوحيدة . وليست المسادة من انتاج العقل : بل ان العقل ماهو الا اسمى انتاج للمادة . ويذهب الى ان العالم بطبيعته مادى والظواهر المتضاعفة للعالم تشتمل على اشكال مختلفة من المسادة فى تحرك وارتباط الظواهر واعتماد بعضها على بعض هو قانون ارتقاء المادة ، وليس من حاجة الى الروح الشاملة ، فهناك ايمان بنظرية النشوء والارتقاء التى قال بها دارون ، ومن ثم فهناك انكار لوجود الله » (٢٨) . .

ومن هذه النظريات نرى ان الاقتصاد او المادة هو المحرك للمجتمع فى تغييره وللأفراد فى تطورهم الفعلى ، وفى التأثير فى مجرى حياتهم ، كما تأخذ من احداث التاريخ فى ماضيه دليلا على هذا الربط بين التغيير الاجتماعى والوضع الاقتصادى ومصدرا ايضا للتنبؤ ، او الحتمية كما يذكر ماركس — بما سيكون عليه المجتمع الانسانى فى غده تبعاً للتغير الاقتصادى (٢٩) .

فطالما كان هناك فى الماضى مجتمع يملك مصادر الثروة فيه شخص واحد هو المالك المطلق ثم تحوله الى ملاك عديدين هم اصحاب الاقتطاع فى

---

(٢٧) فؤاد شبل « الدستور السوفيتى » ص ٢٨ .

(٢٨) احمد جمال الدين « نقد النظرية الماركسية » ص ٣٣ .

(٢٩) محمد البهى « تهافت الفكر المادى التاريخى بين النظرية والتطبيق » ص ١٣ .



الأراضي الزراعية الذين يكونون في مجتمع الاقطاع ، تم تحول مجتمع هؤلاء الى مجتمع رؤوس الاموال في الصناعة ، فسلابد ان يتحول مجتمع اصحاب رؤوس الاموال الى مجتمع آخر يغيره تماما ، وهو مجتمع عمال الصناعات .

ان السبب في تحول المجتمع هو مبدأ النقيض ، اي وجود تناقض بين الشيء ونقيضه وهذا مايدعوا حتما الى انتقال الشيء الى نقيضه .

فمجتمع الملك المطلق كان ومعه نقيضه ، وهو الآخرون الذين لايملكون شيئا مما يملك ، فتحول الى مجتمع هؤلاء الآخريين المعدمين بسبب العدااء بين النقيضين ، والصراع بين الطرفين (٤٠) .

وقد عملت الماركسية على تحقيق هدفها بالوسائل التالية :

١ - الملكية الجماعية لوسائل الانتاج الثلاث : الأرض - رأس المال - العمل وتحريم الملكية الخاصة لهذه الوسائل .

٢ - محاربة الفردية بجميع خصائصها ، وعدم الاعتراف بها في النظام الجماعي .

٣ - تبني الصراع بين الطبقات كوسيلة للتطبيق الاشتراكي ، والمجاهرة بأنه لم يكن جميع الناس اخوة في اي حال من الأحوال في نظر ماركس ، بل كانوا أعداء طبيعيين يتصارعون ، ولذلك كان شعار ماركس في البيسان الشيوعي « يا عمال العالم اتحدوا » وتجنب عن قصد أن يقول يابني الانسان اتحدوا .

٤ - العمل على تغيير العالم بجميع نظمه ، كما صرح بذلك ماركس لتفسيره على ما هو قائم عليه من الخصائص الفردية والدولة السياسية ولا يكون ذلك التغيير عندهم ، الا بتدمير النظام القائم بجميع لوازمه

وخصائصه ، من دين وقانون وأخلاق ، وعدالة ، وعدالة بين الطبقات ، باعتبارها كلها عندهم من خصائص هذا النظام الرجعي والبورجوازي ، وان مراعاة التعاليم الاخلاقية تضعف من حدة الصراع بين الطبقات ، كما اكد على ذلك ماركس نفسه .

٥ — ان ذلك التدمير لا يكون الا بعمل ثوري وذلك لتقسيم الامة ، والاعتماد على الثوريين منها ، واحلال روح الثورة والصراع مكان روح الحب والاخاء .

٦ — تصفية الدولة بعد مرحلة حكم ديكتاتوري يتسلطه طليعة طبقة البروليتاريا وبعد ان لا يبقى في المجتمع غير طبقة البروليتاريا ليحيا الناس عندئذ في مجتمعات خيالية غير مركزية تعمل وتنتج ، من غير دولة ولا قيادة سياسية ، ولا قانون ولا نظام الا مايعارف عليه المقيمون فيما بينهم من سلوك طوعي لا اكراه فيه ، ولا سلطة فوقه لتحميه (٤١) .

وزاد في خطورة الوضع ذلك الصراع الرهيب الذي تام حينئذ في اوربا خاصة في القرن التاسع عشر مابين الكنيسة والاشتراكية ، فقتلته انهزمت الكنيسة امام الاشتراكية وكانت الاشتراكية تهدف الى القضاء على الكنيسة بوصفها ديناً ، والدين عندهم من خصائص الرجعية والبورجوازية ، فتحملت الكنيسة عندئذ وحدها تلك الصدمة ، ولم تقو على ردها ، وكانت الكنيسة كدين توجهه سلوك الامة ، والحكم ، فلما انهزمت كان انهزامها انهزاماً لكل دين (٤٢) .

وبذلك نرى ان الشيوعيين قد نجحوا في تنفيذ حركتهم على نطاق دولتهم ، وفرضوا نظرية كارل ماركس التي بينا فحواها ، وبذلك نراهم قد عملوا على دراسة الحياة الاجتماعية ففسروا تطور المجتمع وارجعوا

---

(٤١) محمد معروف الدواليبي « الاسلام امام الرأسمالية والماركسية » ص ١٢ — ١٤ .

(٤٢) المرجع السابق ص ١٧ .

حوادثه الى اسباب مادية بحيث لا يتركون شئنا منها للمصادفة وللارادة الالهية او للاسباب الخارجة عن الطبيعة ومن ثم نراهم يمد أرجعوا كل شئ حتى الدين والأخلاق والفكر والفلسفة والنعامة والقانون والسياسة الى انعكاسات للاحوال الاقتصادية ، والمسالخ الطبيعية ، وأمدوا جذورها الى الظروف المادية للحياة ، وتاريخ ارتقاء المجتمع عندهم قبل كل شئ تاريخ ارتقاء الانتاج ، واهتموا بتفسير الأحداث التاريخية تفسيرا ماديا ينكر الدين (٢٢) .

### اثر الحركة الشيوعية الماركسية على الحضارة والدين الاسلامي :

لو ان الثورة الروسية لم تقم في اعقاب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٧ م ، لما حفل الفكر المعاصر في القرن العشرين بالماركسيه ، ولطغت عليها اتجاهات المثالية والأخلاق الدينية في هذا الفكر ، ولكن حسن حظ الماركسية انها وجدت في الانقلاب الروسي قوة مؤازرها ، وتحنن لنشرها اقوى واحداث اساليب النشر والدعاية .

وجاءت الحرب العالمية الثانية ، وحصل الاتحاد السوفيني فيها على نصر عسكري وسياسي اضاف قوة جديدة الى القوة السابقة التي آزرت الماركسية ، ثم جاء ما وقعت فيه الدبلوماسية الغربية من مساندة الروس في هذه الحرب للقضاء على ماسمى وتتذاك بالديكتاتورية العسكرية في برلين وروما ، وذلك تحت ضغط اليهودية العالمية والكنيسة الكاثوليكية ، فضعف كذلك من قوة المؤازرة للماركسية في تثبيت دعائمها ونشرها (٢٣)

وقد بدأ السوفييت في الدعاية للشيوعية بطريقة التهويل والاستخفاف وجذب عقول الشباب محاولين ابعادهم عن الدين واليهوديين منه في نفوسهم الى جانب جذبهم بالاموال ، وبطرق الاقناع المعجبة تحت مؤثرات مختلفة ، واستغلال الأوضاع الاقتصادية والطبوعات بطرق جذابة تجذب

(٢٣) احمد جمال « نقد النظرية الماركسية » ص ٣٦-٣٧ .

(٢٤) محمد البهي « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار »

ص ٢٢٨ .

الشياب ، ومحاولة عقد الندوات ، وبث السموم الفكرية فيما بينهم .  
محاولين اقناعهم ان هذه الدعوة ما هي الا دعوة اصلاح ، ومحاولة التذويب  
الفوارق بين الطبقات للقضاء على الرأسمالية .

والدعاية الشيوعية تركز قوتها في ثلاث نقاط :

- ١ — معارضة ثبات القيم الروحية والأخلاقية والعقلية .
- ٢ — معارضة وضعية المرأة في المجتمع غير الشيوعي .
- ٣ — الاستخفاف بأصحاب المزارع ، وأصحاب رؤوس الأموال وتمجيد  
أصحاب العمل البدني (٤٥) .

ونجد هنا في الشرق الإسلامي ان توهين أمر الدين ، ورجال الدين  
هو الهدف الأول للدعاية الشيوعية ، لأن الإسلام في هذا الشرق يعتبر  
مصدر أنواع القيم الثلاث الثابتة الروحية ، العقلية ، والدينية ، ثم هو  
مع ذلك مصدر تحديد وضعية المرأة في المجتمع الإسلامي كذلك ، وأخيراً  
هو مصدر حق الملكية الفردية سواء الأراضي الزراعية أو للصناعات .

أضف الى ذلك أنهم يعملون على تحرير المرأة بالصورة التي لايرضى  
عنها الإسلام ، ومحاولة بث الدعاية للعمل على القضاء على مآثره  
الإسلام في حقها ، خاصة ، في موضوع الطلاق وتعدد الزوجات ، وذلك  
حتى يخلقوا الفوضى في المجتمعات الإسلامية .

وهناك ظاهرة ثالثة في نشرات الدعاية للشيوعية في الأدب المعاصر .  
هي ظاهرة تمجد العمل البدوي ، وأبراز تفوقه على العمل الفكري ، وبالتالي  
تفضيل الطبقة العاملة على الطبقات الأخرى ، وهذه الظاهرة اثر للفكر  
الماركسي الذي يرمى الى تحويل الجماعة الى دولة ذات طبقة واحدة ،  
هي طبقة العمال ، كما انها مادة للدعاية الشيوعية لسكيب الاتساع في  
أوسع دائرة ممكنة (٤٦) .

(٤٥) محمد البهي ، المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٤٦) المرجع السابق . ص ٢٤٩ .

وأستطاعت الشيوعية عن هذه الطرق ، وهذه الدعوة أن يسلل إلى البلاد الإسلامية ، وأن تجد لها انصاراً في بعض طبقات المثقنين الذين اغرنهم الدعاية الأجنبية ، وفي بعض العقول التي لم عمرها الله بالدين ، حاولوا اقناعهم بهذا المذهب الهدام .

وقد حاول الشيوعيون أن ينكروا الدين والفلسفة المثالية بين الفئات التي آمنت بهم ، وأصبحت التضحية وانكار الذات ، والصرع علم الشذائذ ، والرضا بالتدر عند العجز عن الدفع ، وأصبحت الأخوة في الوطن ، والإنسانية ، معاني جوفاء لا مدلول لها ، وأصبحت الدعوة إلى الله والتمسك بالذاتية ، كمصدر لاشعاع التوجيه للبشرية عامة دعوة إلى التخدير .

ويؤكد هذا الموقف من الدين الإسلامي ، ما قاله أحد الزعماء الشيوعيين ويدعى مولوتوف « لن تنتشر الشيوعية في الشرق إلا إذا أعدنا له في تلك الحارة التي يعبدونها في الحجاز وفلسطين » (٤٧) .

لقد عادى زعماء الشيوعية فكرة الجامعة الإسلامية لتقوم بين المسلمين هناك ، ولم يأت عام ١٩٣٣ م حتى أرغمتهم الحكومة على اتخاذ الحروف اللاتينية بدل العربية ، وبذلك تطعموا صلتهم بالعمال المسلمين . وفي عام ١٩٣٨ م أمرتهم باتخاذ الحروف الروسية (٤٨) .

شجعت الماركسية الشيوعية الحيوانية بين صنوف الشباب في جميع جوانبها . شجعتها على ابتلاء المعدة ، وإثباع الرغبة الخنسة في أمة صورة ، واحتقار العقل ، وإزراء الطبقة المثقفة ، وإغراء الدولة الطبقة العاملة ، بأن الدولة ديكتام ، حتى تضمن ولاء الكثرة العديمة في الجماعة الإسلامية لنظامها (٤٩) .

وقد عملت الشيوعية على إزالة الملكية الفردية أي كانت صغيرة أم كبيرة ، وتطبيق نظام الأجور من كل حسب حاجته ، مع القضاء على التجارة الداخلية وقيام نظام البطاقات (٥٠) .

(٤٧) محمد النواوي « بين الشيوعية والإسلام » ص ٣٠ .

(٤٨) المرجع السابق ، نقلًا عن « الشيوعية في الميزان » ص ٥١-٥٣ .

(٤٩) محمد البهي ، المرجع السابق ص ٣٥٥ .

(٥٠) الشيوعية في الميزان ، ص ٥٢ - ٥٣ .

## موقف الإسلام من الشيوعية الماركسية :

١ — الإسلام يتفق مع الطبيعة الإنسانية وضرورات الحياة في اباحة  
للملكة الشخصية ، وهذا ما أنكرته الشيوعية النظرية كما وضعها كارل  
ماركس وانجلز ، فالإسلام يسمح لكل إنسان أن يتخذ من الوسائل  
والسبل المشروعة لاكتساب المال وتنميته ، ما يحبه ويستطيعه ، ويتناك  
بهذه السبل ما يشاء ، والإسلام من حيث أنه دين ترفض عقيدته ونظامه  
الشيوعية رفضا باتا لأنها فلسفة مادبة السكان ، وفكرة بلحدة العقيدة .

فالإسلام يعترف بمبدأ الملكية ، ويضعه تحت الوصاية الدقيقة من  
تعاليمه المقررة في قواعد العامة ، ونصوصه الخاصة ، فهو يطلقه إن  
كانت المصلحة العامة تقتضي بإطلاقه ، ويحده إن كان الأمر على العكس .  
وفي كلتا الحالتين ، فالإسلام واضح في رفضه لكل تلك الأطال ، وهو  
يسأل كل مالك من أين لك هذا ليعرف أهو حق فيبقه له أم باطل فوسله  
إياه (٥١) قال تعالى : « ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام  
لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، فأنتم تعلمون » (٥٢) .

والمعجب أن الشيوعية قد تراجعت أخيرا في مرحلتها التطبيقية ،  
واعترفت بالملكية الشخصية ، ولو في حدود ضيقة تأكيداً لبطان زعيمها  
النظري . فقد جاء في الدستور السوفيتي مايلي :

مادة ٧ : لكل عائلة من عوائل المزرعة التعاونية بالانسانة التي  
دخلها الأسمى الذي يأتيها من اقتصاد المزرعة التعاونية المشترك ،  
قطعة من الأرض خاصة بها ، وملحقة بمحل السكن ، ولهذا في الأرض  
اقتصاد اضافي ، ومنزل للسكني ، وماشية منتجة وطيور وأدوات زراعية  
بسيطة للملكة خاصة (٥٣) .

(٥١) محمد الغزالي : « الإسلام المفترى عليه بين الشيوعية  
والرأسمالية » ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٥٢) سورة البقرة آية ١٨٨ .

(٥٣) مصطفى السباعي « اشتراكية الإسلام » ص ١٦٥ نقل عن  
النسخة العربية من الدستور السوفيتي المطبوعة في موسكو سنة ١٩٤٢ ،  
والمترجمة عن النسخة الروسية المطبوعة في موسكو سنة ١٩٤١ م .

٢ — ان الاسلام في ابحاثه للملكية الشخصية ، انما يسمح للمواهب الانسانية ان تنطلق في ميدان التنافس والبناء الذي هو بلا ريب اكبر سبب من أسباب تطور الحضارة ، ونمو الافئدة ، والشيوعية تزعم ان هذا التنافس هو الذي يجر البلاء على المجتمع . اذ يؤدي الى استغلال ارباب الاموال للجماهير اسوا استغلال ، وهذا انما يصدق على التنافس الراسمالي الذي رآته الشيوعية النظرية قائما في اوربا ، ولكنه لا يصدق ابدا على التنافس الاشتراكي الاسلامي لانه مقيد اولا بمبادئ التملك . ومقيد ثانيا باشراف الدولة وتوجيهها ويثقلها . ومقيد بالمثل الاخلاقية العليا التي هي جزء من عقيدة الاسلام . ويبقى الضمير الديني الذي تعتمد اشتراكية الاسلام عليه اكبر اعتماد . وفي واقع راس المال الاسلامي في الدولة الاسلامية الاولى وما بعدها اكبر دليل على هذا .

٣ — الاسلام يعمل على تعاون فئات المجتمع المختلفه لا الى حرب الطبقات كما تفعل الشيوعية . فحين يكفل الاسلام الحياه الكريمه للضعفاء والمعجزين والفقراء وغيرهم . ويمنع استغلال الاغنياء وتحكمهم . ويمجر ينابيع الخير في نفوس الناس كافة . اما الشيوعية فاساس دعوتها اثاره انفئات بعضها على بعض وملء قلوب بعضها بالحق على بعض (٥٤) .

٤ — الاسلام يعتمد على الاخلاق الكريمة ، ويجعلها جزءا من العقيدة ، ويحمل الانسان على ان يتحلى بها . والشيوعية لاتؤمن بالقيم الاخلاقية العاطفية كالحب والرحمة . والاجتماعية كالصدق والوفاء ولا تنظر اليها الا في اطار المصلحة الشيوعية . والشيوعى يستخدم المثل العليا التي يؤمن بها الناس في الدعاية لمبادئه للتضليل والتفجير . والشيوعى يدعو الى الحرية في مجتمع غير شيوعى ليتخذ منها وسيلة لاثارة العمال والطلاب والجماهير ضد الحكم القائم .

٥ — الاسلام يعتبر هو صرح بناء الحضارات منذ عرف الانسان ، ذلك هو الايمان بالله خالق الحياه رب العالمين ، العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة والعقيدة الاسلامية توقظ الضمير ، وتهذب النفس وتكبح من جماح هوائها وشهواتها او تجعل الانسان دائما امام ضميره ، وامام ربه

في جميع علاقته، ويوم يتخلى الأمة عن هذه العقيدة — كما تهدف الشيوعية — فقد سمحت للشّر أن يستفحل في صفوفها (٥٥) .

٦ — الاسلام يعلن ثقته بالانسان وبفرائض الخير فيه ، وانه الى الخير اقرب منه الى الشر « كل مولود يولد على الفطرة » (٥٦) وفي قصة خلق آدم . كما رويت في القرآن الكريم اشارة واضحة الى هذا .

قال تعالى « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة . قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها . ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين » (٥٧) .

فالانسان — كما تدل عليه هذه القصة — خلق ليكون خليفة عن الله في الارض يعمرها ويملؤها بالمعرفة والخير ، ولم يمنعه مافيه من غرائض الشر ان يستحق هذه الخلافة . ومن ان يسخر الله له جميع القوى . ويخضع له جميع المخلوقات .

ولهذا يعمل الاسلام على ان يقوى في الانسان دينه او يهذب نفسه، ثم هو يكله بعد ذلك الى ضميره في تنفيذ مبادئه ، اكثر مما يجبره على ذلك بقوة الدولة ورهبة السلطان .

ولسكن الشيوعية لانتق بالانسان — لان تاريخه كله من اوله الى آخره تسلط وقتال من اجل الاكل والمال؛ انها لانتق بدينه لانه يؤمن بخرافة، ولا تثق بضميره لان القيم التي يؤمن بها الضمير قيم باطلة ، انها لا تؤمن بفرائض الخير فيه ، انها نتق بفرائضه الجشعة ، ورغبتيه في الاستئثار والطغيان ، ولذلك فهي لاتسلمه المال لانه يستعمله في استغلال الكادحين؛

(٥٥) مصطفى النباعي « اشفراكية الاسلام » ص ١٦٧ .

(٥٦) رواه البخاري ومسلم .

(٥٧) سورة البقرة آية ٣٠ — ٣٤ .



ولا تطلق له الإرادة لأنه ينزع إلى التحكم والاستبداد . ولا تعطيه الحرية لأنه لا يحسن استعمالها .

٧ - الشيوعية تعتبر مأساة الإنسان كلها منذ اقدم التاريخ إلى اليوم مأساة بطن جائع ، ومن ثم فهي تنادى بأنه لا سبيل للسلام والسعادة إلا بنظامها الذي يسلب من الناس أموالهم ويملا بطونهم . ومعنى ذلك أنه لس في الإنسان رذيلة الاحب القسوط على الآخرين (٥٨) .

وخلاصة ذلك أن الإسلام ينكر على الشيوعية موقفها من الأديان ، ومهاجمتها في أصولها ومروءتها كما ينكر عليها وأدها للحرية ؛ وهذا أهم خلاف بين الإسلام والشيوعية ، أما أساليب الحياة وتنظيمها والرتى بالأفراد والجماعات ، ومحاربة الفقر والبطالة وتأمين الفرد على نفسه ومعيشته وذريته مما جاءت به الشيوعية فإن الإسلام له موقف مخالف نياتيا . فهو يحرم الإنسان ويحترم آدميته (٥٩) .

ولابد أن ندلل على صحة رأينا في موقف الإسلام من الشيوعية برأى : تحدد المشرقين الغربيين وهو المشرق " جب " يقول " مازال الإسلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المتقابلين في الغرب . فهو يسلم ويوائم بين الاشتراكية القومية والأوربية . وبين شيوعية روسيا . فلم يهو بالجانب الاقتصادي من الحياة إلى ذلك النطاق الضيق الذي أصبح من مميزات أوربا في الوقت الحالي ؛ والذي هو اليوم من مميزات روسيا أيضا " (٦٠) .

ويذكر جاك أوستري في كتابه « الإسلام أمام التطور الاقتصادي » :  
« ليس هناك في الحقيقة إلا طريقة وحيدة وضرورية لابد منها للانباء الاقتصادي كما تريد أن تقنعنا به المذهب القصيرة النظر في النظامين الاقتصاديين السائدين » (٦١) .

(٥٨) مصطفى السباعي : المرجع السابق ص ١٦٨ .

(٥٩) الغزالي « الإسلام المقترى عليه » ص ١٥٠ .

(٦٠) محمد علي « مولانا » « الإسلام والنظام الجديد » ص ٢٥

(٦١) Jacques Austruy " L'Islam Face au developement " (٦١)

ولذلك الحق ، هذا المؤلف في كتابه على المسلمين بضرورة العودة الى الاسلام نفسه والى دراسة قواه الكامنة فيه « بشق الطريق فهو نهوض المسلمين عوضا عن التقليد الأعمى » وجاهر « بأن الاسلام يتمتع بإمكانيات هائلة وأنه اذا ما وجد الطريق الصحيح فإن كثيرا من الصعوبات الاقتصادية التي ظهر للاقتصاديين تعذر التغلب عليها وسوف يحلها الاسلام » (٦٢) .

هذا هو الاسلام بمبادئه التي تناقض المذهب الشيوعي — الذي حاول أن يعمل جاهدا على التوصل في المجتمع الاسلامي لسحق الدين . وبليلته افكار المسلمين تحت ستار ما يدعونه من مذاهب فكرية متحررة ومتجددة . وما هي الا فقاعات لا تلبث ان تزول . قال الله تعالى « كذلك يضرب الله الحق بالباطل فأما الزيد فبذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » (٦٣) .

## الراسمالية وأثرها على الحضارة الإسلامية

قام النظام الراسمالي الغربي على أساس من إطلاق العنان لنشاط الفرد الى غير حد . وللحرية الفردية من غير قيد ، ولاعتبار الصالح الفردى هو الصالح الأعلى .

وبرزت هذه الاتجاهات فى المجال الاقتصادى الى أقصى حد . اذ برك كل شىء فى هذا المجال لنشاط الأفراد . ورغباتهم ومصالحهم . دون أى اعتبار للمجتمع أو للأخلاق أو لأية اعتبارات أخرى يمكن أن نحد من الحرية الفردية . أو من تحقيق الصالح الفردى كما يتراءى للفرد أن يحققه (١) .

ان اول ما يأخذه الاسلام على الراسمالية باعبارها نظاما جرب وشهد العالم تطبيقه وآثاره ، ان الذى يربح منه طبقة محدودة جدا ، وان هذه الطبقة الراحبة تقبل على الدنيا اقبالا عارما ، موصول اللذة ممدود المتعة ، تأكل التراث اكلا لسا . وتحب المال حبا جما .

والاسلام يضيق بالراسمالية لأنها تضع نظاما جادا لمحاربة الفقر ، بل لم تؤسس حكمها على فكرة اراحة الناس منه ، كما ان النظام الراسمالي يهوى بالضعفاء والمحتاجين فى مكان سحيق ، ولا يتعرف اليهم الا ادوات انتاج يحترقون فى النار التى تطهى للمسادة ، ثم تتحول بوقودها الأدمى الى عالم من التراب (٢) .

ونريد ان نعطى لمحة تاريخية عن نشأة الراسمالية . فقد ظهرتفى اوربا عقب الثورة الصناعية التى بدأت فى القرن الثامن عشر فى انجلترا أولا ثم فى بقية أوربا الغربية بعد ذلك .

---

(١) سيد قطب « الاسلام ومشكلات الحضارة » ص ٩٧ .  
(٢) محمد العزالى « الاسلام المفقود عليه » ص ١٩١ - ١٩٢ .

وقد أدت الثورة الصناعية الى قضاء الآلة نهائيا على العمل اليدوي في الصناعات . وشل الانتاج اليدوي في مواجهة الطاقة الكبيرة لصنع الآلة ، وتحور العمال اليدويون ، وقد كانوا ملاكا في مصانعهم الصغيرة من قبل الى إجراء لدى اصحاب الصناعة الآلية الكبيرة .

وفيما بين المصانع الآلية كان المصنع الكبير فيها بطاقته الواسعة من الانتاج اقل تكلفة منه في المصنع الاصغر ، لذا لم يستطع المصنع الآلي الصغير ان يستمر طويلا في مواجهة المصنع الكبير ، وأثر صاحب بسبب قوة المنافسة وضررها عليه ان ينضم الى المصنع الكبير ويدخل في حمايته . وتكونت بذلك الشركات المساهمة الكبيرة .

وهكذا ايضا بين الشركات المساهمة الكبيرة كانت المنافسة في رخص تكلفة الانتاج ، ولكن هذه المرة ليست عن طريق كثرة الانتاج — بجانب جودته — ولكن عن طريق تخفيف التكلفة خارج المصنع . سواء في شراء المواد الخام او في تسويق مصنوعات المصنع في الاسواق المحلية او الخارجية والعامل الأساسي في التكلفة هو — النقل — وضمان وسائل عدم التلف للسلع ، وفائدة القروض التي يقترضها المصنع او الوسيط بين المصنع والاسواق وهو التاجر (٣) .

فكلما كانت اجور النقل ، وفائدة القرض اقل ، وكلما كان الخطر الناشئ عن تلف السلع المصنعة او الخام في نطاق ضيق او متعددا تماما ، كانت التكلفة اقل وبالتالي كانت المنافسة اقوى للصناعة التي قلت تكلفتها تبعاً لذلك على المنافسة ، اتحدت بعض الشركات الصناعية المساهمة ، على ان تباشر خدمات النقل او التأمين على السلع او القرض لتسويقها . واصبحت هذه الشركات داخل اطار الصناعة ، ثم في تطور العمل فيها أصبحت نوعية ، وتقوم بخدمات لغير المساهمين فيها ، فأصبح منها البنوك وشركات التأمين وشركات السكك الحديدية والسفن والبريد ووسائل النقل الأخرى . والشركات الصناعية التي أصبحت خدماتها الخارجية ذاتية من نقل وتأمين وقروض طمعت في منافستها على بعض الشركات الأخرى ،

---

(٣) محمد البهي « تهاوت الفكر المادي » ص ٢٠ .

وعظم اثرها في الانتاج وفي الاسواق المحلية ، وفيها وراء البحار ،  
والبعض منها امتد نفوذه الى الاحتكار اما في نوع من الانتاج او في تجارة  
سلعة معينة من سلع المواد الأولية او في بعض الخدمات الخاصة كالنقل  
والتأمين .

وتبعاً لهذا التركز أصبح رأس مال الصناعة ، ويتبعه غالباً رأس  
مال التجارة ورأس مال الخدمات المالية في يد قلة من اصحاب رؤوس  
الاموال ، وبالتالي تجمعت لديهم الأرباح الواسعة في استعمار القارتين  
الأمريكية والآسيوية وفي تسخير المواطنين فيهما في خدمة الصناعة  
الأوربية الغربية .

وأصبح في أوربا ثراء فاحش يتصرف فيه عدد قليل من الأثرياء .  
كما نشأت حضارة غربية مادية في المدن والرافق التي تساعد الإنسان  
الأوربي صاحب الثراء على الاستمتاع بالحياة المادية في مسورها  
المختلفة (٤) .

وتمتد هذه القلة من اصحاب رؤوس الاموال في الصناعة الغربية  
وقف مد الثراء الفاحش ، سواء اكان من الأرباح المباشرة او غير المباشرة ،  
كما وقف عليها الاستمتاع بترف الحياة المادية .

وكلما قوى تيار هذا المد للثروة البشرية — اذ ذاك — في اتجاهه  
للتكدس تحت اقدام هذه القلة في عسدها من اصحاب رؤوس الاموال  
الصناعية زاد نفوذها في السياسة الدولية ، وفي توجيه الفكر والتعليم ،  
وكلما ازداد من عداهم فاقمة وحرمانا وضعفا في رعاية صحتهم وأحوالهم  
الاجتماعية .

كان عمال المصانع اقرب للآخرين عسدا اصحاب رؤوس الاموال  
الى الاحساس بالوضع المزدوج المتناقض الناشئ من تكديس الأرباح في  
أيدي قلة من الأفراد وهو :

١ — وضع الثراء الواسع والترف الذي هو العيب بعينه في جانب .

---

(٤) محمد البهي ، المزج السابق ص ٢١ .

٢ — الحرمان ومقد الرعاية الاجتماعية ، والاعتبار التشريعي في جانب  
آخر (٥) .

وكانت نتائج الثورة الصناعية مايلي :

١ — استثمارهم لبلاد آمنة مطمئنة ، وحرمانها من ثروتها الطبيعية،  
وبخس الجهود البشرية لإبنائها المواطنين فيها ، وذلك لأن الطاقة الانتاجية  
للصناعة تضخمت الى حد أن أصبحت عاجزة عن استيعاب طاقتها الانتاجية  
أكملة فالسوق الداخلية صارت غير كافية لاستنفاد ما انتجه المنتجون  
بالأسعار التي يرون . بحكم جنسهم الباطي — انها صارت مجزبه — ومن  
اجل الاحتفاظ بهذه الأسعار الفاحشة استقر رأي المنتجين بعد ان تجمعوا  
في كتل احتكارية على انه لامناص لهم من سلوك أحد طريقتين . اما خفض  
الانتاج ، وهذا ينقص من كمية ارباحهم . واما خلق أسواق اجنبية نستوعب  
فائض الانتاج ، وتكفل لهم الحد الأقصى من الأرباح .

الى جانب حاجة الاقتصاد الغربي الى ميادين اجنبية لاستثمار فائض  
المخبرات لان الأرباح الفاحشة التي تؤول الى اصحاب الصناعات الكبرى  
لا يمكن توظيفها في السوق الداخلي الا بفائدة منخفضة في حين انها تفل  
مائدة مرتفعة في البلاد المتخلفة اقتصاديا .

الى جانب حاجة الصناعة السكيرة في الاقتصاد الغربي الى الموارد  
الطبيعية في البلاد المتخلفة اقتصاديا . واصحاب الاموال لا ضابط له ،  
ولا قيد عليه ، يريدون الحصول على هذه الموارد بأبخس الأثمان تدعيما  
لأرباحهم الفاحشة والسبيل الى ذلك هو حمل حكوماتهم على بسط نفوذها  
السياسي على هذه الأقاليم (٦) .

٢ — ارهاق العمال في المصانع وحرمانهم نعمة الاقتناء بعد حرمانهم  
من نعمة التعليم .

(٥) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٦) محمد عبد الله العربي « الاقتصاد الاسلامي » ص ٣١٤  
محاضرة « القاها في الموسم الثقافي لجامعة الأزهر سنة ١٩٦٠ م .

٣ — تكس الثروات في أيدي قلة قليلة من الأثرياء لثروات لا تنتهي هي في واقع الأمر اغتصاب لما تملكه الملايين الأخرى من أموال وطاقات.

٤ — وتمكنا من سلطة الحكم في المجتمع ، ومن توجيه سياسته لضمان بقاء العامل في وضعه الاجتماعي ، وبقاء البلاد الأفريقية والآسيوية فما وراء البحار مستعمرات للمواد الخام بأثمان زهيدة ، وللطائرات البشرية الرخيصة في نفقاتها .

ووصلت الرأسمالية الصناعية في الغرب إلى ثروتها في الآثار والنتائج ، وهي آثار ونتائج كلها سلبية على البشرية ، حتى ما كان منها أرباحاً طائلة لأصحاب رؤوس الأموال القليلين (٧) .

منذ ذلك نرى أن النظم الرأسمالية ما هو إلا استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وهو الذي يشجع على الاحتكار الذي نهى عنه الإسلام .

ومن أهم النتائج التي صاحبت نشأة الرأسمالية إنشاء المصارف والبنوك ، التي ترتب عليها جعل العمال والصناع والتجار وأصحاب المصانع مجرد إجراء للصارفة الذين قاموا بتأسيس البنوك ، وجذبوا إليها أموال حملة الأسهم والمودعين ، ليستقلوها لصالحهم ، إذ تعود عليهم حصيلة تشغيل هذه الأموال ماعدا النصيب الضئيل الذي يصرف لحملة الأسهم ، وللمودعين في بعض الحالات بينما يكس العمال والصناع والتجار والمستهلكون وأصحاب المصانع أنفسهم كذلك. للوفاء بالفوائد الربوية التي تعود في النهاية إلى الطغمة القليلة من المالبين الذين يمولون الصناعة والتجارة عن طريق الائراض ويقبضون وهم قاعزون — ثمرة كد الجميع في نهاية المطاف (٨) .

إن مشكلة النظام الرأسمالي لا تتمثل فقط في الظاهر البائس الذي يوجه إليه النقد ، وهو تسيخير الشعوب بالحكومات ، هي طبقة مستترة وراء أكداس من النظريات الاقتصادية ووسائل الدعاية والتزوير ، والاساندة

(٧) البيهـي « تهاافت الفكر المسادني » ص ٢٢ .  
(٨) سيد قطب « الإسلام ومشكلات الحضارة » ص ١٨ .

الكبار والجامعات والقوانين واللوائح في جميع أرجاء الأرض . طبقة المرابين ، الطبقة التي تؤسس بنوك الإقراض ، وتمتلك سندات التأسيس .

وصاحب النظام الرأسمالي الاتحلال الأخلاقي أولا : نحت ناسم النظريات المختلفة الاتجاهات . سواء نظريات الحرية المقردة التي لايجوز أن يأخذها خذ أو قيد أو نظريات حيوانية الانسان ومادية الكون (١) .

### انتشار البنوك التي تتعامل بالفائدة :

انتشر حفظ ودائع الأيراد والشركات والحكومات في البنوك بفوائد محددة . كما انتشر منح الناس قروضا بالملايين . ولسكن مما يؤخذ على هذا الموضوع هو تحديد الفائدة : فالاسلام ينص على أن رأس المال والعمل يجب أن يشتركا في الربح والخسارة ، فلا يأخذ رأس المال فائدة دائما ، حتى ولو كان ذلك يؤدي إلى خسارة العمل (١) .

ولا يستطيع احد في عصرنا الحديث أن ينكر أن البنوك في وضعها الحالي تؤدي للمجتمع خدمات قيمة سواء في ميدان التجارة الداخلية أو ميدان التجارة الخارجية .

ولكن ؟ من أين تأتي البنوك بالأموال التي توجهها في انجاز عملياتها المختلفة ، وعلى الأخص في تمويل المشروعات ؟ بعضها يأتي من رأس مال البنك ، أي من قيمة الأسهم التي اكتتب بها المساهمون ، ولكن أكثرها يأتي من ودائع المودعين .

في النظام الرأسمالي يودع الناس فائض أموالهم النقدية في البنوك مقابل فائدة منخفضة السعر يقررها البنك لودائعهم ، ثم يقبوم البنك بالإقراض من هذه الودائع لعملائه بفائدة مرتفعة ، ويكسب البنك الفرق بين السعرين ، ويعتبر البنك ودائع المودعين كأنها رصيد واحد ، متجدد نطل يقترض منه المقترضين بالفائدة المرتفعة ، وكلما رد مقترض قيمة مقرضه

(١) سيد تطب « المرجع السابق » ص ٩٩ .

(١٠) على عوض « الاقتصاد في ضوء الإسلام » ص ٩٤ .



اعاده البنك الى هذا الرصيد ، ويكرر المرة بعد المرة الاضرار منه ، والاعادة اليه ، ومن هنا تأتي الأرباح الضخمة للبنوك في النظام الرأسمالي ، وهي بآمن من كل مخاطرة مطمئنة الى استرداد قروضها وفوائدها وهي بمعصم من كل خسارة (١١) .

هذه الوظيفة المصرفية ربوية ، وهي علاوة على هذا التحريم الشرعي ثبت للاقتصاديين أنها تلحق أضرارا جسيمة بالاقتصاد القومي ، فان البنوك في استغلالها للودائع على هذا النحو ، إنما تخلق نقودا مصطنعة هي مايسمونه « بالائتمان التجاري » وهي في هذا الخلق تغتصب وظيفة الدولة المشروعة في خلق النقود بما يحف بها وبما يوازنها من مسؤوليات ، وكما قال الاقتصادي الأمريكي هنري سيمونز مطلقا على الأزمة الاقتصادية العالمية التي خيمت على أكثر الدول سنة ١٩٣٠ وما يليها « لسنا نبالي اذا قلنا ان أكثر عامل في الأزمة الحاضرة هو النشاط المصرفي التجاري ، بما يصمد اليه من اسراف خبيث ، وتقتير مضموم في تهيئة وسائل التداول النقدي ، ولا نشك في أن البنوك بمعاونة الاحتكار سوف توألبنا بأزمات أشد وأقسى اذا لم تتدخل الدولة في الأمر واستعادت في حكمة ومسئولية وظيفتها في ضبط أداة التداول (١٢) » .

فالثابت اذا بحكم الواقع المعاصر هو ان البنوك بالدور الذي تقسم به في احلال الائتمان المصرفي محل العملة النقدية اعتمادا على رصيد الودائع التي لديها ، واطمئنانها الى استمرار تدفقه ، تؤدي للمجتمع ندما في تيسير التعامل التجاري ، ولسكنها في الوقت نفسه تلحق الضرر بالمجتمع الذي ينشأ من مصدرين الأول : ماتصبيه من اغتفاء غير مشروع بسبب حصولها المحتوم على فوائدها المقررة على المترضسين واجتنسابها المساهمة في مخاطر مشروعاتهم . الثاني : ميلها في أوقات الرخاء الى التوسع في الاقراض بفتح الاعتمادات التي تربو على رصيدها أضساعا مضاعفة ، وميلها في أوقات الركود الى التضيق في الاقراض والكف عنه خوفا من احتمالات الخسارة والعمل على استرداد قروضها ، وارغام

(١١) محمد عبد الله العربي « الاقتصاد الإسلامي » ص ٢١٩ .

(١٢) محمد عبد الله العربي « المرجع السابق » ص ٢٢٠ .

المتراضين على السداد . فهذا البسط والقبض الذي تتحكم فيه ارادة الغائب عن البنوك هو من اهم العوامل التي تميز السكان الاقتصادي . وانفس الي منابع الازمات (١١٢) .

فلنذكر في المجتمعات الرأسمالية بتحويلها للمشروعات من طريق زيادة الودائع تستحدث نفعا ، وتستحدث ضررا في آن واحد ، والنظام الاسلامي حريص كل الحرص على انتفاء الضرر ودفعه ، واجتلاب النفع واستبقائه .

هذا من ناحية اما من الناحية الشرعية ، فالاسلام ينظر الى هذه الفائدة على انها ربا . ومن مبادئه الأساسية تحريم الربا والفائدة ماكان منها للاستهلاك ، وما كان منها للانتاج بسواء . ان كان سعر الفائدة بسيطا ام كبيرا وذلك صريح وواضح في قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا » (١٤) وقوله تعالى « وذلك بانهم تناولوا انما البيع مثل الربا ، واحل الله البيع وحرم الربا » (١٥) وقوله ايضا وفيه ابرهان الفاطق والدلالة الصحيحة على تحريم الربا « وان قبضتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (١٦) اما ما يحتج به من قوله تعالى « لا تاكلوا ربا اضعافا مضاعفة » (١٧) فالمتصود هنا فائدة الفائدة اى الربح المركب ، وهو ضم الفوائد الى اصل الدين بحيث يصبح الكل بمثابة راسمال واحد منتجاً لفوائده القانونية او الاتفاقية . ولقد اثبت علم المال الحالي ان الدين بهذه الطريقة اى بطريقة فائدة الفائدة يتضاعف ، حتى ان المبلغ الذي يقترض بفائدة ٥٪ يتضاعف الى مثله في مدة ١٤ سنة تقريبا ، وهذا اذا كان سعر الفائدة ٥٪ ، ولكن اذا بلغ سعر الفائدة ١٠٪ او ١٥٪ او ٢٠٪ او ٢٥٪ مثلا وهذا ما يحدث كثيرا ، فان المبلغ يتضاعف في مدة تتقل عن ٥ سنوات او تزيد قليلا (١٨) .

- 
- (١٣) المرجع السابق ص ٢٢١ .
  - (١٤) سورة البقرة آية ٢٧٨ .
  - (١٥) سورة البقرة آية ٢٧٥ .
  - (١٦) سورة البقرة آية ٢٧٩ .
  - (١٧) سورة آل عمران آية ١٢٠ .
  - (١٨) سيد احمد « الاقتصاد في ضوء الاسلام » ص ٥٩ .

هذا هو المقصود من قوله تعالى « اضعافا مضاعفة » أى اضعافا بالنسبة لقيمة رأس المال المفترض ، وذلك لأن الدين الإسلامى دين ابدى لم ينظر الى شكل الفائدة ، واتسامها وأنواعها على ما هو عليه فى الماضى والحاضر فحسب ولكنه نظر أيضا لما سيحدث فى المستقبل وحرماها بجميع أشكالها وأنواعها واتسامها وقد حرم الإسلام الفائدة أو الربا لأسباب كثيرة سياسية واقتصادية وتعاونية واجتماعية وخلقية .

فترى من الناحية السياسية ان الأجنب عندما بدأوا غزوهم الاقتصادى القائم على الفوائد الربوية والقروض ، كثيرا ما يكون الأساس الثابت للاحتلال والاستعمار . اذ أول ما قعله المستعمر خصوصا فى بلدان الشرق هو أنه اقترض الشرقيين بفوائد باهظة ، وما هى الا سنوات قليلة حتى انتقلت الثروة وعوامل الإنتاج من زراعية وصناعية وتجارية من ايدى أهلها الى ايدى المستعمر (١٩) .

أما من الناحية الاقتصادية ، فان الفائدة تؤدي الى تضخم الثروة . والإسلام يكره تضخم الثروة فى جانب وعدم وجودها فى الجانب الأخر وهذا صريح فى قوله تعالى « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » (٢٠) .

وهناك سبب آخر وهو حفظ التوازن بين رأس المال وبين العمل فلا يسمح لرأس المال أن يستبد وبأخذ أكثر مما يجب ، ولا يرضى أن يأخذ العمال أقل من نتائج عملهم . كما ان الفائدة سواء اكانت بسيطة ام مركبة تؤدي الى اغلاس بعض التجار وخصوصا الذين تصيبهم وقتا ما ضائقة مالية . واذا عمل بمبدأ الفائدة، فانه يقضى على التعاون ، وذلك لأنه يقتضى الإسلام الذى يحث على التعاون بين الناس .

اضف الى ذلك ان الإسلام اذ يحرم الفائدة ، فانه بتحريمه هذا يحاول ان يحفظ التوازن بين الجانب المادى ، والجانب الروحى بحيث لا يسمح لأى من الجانبين أن يطفئ على الآخر ، الى جانب أن الفائدة تؤدي الى استغلال ضوائق المجتمع ، وبيع المساعدات بمقابل ، سواء اكانت هذه

(١٩) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٢٠) سورة الحشر آية ٧ .

انضوائق استيلاكية أم انتاجية . وبذلك تتمزق الانسانية ، ويصبح افرادها أشبه بحيوان الغناب ، الغنى يطعم فيفترس الفقير ، والفقير يحقد فيفترس الغنى ، ولكل سلاحه الذى يقتل به اخاه (٢١) .

وتد حاولت النظريات الراسمالية التى وفدت على حضارتنا الاسلامية أن تجد لنفسها منفذا ، وأن تحلل كثيرا من نظمها حتى تأخذ بها الدول الإسلامية فنقول « ان التحديد تفرضه الحاجة الى التيسير » .

ولكن لا لأنه ليس فى نظام الفائدة أى تيسير ، وقد ارتفعت الشكوى فى الغرب من نظام الفسائدة ، وهاجمه علماء متخصصون فى الفلسفة والاجتماع ، والاقتصاد ولآرائهم وزن كبير ، وذلك فى البلاد الراسمالية فضلا عن الجمهوريات الاشتراكية التى سبقت الى الغاء المعاملات بالفائدة .

وعلى أية حال ليست فى الراسمالية ، ولا فى الاشتراكية أى فلسفة خاصة تفوق نظرة الاسلام الى الامور الانسانية (٢٢) .

الى جانب انه من الكذب ، القول بأن نظام الفائدة يحمى المقرض اضعف من جبروت المقرض الفنى القادر ، فهذه مجرد دعاية يهودية تجوز على بعض الناس .

وفى ظل نظام الربا والفائدة يزداد العبء الملقى على كاهل المقرض بثلاثة عوامل رئيسية .

(ا) الضمان الذى يقدم ، فكلما قلت ثروته ، قل ضمانه ، وزاد سعر الفائدة الحقيقية .

(ب) حجم القرض ، فكلما قل حجم الدين أو المبلغ المتعاقد عليه زاد سعر الفائدة .

(ج) مدة القرض اذ الفائدة على القروض القصيرة الاجل ايسر من

---

(٢١) محمود شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ٢٧٣ .  
(٢٢) عيسى عبده ابراهيم « وضع الربا فى بناء الاقتصاد القومى »  
محاضرة القاها فى الموسم الثقافى لجامعة الأزهر سنة ١٩٦٠ ، ص ١١٤ .

نظيرتها على الديون الطويلة الأجل هذا في حالات ، وفي حالات أخرى ينعكس الوضع وتقل الفائدة اذا طالقت مدة القرض . وفي هذا تفصيل في الدراسة الاقتصادية لسوق رأس المال .

على ان سعر الفائدة يتأثر أيضا بدرجة رأس المال ، بمعنى انه كلما اشتدت الندرة النسبية للمدخرات المتاحة للتوظيف ، ارتفع سعر الفائدة.

وفكرة الاسلام في تحريم الربا ابعد كثيرا مما ظن الذين افترقوا بجواز فائدة المودعات لدى البنوك وصناديق البريد وغيره من المنشآت ؛ ففكرة الاسلام تتلخص في ان نظام النقد بجميع صورته لا ينبغي ان يكون الا للدولة ، ومن ثم يكون سك النقود ، واصدار العملة الورقية ، وخلق النقود انحصارية بالائتمان مثلا ، ومن ثم تكون المصارف ، وهيئات تكوين رؤوس الاموال كشرركات التأمين وتوظيف المدخرات منشآت لايجوز للفرد ولا لاشركة ان تملكها .

والفائدة الثابتة هي استمرار لدورة من صور الربا ، هي بقية من بقايا سيطرة رأس المال ونهم الحيازة ، ولم تحقق من الآثار الانتصافية الا الفساد ، ذلك لانها تربيئة التحكم في رأس المال ، واتخاذة للبطش بالمجتمع (٢٢) .

### أثر الربا على السلوك الانساني وعلى المجتمع :

الربا يؤدي الى انتشار الامراض الاخلاقية بطريقة غير مباشرة ؛ وذلك لانها تؤدي الى حبس ثروة المجتمع في ايد قليلة مفرقة، الأور الذي يترتب عليه انتشار الدعارة ، وكثرة البسر ، وشرب الخمر ووجود الحقد والضغائن والاحن ، وغير ذلك من الامراض الاخلاقية ، وسبب ذلك ان هذه الطائفة تملك طائفة مالية كبيرة نتيجة التعامل بالربا .

وهناك امراض اجتماعية أخرى مثل السرقة ، وضياع المروءة وغيرها وغيرها مما يؤدي بنا الى الهلاك تحقيقا لقوله تعالى « واذا اردنا ان

---

(٢٢) محمود شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ٢٧٣ .

نذلك تربية امرنا مترفيتها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها  
تدميرا « (٢٤) .

والذى يعمل بهذا النظام « نظام الفائدة الربوية » عندما يقيم مشروعا  
من المشروعات لا يفكر الا فى المشروعات التى تكفل تغطية الفوائد الربوية  
وتكفل له أيضا فائضا من الربح ، والمشروعات التى تخدم الجنس ، والتى  
تنوم على اثاره الميسل الى الترف وتلبيتسه وهى ادنى المشروعات الى  
الربح (٢٥) .

ومن ثم يصبح من السياسة الثابتة لاصحاب المال « الصيارفة ،  
وبيوت المال ومؤسسى البنوك ، وحملة السندات التأسيسية ومعظمهم من  
اليهود فى العالم ، كما يصبح من سياسة الكثيرين من اصحاب المشروعات  
الذين يقترضون من هذه المؤسسات بالربا ان ينشروا فى المجتمع الانسانى  
حالة من الانهيار الخلقى ، ومن الترف ومن التفاهة ، تسمح بان تروج فيه  
مشروعات الترفيه الجنىسى فى شتى صوره « (٢٦) .

وهكذا تصبح صناعة الافلام المستهتره ، والمحلات العامة التى تنتشر  
فيها الفساد ليلا ونهارا ، الى جانب الصحافة التى تدعو الى الفساد  
والرذيلة والتى تهتم بأمور الفن والفسق والفنانين ، وتجارة الرقيق ،  
والخمر والخدرات ، كما تصبح صناعة ادوات الترف وما وراءها من  
تقاليد المجتمع المستهتر والحفلات والسهرات الى آخر مظاهر الانحلال  
والترف التى تقوم عليها مئات الصناعات فى العالم ، تصبح هذه كلها فى  
خدمة الرأسمالية ، ويكون لرأس المال فى هذه الانظمة القوة التوجيهية  
لانه هو وحده الذى يتحكم فى المجتمعات اللادينية ، فليس المال هو الذى  
يفسد المجتمع ، وانما المنهج والمذهب والنظام والتصوير الذى يحكم مجتمعا  
من المجتمعات .

---

(٢٤) سورة الاسراء آية ١٦ .

(٢٥) سيد قطب « الاسلام ومشكلات الحضارة » ص ١٠٠ .

(٢٦) المرجع السابق .

### • الاحتكار كآثر من آثار الرأسمالية :

اساس الرأسمالية الاحتكار الذي نهى عنه الاسلام . فى اكثر من موضع وذلك لان فيه اهدارا لحرية التجارة والصناعة . فالمحتكر لم ينح لكل الناس أن يصنع صنيعة . فهو يتفرد بسلعة ، ينحكم فى السوق ، ويفرض مآشاء من الأسعار ويحدد الكمية المباعة، ويقتل منافسيه، فيكون سببا فى عدم تجويد السلع ومحو مبدأ تكافؤ الفرص بين الأفراد . ونكليف الناس فوق طاقتهم ، وقد يضطر المحتكر لكى يفرض السعر الذى يريد الى اعدام كميات كبيرة من السلع يحتاج اليها الناس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجالب مرزوق . والمحتكر ملعون » وقوله « من احتكر فهو خاطيء » وقوله عليه السلام « من احتكر طعام أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » فالاحتكار له اضرار جمة نطغى على بعض الفوائد التى يذكرها له بعض الاقتصاديين (٢٧) .

قال الله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم ب ساطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (٢٨) .

## الليبرالية التقدمية

الليبرالية لفظ له اكثر من مدلول فى اللغات الأوربيسة ومن هنا كانت الصعوبة فى وضع تعريف منطقى جامع يحدد مدلولها بدقة .

عنى اشتقاق كلمة ليبرالى نفسها اخلفوا ميذا : هل عى مأخوذة من كلمة « لبرنى » التى معناها الحرية . أو من اصل اسباني .

وعلى اى حال فان الليبرالية التى شاعت فى بلادنا العربية هى الليبرالية الانجليزية وهى ترتكز على مفهوم التحرر من تدخل الدولة فى تصرفات الأفراد . سواء أكان هذا فى السلوك الشخصى للتسرد أم فى حقوقه الطبيعية أم فى نشاطه الاقتصادى « أخسذا بمبدأ دعه يعمل

(٢٧) على عوض « الاقتصاد فى ضوء الاسلام » ص ١٢٨ .

(٢٨) سورة البقرة آية ١٨٨ .

ودعه يمر « Laisse Faire - Laisse Passé (٢٩) والظاهر من تاريخ الليبرالية : انها كانت رد فعل لتسلط الكنيسة والاقطاع فى العصور الوسطى بأوربا ، مما أدى الى انتفاضة الشعوب وثورة الجماهير ، وبخاصة الطبقة الوسطى والمناداة بالحرية والاخاء والمساواة كما وضع ذلك فى الثورة الفرنسية .

والمعروف ان البلاد العربية الاسلامية قد تعرضت لموجات الاستعمار كما ذكرنا آنفا : لذلك بدأ هذا الاستعمار يتلاعب بمصائر هذه الشعوب ، ويختار حكاهما أو يوجههم ، ويدير دفة الأمور .

ولهذا سار الحكم فى هذه البلاد فى الاتجاه الليبرالى الديمقراطى الراسمالى الغربى ، الذى يؤيده الاستعمار المتسلط ، كما تؤيده جمهرة المثقفين الذين تعلموا على يديه ، والذين رأوا أن هذا النظام الجديد يحمل معانى التقدم والحرية والتطور والتجدد ويقاوم الجهل والجمود ، والتخلف والاستبداد ، الذى اتسمت به عصور الانحطاط السابقة (٣٠)

ولم يتح لهم من العلم النافع ما يعرفون به حقيقة دينهم « الاسلام » الذى يؤمنون به اعتقادا ويجهلون شريعة ونظاما ، وفلسفة وحضارة ، كما لم يكون لديهم من دوافع الرغبة فى معرفته ما يجعلهم يطلبون العلم عند أهله العارفين به وقليل ما هم .

ومن أهم مظاهر هذه الحركة الليبرالية التقدمية فى بلادنا الاسلامية هو تشجيع الاتليبية والعنصرية ، والبعد بالمسلمين عن الوحدة والاتحاد ، وغرس روح الانفرادية . فأصبح السدء بين الشسموب بعضها وبعض واضحا ، بل بين أبناء الوطن الواحد أكثر وضوحا .

وقد نثر القرآن الكريم والسنة الشريفة ان المسلمين أمة واحدة « يسمى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » ومن لم يصبح ناصحا — أى مخلصا بارا — لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فليس منهم «

---

(٢٩) موريس كرانستون « المصطلحات السياسية » ص ٤٦ .

(٣٠) يوسف القرضاوى « الحلول المستوردة » ص ٤٩ .



ولكن النزعة الوطنية والقومية جعلت المسلم يفكر في وطنه قبل عقيدته . ويقدم الكافر اذا كان من عنصره أو وطنه على المسلم من عنصر آخر أو في بلد آخر ؛ ويسمى هذا اجنبيا ويعامله معاملة الأجانب (٢١) .

ومما هو معروف « ان الغرب يوم استضعف الأمة الإسلامية في أفريقيا وآسيا منذ القرن التاسع عشر ؛ وبدأ عصر الصناعة الحديثة دخل ديارها بجنوده واحتكر ثرواتها لمصالح مصانعه برؤوس أمواله . وسخر إبنائها في خدمة الاقتصاد الأوربي بنفوذ السياسي . ثم أرسى قواعد نظامه الإداري والسياسي وثبت نظامه الاقتصادي الراسملي . وطارد القيم الأصلية للمجتمع ، واستبدلها النظام العلماني في التعليم ، ونظريات الفقه الأوربي في التشريع ، وقيم التبعية للغرب في التوجيه . ولقد وصل الوضع في كل مجتمع إسلامي أفريقي أو آسيوي استعمره الغرب الأوربي لمصالح صناعته ورؤوس أمواله إلى نكس الأجناب من اغتصاب الثروة القومية بمساعدة القوة العسكرية وعلى الإخص مصادر الثروة المدنية والأراضي الزراعية الجيدة والمرافق الحيوية العامة ، وتسخير المسلمين في تنمية رؤوس الأموال الأجنبية بدون متبادل أو مقابل أجور زهيدة ، واستنزاف الدخل القومي باحتكار التجارة الخارجية في المحاصيل الرئيسية والسلع المصنعة للاستهلاك الضري . ورهن الأراضي والأموال العقارية بالفائدة المركبة وإقامة البنوك ليعسر الحوالات المالية وإعادة نقل رؤوس الأموال إلى الخارج من غنائم العائد الوفير لخدمة البناء الأوربي ؛ على حساب افتتار الشعوب الإسلامية من ثرواتها الخاصة ، وطاقات أبنائها البشرية ؛ وطالما أن عمليات التصدير والاستيراد تساعد على انجاز البنوك ، فهي ثغرة واسعة لتهرب الأموال أو إعادة ماورد منها وأرباح البائتي من ثمرتها وعائدها ، ولقد خان القطاع الاقتصادي في المجتمع الإسلامي المستعمر ، هو القطاع السري المفلح الذي لايدخله الوطنيون ، إلا لاداء خدمات محدودة ، وفي غالب الأحيان تكون خدمات اضافية ، والوطن في هذا القطاع كان الثروة والمجهود البشري

---

(١١) يودف الفرغماوى « الحلول المسنودة » ص ٦٣ .

فى العمل والعائد منه كان الفقر والمذلة على المواطنين « (٣٢) .

وقد كان لهذه الأفكار الليبرالية اثرها الهدام على الناحية الاجتماعية للشعوب الاسلامية فقد أصبح الأغنياء — نتيجة للتخلى عن الاسلام ودخول الأفكار والنظريات الغربية الى العالم الاسلامى — طبقة تتوارث الغنى والثروة . كما جعل من الفقراء طبقة تتوارث البؤس والشقاء ، أولئك كتب لهم ان يعيشوا فى حياة الترف ناعمين وهؤلاء كتب عليهم ان يعيشوا فى اكواخ الحرمان لاهثين ؛ وكان هذا الترف فى جانب الاقلية العاطلة ، والحرمان فى جانب الاكثرية العاملة ، نذيرا بانتهيار المجتمع واشرافه على هاوية الهلاك والدمار، وصدق الله العظيم اذ يقول « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (٣٣) .

ولا عجب ان شاع شرب الخمر ، ولعب الميسر ، وأصبح فى المجتمع الاسلامى حانات واندية يمارس فيها هذا الرجس من عمل الشيطان .

ولا غرابة كذلك اذا شاعت الفاحشة وانتشر وباء الزنى سرا وعلانية وفساد فى بلاد الاسلام مراقص وكباريهات قائمة لتسهيل العبث والفجور، وعمت المؤسسات المشبوهة المخربة عملها فى التهوين من فضيلة العفاف، وفى التحريض على التحلل من عرا الأخلاق ، وفى تيسير كل السبل للشهوات والغرائز الحيوانية ، ولتخدمت كل الوسائل من الصورة والخبر ، والاغنية والقصة والتمثيلية والزى المغزى والسهرات المختلطة . الخ (٣٤) .

والحقيقة ان موضوع المرأة كان من أهم الموضوعات التى تأثر بها المجتمع الاسلامى امام الغزو الغربى . يقول « جان بول رو » فى كتابه « الاسلام فى الغرب » :

« ان التأثير الغربى الذى يظهر فى كل المجالات ويقلب ، رأسا على عقب ، المجتمع الاسلامى لا يبدو فى جلاء أفضل مما يبدو فى تحرر المرأة » .

---

(٣٢) محمد البهى « الاسلام فى الالاتع الأيدولوجى المعاصر » ص ١٧٠ — ١٧١ .  
(٣٣) سورة الاسراء آية ١٦ .  
(٣٤) يوسف القرضاوى « الحول المستوردة » ص ٧١ .

والحقيقة التي لا بد من ذكرها أن النظريات التي سادت في المجتمعات الانسانية في القرن التاسع عشر — والتي اشرت اليها آنفا — مثل نظرية دارون وكارل ماركس وغيرهما اذا كانت قد اثرت على الانسان ، وعقيدته ، فلا بد انهما قد اثرت كذلك في النظرة الى المرأة وفي العلاقات بين الجنسين ، وعملت على تحطيم كل توائم الأخلاق ، واطلقت الجنسين في حيوانية مطلقة (٣٥) .

ولعل خروج المجتمع الغربي عن سلطان الكنيسة كان له اثر كذلك في اطلاق العنان لهذه المناسد الاخلاقية ، ولعمليات الاختلاط بين الجنسين ، والحريات المفرطة ، وما أدت اليه من انصراف الى الجنس ، والتركيز على هذا الموضوع سواء بالنواحي الاعلامية من صحافة ، واذاعة ، وتليفزيون ، رسيما ، وقصص وروايات سوداء وعلمانية . او باطلاق الحرية الى ابعاد الحدود حتى صار الفتى والفتاة حين ينطلقان مع شهوة الجسد . لا يحسن من منهما انه قد اتى منكرا . يحاسبه عليه احد ، لا قسميره ، ولا المجتمع ولا الدولة والدين (٣٦) .

وهذه الأفسكار للغريسة « الليبرالية » التي طغت على المجتمع الاسلامي ، خاصة ، مليخص العلاقة بين الجنسين ، قد جعلت الانسان ينزلق الى الدرك الأسفل بانسانيته الى انزى المستويات . . . في حين أن الاسلام يمتدح بالطاقة الجنسية من حيث المبدأ اصرح اعتراف يمكن أن تصبو اليه الانسانية ، ولكنه لا يعترف بها ضرورة هابطة ، بل على العكس من ذلك يزفها ويظهرها ، ويسلط عليها النور .

ويتصور الاسلام ، وجود علاقة بين الرجل والمرأة ، على أنه الشيء الطبيعي الذي ينبغي ان يكون ، فهو يقرر أن الله جعل في قلب كل منهما هوى للآخر وميلا . يقول القرآن « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتستكوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (٣٧) ولكنه يذكرهما بانهما يلتقيان لهدف حفظ النوع وتلك حقيقة لا احسبها موضوع

(٣٥) سيد قطب « الاسلام ومشكلات الحضارة » ص ٧٥ .

(٣٦) محمد قطب « الانسان بين المادية والاسلام » ص ١٧٦ .

(٣٧) سورة الروم آية ٢١ .

جدال ، فمن المسلم به لدى « العلم » أن للوظيفة الجنسية هدفا معلوما .  
وليست هي هدفا في ذاتها . فقول القرآن « نساؤكم حرث لكم » (٢٨)  
فبحدد بذلك هدف العلاقة بين الجنسين بتلك الصورة الموحية ، صورة  
الأرض التي تحرث لوضع البذرة وتعهدها حتى تثبت ، وتأتي بثمرة جديدة  
من نفس النوع (٢٩) .

وبهذه الصورة الموحية يتبين رأى الاسلام منذ البدء فهو يرى ان  
للشهوة هدفا محددًا ، ولا يوافق على ان ارضاء الشهوة هو في ذاته الاول  
والآخر .

## آثار الحضارة المادية

### على عقائد المسلمين

ان المشكلات التي واجهت المسلمين ، وواجهت حضارتهم لم تقف  
عند حد ما ذكرناه من ذبوع نظريات ، وافكار ومبادئ هدامة ، عملت على  
هدم الانسان عن طريق هدم اخلاقه ، وعقيدته ، وفكره ، ومحاولة تحريك  
شهوواته وابعاده عن الدين .

ليس هذا فقط ، ولكن استكمالا لهذه السياسة المسادية البحتة ،  
لقد عمل الغرب على تشجيع اناس خارجين عن الدين على ان يقوموا  
بحركات تحمل اسم الدين — والدين منها براء — من اجل محاربة الاسلام ،  
والتشكيك فيه ، والتهوين من امر العقيدة لدى الامراء .

ولذلك رأيت استكمالا لهذا الموضوع الا اختمه دون ان اعرض صورة  
أو صورتين لهذه المساويء والمشاكل التي صادفت الأمة الاسلامية من فعل  
العائير الغربي ، واخترت لذلك حركتي القاديائية التي نشأت في الهند ،  
والبهائية التي عممت العالم الاسلامي اجمع .

(٢٨) سورة البقرة آية ٢٢٣ .

(٢٩) محمد تطب ، المرجع السابق ص ١٩٤ .

## ١ - القاديانية :

تنسب هذه الفرقة الى ميرزا غلام احمد القاديانى من قاديان باقليم البنجاب بالهند .

وترجع دعوة هذا الرجل الى التعاليم التى بثها من قبل فى هذا الاقليم السيد احمد خان بهادور الذى كان عميلا للانجليز هناك ، وعمل من قبل على تشجيع اقامتهم فى البلاد ، وتشجيع مخططاتهم من اجل القضاء على الاسلام والمسلمين بالهند ، وقد نادى هذا الرجل بدعوة تقدمية فى الهند - من اجل ارضاء الانجليز - فقال بأنه لاوجود الا للطبيعة ، وليس لهذا السكون اله حكيم ، وان جميع الانبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالاله الذى جاءت به الشرائع ، واخذ يفرى بنساء الاغنياء من الشهبان الطائشين (٤٠) .

فحركة احمد خان كانت تقوم على الافتتان بالعلم الطبيعى والحضارة الغربية المادية كما يفتتن فى عصرنا الحاضر بعض المفكرين بما يسمى «العلم» وبالمركببات الحضارية التى قامت عليه ، والافتتان بالعلم الطبيعى او بالطبيعة كما يقال يؤدى الى خفة وزن القيم الروحية والمثالية ، وهى القيم التى تقوم عليها رسالة الاديان السماوية التى ينادى بها الاسلام اوضح تمثيل (٤١) .

لذلك جاء غلام احمد بعد ذلك حاملا نفس مبادئ احمد خان ، وبدأ يعمل هو الآخر لخدمة المادية الغربية ، والامسكار الجديدة التقدمية التى ليس لها هدف الا هدم الاسلام .

ولكن غلام احمد حاول ان يتطور بدعوته عما قام به احمد خان من قبل ، وذكر ان عيسى عليه السلام بعد ان بعث من موته الظاهرى هاجر الى كشمير فى الهند لينشر تعاليم الانجيل فى البلاد ، وأنه توفى بعد ان بلغ من العمر ١٢٠ سنة ، وان قبره لم يزل موجودا هناك ويدعى ميرزا

(٤٠) محمد البهى « الفكر الاسلامى الحديث » ص ٣٩ .

(٤١) محمد البهى ، المرجع السابق ص ٤١ .

غلام أحمد أنه « المهدي » ويذكر أنه حل فيه عيسى ومحمد على السواء فهو نبي . ومع أنه لم يدع أنه عيسى بن مريم نفسه فقد ادعى أنه زميله في الرسالة (٤٢) وأعلن تدومه برسالة جديدة . بعد أن خالف الأولين والآخرين في أن محمدا خاتم النبيين .

وقد لقي النبي الهندي شريعة الجهاد في سبيل الله وشرائع أخرى كثيرة ، وذلك طبعا لحساب الاستعمار الإنجليزي (٤٣) .

يقول الأستاذ المودودي :

« أول ما يميزهم عن المسلمين ويبيدهم عنهم هو ما جاءوا به من التفسير المبتدع « لختم النبوة » وقد خالفوا فيه تفسير جميع المسلمين المتفق عليه بينهم فما زال المسلمون يعتقدون منذ ثلاثة عشر قرنا ونصفا قرن ولا يزالون يعتقدون الى اليوم أن سيدنا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين فلا نبي ولا رسول بعده الى يوم القيامة ، وذلك هو المعنى الذي فهمه الصحابة رضوان الله عليهم جميعا من قول الله عز وجل في كتابه الكريم « ما كان محمدا ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٤٤) ، وهم الذين قاتلوا كل من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو المعنى الذي مازال المسلمون يفهمونه في جميع العصور المتعاقبة ، فلم يقبلوا من بين انفسهم رجلا ادعى النبوة أما القاديانيون فقد فسروا « خاتم النبيين » لأول مرة في تاريخ المسلمين بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الانبياء اي « طابعهم » فكل نبي يظهر الآن بعده تكون نبوته مطبوعا عليها بخاتم تصديقه صلى الله عليه وسلم « ومن اقوالهم « قال المسيح الموعود عليه السلام في خاتم النبيين: أن المراد به أنه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة اي نبي من الانبياء الا بخاتم « صلى الله عليه وسلم » وكما أن كل قرطاس لا يكون مصدقا مستندا الا

(٤٢) محمد الغزالي « دفاع عن العقيدة والشريعة » ص ٢٤٢ .

(٤٣) المرجع السابق .

(٤٤) سورة الاحزاب آية ٤٠ .

حين يطبع عليه بالخاتم فكذاك كل نبوة لا تكون مطبوعا عليها بخاتم  
وتصديقه صلى الله عليه وسلم تكون غير صحيحة (٤٥) .

ومن أقوالهم « ان جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبلعة  
المسيح الموعود كافرين خارجون عن دائرة الاسلام ، ولو كانوا لم يسموا  
باسم المسيح الموعود » (٤٦) .

يقول أبو الحسن الندوي « من كبار علماء الهند من كتب له عنوانه  
« القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والاسلام » .

« قد تحقق علميا وتاريخيا ان القاديانية وليدة السياسة الانجليزية .  
فقد اهم بريطانيا واقلتها حركة المجاهد الشهير السيد الامام « احمد بن  
عرفان الشهيد » سنة ١٨٤١ م ، وكيف الهب شعلة الجهاد والفداء نوبت  
روح النخوة الاسلامية والحماسة الدينية في صدور المسلمين في الربع  
الاول من القرن التاسع عشر المسيحي وكيف التف حوله وحول زعامته  
آلاف المسلمين عانت منهم الحكومة الانجليزية في الهند مصاعب عظيمة ،  
فكانوا موضع اهتمامها » .

ونال في موضع آخر :

« ان القاديانية تنشر في العالم الاسلامي الفوضى الفكرية ، وعدم  
الثقة بمصادر الاسلام الصحيحة ومراجعته وسلفه ، وتقطع صلة هذه  
الامة عن ماضيها وعن خير ايامها وفضل رجالها ، وتفتح باب الادعاء  
والمتطفلين على مصراعيه وتسيء الظن بقوة الاسلام ، وحيويته وانتساجه  
وتثبيس المسلمين من مستقبلهم. » (٤٧) .

ويرى الدكتور محمد اقبال « ان القاديانية محاولة منظمة لتأسيس  
طائفة جديدة على اساس نبوة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم » .

---

(٤٥) محمد الفزالي ، المرجع السابق ص ٢٤٣ نقلا عن ملفوفات  
أحمدية « بترتيب محمد منظور النهي القادياني » ص ٢٩٠ .  
(٤٦) « ميرزا بشير الدين » مرآة الصدق ص ٢٥ .  
(٤٧) محمد البهي « الفكر الاسلامي الحديث » ص ٤٥ - ٤٦ .

ويقول « ان كل مجتمع ينفصل عن الاسلام ، وله طابع دينى يقوم على اساس نبوة جديدة ، ويعلم كثر جميع المسلمين الذين لا يصدقون بهذه النبوة المزعومة يجب ان ينظر اليها المسلمون كخطر جدى على سلامة الاسلام (٤٨) .

ومن هذه الفرقة الخارجة عن الدين . نرى كيف تمكن الانجليز من زعزعة العقيدة الاسلامية فى الهند ، وبث الفرقة بين المسلمين ، وتشكيكهم فى عقيدتهم ، واحلال نقائص الباطل ، محل مثل الحق .

## البهائية

البهائية او البهائية مذهب انتحلته رجل يدعى مرزا على محمد ولد فى ٢٠ اكتوبر من سنة ١٨١٩ م ، كان ابوه تاجرا فى بلدة شيراز جنوب ايران ، توفى والده وهو صغير فكفله خاله ، وقد تعلم القراءة اللاتقة به الى سن الخامسة عشرة ثم اشتغل بالتجارة وتزوج فى سن الثانية والعشرين .

وفى سن الخامسة والعشرين ادعى انه هو « المهدي المنتظر » ، ويرجع ذلك الى ان بلاد فارس كانت كلها تلهج بقرب ظهور المهدي . لذا سمي نفسه « بالباب » وتبعه اناس كثيرون الى ان قامت حكومة ايران يقتله فى ٩ يولية سنة ١٨٥٠ م (٤٩) .

بعد مرور تسعة عشرة سنة من وفاة الباب ظهر رجل من اتباعه والمؤمنين به يدعى مرزا حسين على ادعى : ان الباب ماكان الا مبشرا به ، وانه اى حسين على المذكور ليس نبيا ولا مهديا فقط ، بل هو مظهر الالوهية التى تجلت وظهرت فى جميع الانبياء والمرسلين مثل آدم وذريته وبوذا وغيره ، فهو موسى وعيسى ومحمد وسمى نفسه بهاء الله ، وان

---

(٤٨) محمد الغزالي ، المرجع السابق ص ٢٥٢ .

(٤٩) عبد العزيز نصحي « البهائيون من اخطر المعاول لهدم

الاسلام » ص ٩ .



مظهره سيتجلى ويظهر في خلفائه مثل ابنه البكر عباس المسمى عبدالبهاء،  
وخليفة عباس وهو ابن بنته شوتى افندى (١٥٠) .

وقد بذل الغرب جهدا مكثفا في مساندة البهائيين كي يعلو صوتهم  
وتتسع دائرتهم ، وذلك بعد ان طردتهم حكومة ايران لما قاموا به من  
اعمال وحشية في البلاد ضد مخالفيهم . فقام الغرب بمساعدتهم على ان  
يتخذوا من مدينة عكا بفلسطين وطنا لهم ، فبذلك زرعوهم في داخل جسد  
الامة الاسلامية ، خاصة وان البهائيين يذكرون انهم مسلمون ، وبذلك  
يقتنون المسلمين ، ويشككونهم في حقيقة دينهم ومبادئه .

يذكر محمد فاضل عن مظالم البابين مايلي (٥١) « لما استفحز امر  
الباب وعلقت بقلوب الناس دعوته ، وصار اتباعه يعدون بالآلاف ، ويات  
همهم الاكبر ان ينصروا هذا البهتان وينشروه في سائر ارجاء الفرس بداوا  
تحقيق امانيتهم هذه ، بأن اوقعوا الرعب والفزع في القلوب ، فسكانوا  
يطلعون بوسائل شتى من الحيل والدسائس على سائر الناس وخباياهم  
من كان يؤمن بالطعن في معتقداتهم ، لم يلبثوا ان يقتلوه ، وتفشى منهم  
التعدى والغدر حتى كانوا يتشكلون بأشكال متعددة كالسائلين ونحوهم  
ليتمكنوا من الفتك بمن ظنوا به أو توهموا فيه ان يشير بسوء الى ديانتهم  
فسفكوا بذلك دماء كثيرة ، ماجنت ذنبا ولا جريرة ، الا ان آمنت بالله ،  
وكفرت بالطاغوت ، فهم في هذا الدور من مظالمهم كانوا اشبه بالفداوية  
الذين اشتهر امرهم على عهد الفاطميين خلفاء مصر ، بل الفداوية كانوا  
خيرا منهم واخف وطأة .

ثم ثاروا على الحكومة وجهروا بدعوتهم على ملا من الاشهاد ،  
وزادوا فجورا على فجورهم ، وامتلاوا شرورا فوق شرورهم ، فسكانوا  
يمثلون بالناس تمثيلا فظيما ، ويعذبونهم تعذيبا وخيما لايرحمون صغيرا  
لصغره ، ولا كبيرا لسكبه ، ولا امرأة لضعفها ، ولا جنينا في بطنها ،  
فانكل سوا في نظرهم ماداموا لا يؤمنون ببابهم ، فكانوا يسلمون الالسنه

(٥٠) المرجع السابق .

(٥١) محمد فاضل « الحراب في صدر البهاء والباب » ص ١٨٨ .

ويصلون العيون ويسلخون الجلود ، ويكونون الجسوم ويشوهون الوجوه ،  
يقطعون الأيدي والأرجل من خلاف ، ويبترون أئداء المراضع ، ويشقون بطون  
الحوامل ويتلفون الأجنة على أطراف أسنة الى غير ذلك من ضروب التمثيل  
وصنوف التعذيب .

### ودين البهائيين ينحصر فيها يأتي :

١ — ان جميع الأديان هي من الله الذي ظهر في الأنبياء كما تظهر  
الشمس في المرآة ، وان جميع كتب هؤلاء الأنبياء لم يعثروها تحريف  
أو تبديل ، انها بشرت به « أي بالبهاء » .

٢ — ان جميع الأديان أصبحت لا تصلح لاصلاح العالم الآن فيقتضى انزال  
دين جديد يوافق هذا العصر ، عصر التقسيم المادي العظيم ، عصر  
الاختراعات الجديدة ، ولذلك جاء « بهاء الله » هذا بدينه الجديد  
الموافق لهذا العصر الجديد (٥٢) .

٣ — ان رسوم العبادات من صوم وصلاة أصبحت لا توافق الناس في هذا  
العصر المادي ، فلتكن لهم صلاة ، وصيام آخران ، ثم غير نظام  
السنة ، فجعلها تسعة عشر شهرا بدلا من اثني عشر شهرا ، وكل  
شهر تسعة عشر يوما وسماها بأسماء أخرى مثل شهر البهاء والجلال  
والعظمة الى آخره ، وسبى أيام الأسبوع بأسماء أخرى أيضا مثل  
يوم النضال والعدل والاستجلال الى آخره (٥٣) .

ويزعم البهاء ان النقص في الدين الاسلامي ينحصر فيما يلي :

اولا : الدين الاسلامي يأمر بالحروب والدين البهائي يبطل الحروب ،  
وهي دعوى كاذبة ، فان الدين الاسلامي دين السلام ، وابطال الحروب

---

(٥٢) عبد العزيز نصحي « البهائيون من اخطر المعاول لهدم  
الاسلام » ص ١٠ .  
(٥٣) المرجع السابق .

الآفى حالات الضرورة ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا امخلوا نى  
اسلم كافة » (٥٤) .

٢ — يقولون ان الدين البهائى يمتاز عن الدين الاسلامى بالدعوة الى  
حسبة امم وحكمة تحكم لمنع المشاحنات بين الدول ولنع الحروب ، او  
محاربة الدولة الباغية لمغالبتها وارغامها على السلام ، فتقطع الحروب  
من العالم .

فهل هذه انكار جديدة على الاسلام ؟ وقد قال الله تعالى « وان  
طائفتان من المؤمنين اختلفوا فاصلحوا بينهما ، فان بئت احدهما على  
الأخرى ، فقاتلوا التى تبغى حتى تنىء الى أمر الله » (٥٥) .

٣ — يقولون ان الدين البهائى ساوى بين الرجل والمرأة نى جميع  
الحقوق الشرعية والسياسية والميراث ، فى حين الدين الاسلامى نافى  
من هذه الوجهة .

كيف اذا يكون هذا الزعم البهائى ، فهو باطل كاذب لان الدين  
الاسلامى قد ساوى بين الرجل والمرأة نى جميع الحقوق المدنية والسياسية،  
واذا فرق فى شىء فلاختلاف طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل (٥٦) .

٤ — ان الدين البهائى يريد ان يساوى بين الاغنياء والفقراء حتى  
لا يكون غنى مفرط او فقر مدقع .

اين اذا الجديد فى ذلك لان الدين الاسلامى هو الذى شرع التشريع  
العادل الذى لايبقى معه فقر مطلقا .

٥ — ابطال الشرع البهائى تجارة الرقيق ، وأمر بعنقه ، ويقولون  
ان الدين الاسلامى اباحه .

---

(٥٤) سورة البقرة آية ٢٠٨ .

(٥٥) سورة الحجرات آية ٩ .

(٥٦) أنظر عبد العزيز نصحي « البهائيون » ص ١٦ .

( م ١٦ — الاستشراق )

والحقيقة أن هذا كذب لأن الدين الاسلامى هو أول من حث على  
إبطال الرقيق ، وخفف وطأة الاسترقاق ، ورغب الناس فى إبطاله .

٦ — قول البهائيين أن العقوبات فى الدين الاسلامى لا يمكن تطبيقها  
فى هذا العصر ؛ عصر الرحمة والانسانية ، فلا يجوز قطع يد السارق أو  
رجم الزانى ؛ ولذلك فإن الدين البهائى قرر عقوبات مالية مثل هذه  
الذنوب (٥٧) .

٧ — يقول البهائيون : ان من ميزة دينهم جمع الناس على لغة  
واحدة ، وجعلهم كأبناء طبقة واحدة ، ولكن الحقيقة ان الدين الاسلامى  
سبقهم فى ذلك ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا  
من دعا الى عصبية » .

٨ — يقول البهائيون « ان العبادات فى الدين الاسلامى شاقة  
ومرهقة ، ولا هوادة فيها أو يتيسر بخلاف الدين البهائى الذى فضل السعى  
وراء العيش والكسب على هذه العبادات المرهقة .

كيف والاسلام يقول « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » (٥٨) .

### وهن عقائد البهائيين :

يعتقد البهائيون بالتناسخ والحلول معا فيقولون ان الله حل فى  
البهاء ، وان روح البهاء انتقلت منه الى ابنه عبد البهاء ومنه الى ابن  
بنته فتوى ناله البهائيين يسكن الأرض ، وله أن يزيد وينسخ فى الدين  
البهائى ما يشاء انه ولى الأمر ، وهذه القاعدة اخذوها من المسيحيين  
الكاثوليك فى اعتقادهم ان الباب خليفة المسيح وله أن يزيد وينقص  
فى الدين المسيحى (٥٩) .

والبابية على اختلاف فرقها ضرب واحد وتسيج غير مختلف ، أخذت  
أصولها عن الباطنية الذين منهم الاسماعيلية والقرامطة والدروز ،

(٥٧) المرجع السابق ص ١٨ .

(٥٨) عبد العزيز نصحى ، المرجع السابق ص ٢٣ .

(٥٩) المرجع السابق .

والنصيرية ، ههنا تؤمن البشر ونأمر بعبادتهم ، وننكر البعث والنشور والوعود والوعيد والجنة والنار والملائكة والجن ومعجزات الأنبياء وتمصم وتؤول ذلك تأويلاً تقبراً منه اللغة والدين كقولها ان احياء الموتى ليعيسى عليه السلام لم يكن على الصورة المغيومة من احياؤه العظام النخرة ، والرفات الباليات ، بل المراد احياؤه النفوس من موت الجهل وبعثها من قبور النفي والضلال الى حظيرة المعرفة والهدى ونور الوحي والايمان ، وان عصا موسى عليه السلام لم تكن كذلك على ما يعتقد الناس من انقلابها حية تسعى ، بل هي عصا معنوية يراد بها الدين الذي بعث به موسى ليظهره على الدين كله (١٠) .

وتقول البهائية بصلب المسيح وتسلم بالوهيته ، وتقرر انه البهاء وان القيامة قد قامت بظهوره ، وظهور الباب وتحكم بنبوته بوذا وكنفوشيوس وبرهمه وزرادشت .

وللبهائيين في مصر دعاة واتباع من فرقة المرزا عباس ينصبون للمؤمنين حياثل السكيد ويشككونهم في دينهم ، ويورون عليهم الشبهات ، وبزخرفون لهم الأباطيل (١١) .

ومن العجيب ان ينقاد المسلم لهذه الأباطيل ، ويؤمن بما لم تقم عليه بيينة من البينات ، وقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بضاء نقية ليلها كنهارها . قال عليه السلام « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لم تضلوا بعدى ، كتاب الله وسنتى » وقوله تعالى « ومن يرتدد منكم عن دينه فیهة وهو كافر ، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة . وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » (١٢) .

---

(١٠) محمد فاضل « الحراب في صدر البهاء » ص ٢٠ .

(١١) محمد فاضل ، المرجع السابق ص ٢١ .

(١٢) سورة آل عمران آية ٢٢ .

ومن المؤكد أن الذين عملوا على نشر هذه العقائد الهدامة بين صفوف المسلمين هم الغربيون الماديون الذين حاولوا هدم الإسلام عن طريق هدم مبادئه ، فإذا نظرنا في مبادئ البهائيين نجد أنها جميعها تستط فرائض الإسلام ، وما أكدته الإسلام من حقائق .

وقد قام عبد البهاء وهو « عباس بن حسين المرزا » بزيارات لمختلف أنحاء أوربا مجد فيها الاستعمار والصهيونية ، ونشر في صحف هذه البلدان اجابات عن أسئلة كثيرة وجهت اليه ، ومجدت هذه الصحف البهائية لأنها تستهدف التقريب بين الشرق والغرب والعمل في سبيل أن يصبح العالم امة واحدة شعارها الحب والسلام ، فيطرب الغربيون وسواهم من عدو العرب والمسلمين ، لدعوة هذا الشرقي المسلم الكبير — كما يزعمون — ويكتبون عنه المقالات الحسان (٦٣) .

وفي خلال رحلته هذه قام بزيارة أمريكا . يقول ميرزا محمد مهدي خان (٦٤) « وقد كان سفره الى الاقطار الغربية بناء على دعوة الاحباء والقسوس والرؤساء الدينيين باصرار عظيم ، وحينما كان يخطب فيهم كان الجميع سواء من الاحباء والاغيار يستمعون لخطبته بفراية الفرح والانبساط والانشراح ويتلقون دروسه الغالية بالقبول والولاء والانجذاب ولم يعترض منهم احد بل كانوا كلهم اذانا مصغية .

ومما يستحق الذكر أن احد الفلاسفة العظام المسدعو غامبرى ، قال يوما لحضرتة « انى انا غامبرى لم يكن لى جراءة على نكر المسيح عنى كنائس اليهود باحترام ، ولكن انت بهذه الشجاعة ، وهذه القوة اثبتت فى معبد اليهود أن المسيح كان كلمة الله وروح الله » .

---

(٦٣) عبد الرحمن الوكيل « البهائية » ص ١١٥ .

(٦٤) ميرزا محمد مهدي خان « مفتاح باب الابواب » ص ٥ .

وبمثل هذه السياسة ، والمحبة عبر الاجانب عن محبتهم وتشجيعهم لعبد البهاء الذى كان حليفا قويا لهم ، وقد ظهر هذا واضحا اثناء الحرب العالمية الاولى : فقد كان عبد البهاء يدمر القوى المعنوية ، ويثير بتسرب النجاة والخلاص — على يد الحلفاء — من طغيان الترك .

وعندما دق الجنرال اللنبي ابواب فلسطين بجيوش الحلفاء كان عبد البهاء فى منتهى الفرح والسعادة ، وعندما سقطت حيفا عبرت البيانية من فرحتها بقولها « وكان الابتهاج عظيما عندما استولت الجنود البريطانية والهندية عليها » (٦٥) .

فمن ذلك ترى ان الغرب حاول تحطيم الاسلام بشتى الوسائل والصور بالامكار التهدامة ، والنظريات العقائدية التى عملت على تحطيم نفوس الشباب ، وضباعهم ، دينيا وفكريا ونفسيا . ذلك فانتنا لابد ان نأخذ حذرنا من كل مانقرا وما نسمع وما ترى ، وأن نكون جنودا مسلمين مهمتنا الدفاع عن ديننا الحنيف ، ومجتمعنا الاسلامى ، وحضارتنا الاسلامية التى ستكون باذن الله شعلة مضيئة لن تنطفئ ، مادام كتاب الله هو كتابنا والاسلام ديننا .

ولابد ان أختتم هذا الموضوع ببعض محاولات للاصلاح عليها تجنبنا الزلل ، وتحميننا من الأفكار التى تدعى صفة التقديسية ، والتى تدعى صفة التحرر ، فنحن فى غنى عن اى فكر مستورد لأن دين الاسلام دستور مكتمل البنود والنصوص .

### آراء فلاصلاح :

١ — التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢ — تدريب الأفراد على السلوك الدينى والتربية الصحيحة التى نرفع  
المستوى النفسى والاجتماعى للفرد وتحولته الى صاحب مبادئ ومثل  
عبلنا يعيش لها ويضحى من أجلها .

٣ — ان يصحب برامج التعليم برامج للتربية الاسلامية لتشرف على  
السلوك الفردى والجماعى ، وتجعل الحياة الخاصة والعامه  
محكومة بأداب الاسلام وتوجيهاته .

٤ — تدريس الوظائف التربوية للبيت المسلم حتى نستطيع تخريج اجيال  
تعرف ربها ودينها ومعاشها ، ومعادها على قواعد مدروسة  
مغروسة فى الدم .

٥ — الربط ما بين البيت المسلم وقضايا المجتمع الكبرى حتى لا يحيا بيت  
فى جو منافعها الخاصة جاهلا او جاحدا ما وراءها ، ولو ان كل دولة  
مسلمة انشأت وزارة للأسرة والشباب لضمنت هذا الارتباط .

٦ — ابطال العادات التى أخذ بها المسلمون فى تقاليد الزواج من مغالاة  
فى المهور واسراف فى الحفلات العامة وتكديس للأثاث وتنافس فى  
الكماليات ، واعادة الزواج الى معناه السهل القديم ليكون عصمة  
وسياجا للدين والدنيا .

٧ — توثيق الصلة بين المرأة وبينابيع الثقافة الدينية والمدنية .

٨ — اعادة الحياة للعلاقة بين النساء وبيوت الله فى الصلوات .

هذه بعض محاولات الإصلاح التى لا تتأتى الا بعهد خلق مجتمع  
اسلامى بمعنى الكلمة لأن الكتيب والخطب واملام الدعاية والبعثات التبشيرية  
الاسلامية ، لن تفلح فى الدعاية للاسلام بدون وجود مجتمع يعيش على  
نهج الاسلام وتمثل فيه خصائص هذا النهج ، وتتمثل فيه صورة الحياة  
فى الاسلام .



ان كيفية قيام المجتمع الاسلامى لايتأتى الا اذا ارتفعنا بتصوراتنا .  
وافكارنا وأخلاقنا وسلوكنا وواقعنا الحضارى الى مستوى الاسلام . كما  
يجب ان تبدأ الشعوب الاسلامية نهضة صحيحة تكون امتدادا لتاريخها  
وابرازاً لشخصيتها ، ولا يعنى هذا عدم الاستفادة من تجارب الآخرين  
ومعارفهم ، كلا ، فالاستفادة والاتصال والتجارب العملية مطلوبة فننتفع  
بترات التقدم الصناعى . وننتفع من خبرات غيرنا فى آفاق الحياة المادية .  
وفى إطار صلب من شرائعنا وشمائرننا .

والله من وراء التصد وهو ولى التوفيق .

د . عفاف صبرة

## قائمة المصادر والمراجع

- ١ — إبراهيم خليل احمد « المستشرقون والمبشرون في العالم الاسلامي »  
القاهرة سنة ١٩٦٤ م .
- ٢ — إبراهيم عبد المجيد اللبان « المستشرقون والاسلام »  
القاهرة سنة ١٩٧٠ م .
- ٣ — ابن الأثير « على احمد بن ابي السكرم » ت ٦٣٠ هـ .  
« الكابل في التساريف »  
بيروت سنة ١٩٦٧ م .
- ٤ — ابن حزم « ابو محمد على بن احمد » ت سنة ٤٥٦ هـ .  
« جمهرة انساب العرب » تحقيق ليفي بروغنسفال  
القاهرة سنة ١٩٤٨ م .
- ٥ — ابن عبد البر « الحافظ يوسف بن عبد البر » ت سنة ٤٦٣ هـ .  
« الدرر في اختصار المغازي والسير » تحقيق شوقي ضيف  
القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- ٦ — ابن القيم الجوزيه « ابو عبد الله محمد بن ابي بكر » سنة ٧٥١ هـ .  
« الطرق الحكيمية في السياسة الشرعية »  
القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- ٧ — ابن كثير الدمشقي « عماد الدين ابو الفداء » ت ٧٧٤ هـ .  
« البداية والنهاية »  
بيروت سنة ١٩٧٧ م .
- ٨ — ابن ماجه « السنن » تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي  
القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- ٩ — ابن هشام « ابي محمد عبد الملك بن هشام » ت سنة ٣١٣ هـ .  
« السيرة النبوية » تحقيق فهمي السرجاني  
القاهرة سنة ١٩٧٨ م .
- ١٠ — ابو داود السندي « سنن ابي داود » تحقيق محمد محسن الدين  
القاهرة سنة ١٩٣٥ م .
- ١١ — ابو يوسف « القاضي ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم » ت سنة  
١٨٢ هـ . « كتاب الخراج » تحقيق تقي الخطيب  
القاهرة سنة ١٣٩٧ هـ .
- ١٢ — احمد زكي « الرق في الاسلام »  
القاهرة سنة ١٨٩٢ م .
- ١٣ — احمد نسلبي « مقارنة الأديان »  
القاهرة سنة ١٩٧٣ م .

- ١٤ - أحمد غلوش « الخير والحياة »  
القاهرة سنة ١٩٥٣ م .
- ١٥ - أحمد فائق رشيد « الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البيهية  
والبهائية » تأليف العلامة ميرزا عبد المحسن آواره  
القاهرة سنة ١٩٢٤ م .
- ١٦ - أرنست رينان « دين الاسلام والعلم » تعريب على يوسف  
القاهرة د.ت
- ١٧ - الباي الحلبي « الاسلام » مجموعة اساتذة د.ت .
- ١٨ - البخارى « محمد بن اسماعيل البخارى » ت ٢٥٦ هـ .  
« صحيح البخارى بشرح الكرمانى »  
القاهرة سنة ١٩٢٨ م .
- ١٩ - البيهقي « أبى بكر أحمد بن الحسين » « السنن الكبرى »  
حيدر آباد سنة ١٣٤٤ هـ .
- ٢٠ - أولري « الفكر العربى ومكانه فى التاريخ » ترجمة تيلم حسان  
وآخرون  
القاهرة د.ت .
- ٢١ - توفيق سبع « تيم حضارية فى القرآن الكريم »  
القاهرة سنة ١٩٧٢ م
- ٢٢ - توماس ارنولد « الدعوة الى الاسلام » تعريب حسن ابراهيم  
حسن  
القاهرة سنة ١٩٧٠ م .
- ٢٣ - جمال الدين الفندى « قصة الكون »  
القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢٤ - جوستاف لوبون « حضارة العرب » ترجمة عادل زعيتر  
القاهرة سنة ١٩٥٦ م .
- ٢٥ - حسين الداغستانى « كتاب كشف الظلمه عن معتقدات البيهية »  
القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .
- ٢٦ - حسين الهرأوى « المستشرقون والاسلام » .  
القاهرة سنة ١٩٦٨ م .
- ٢٧ - رضوان شلفعى « التوفيق العلمى بين الحضارة والاسلام »  
القاهرة سنة ١٩٢٥ م .
- ٢٨ - زكريا هانم « المستشرقون والاسلام » المجلس الاعلى للثئون  
الاسلامية  
سنة ١٩٦٥ م .
- ٢٩ - سارتون جو رج « مقدمه لعلم القاريخ » .  
مترجم .

- ٣٠ — سارتون جورج « العلم القديم والمدنية الحديثة » ترجمة عبدالحميد صبره  
نساهرة سنة ١٩٦٠ م .
- ٣١ — سيد احمد « الاقتصاد فى ضوء الاسلام »  
القاهرة سنة ١٩٥١م
- ٣٢ — سيد قطب « الاسلام ومشكلات الحضارة »  
القاهرة د.ت
- ٣٣ — سيد قطب « فى ظلال القرآن »  
القاهرة ١٩٧٨ م .
- ٣٤ — الشاطبى ابنى القاسم ابراهيم بن موسى اللخمي ت ٧٩٠ هـ  
« الموافقات » ج ٢ — القاهرة د.ت
- ٣٥ — صلاح الدين المنجد « المجتمع الاسلامى »  
بيروت سنة ١٩٦٩م .
- ٣٦ — صلاح الدين المنجد « المنتقى من دراسات المستشرقين »  
القاهرة سنة ١٩٥٥ م .
- ٣٧ — الطبرانى « الاوسط »
- ٣٨ — الطبرى « ابو جعفر محمد بن جرير » ت سنة ٣١٠ هـ .  
« تاريخ الامم والملوك »  
القاهرة سنة ١٩٦٣ م .
- ٣٩ — عائشة عبد الرحمن « المرأة المسلمة بين امس واليوم » سلسلة  
الاسلام « نشر البابى الحلبي » د.ت
- ٤٠ — عباس العقاد « عقائد المفكرين »  
القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- ٤١ — عباس العقاد « مايقال عن الاسلام »  
القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- ٤٢ — عباس العقاد « حقائق الاسلام وابطايل خصومه »  
القاهرة سنة ١٩٦٥ م .
- ٤٣ — عبدالجليل ثلبي « الاسلام والمستشرقون »  
القاهرة سنة ١٩٧٧م
- ٤٤ — عبد الرحمن الوكيل « البهائية »  
القاهرة سنة ١٩٣١ م .
- ٤٥ — عبدالرزاق نوفل « الاسلام والعلم الحديث »  
القاهرة سنة ١٩٥٨م
- ٤٦ — عبد العزيز اسماعيل « الاسلام والطب الحديث »  
القاهرة سنة ١٩٤٥ م .
- ٤٧ — عبد العزيز نصحي « البهائيون من اخطر المعاول لهدم الاسلام »  
القاهرة د.ت
- ٤٨ — عبد الفتاح اليبدي « نلسنة هيجل »  
القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

- ٤١ — عبد الكريم الخطيب « الإسلام في مواجهة الماديين والمحدثين »  
— القاهرة سنة ١٩٧٣ م .
- ٥٠ — عبد الوهاب عزام « الإسلام والعلم » — سلسلة الإسلام ، نشر  
البسابي الحلبي . د.ت
- ٥١ — عفيف طباره « روح الدين الاسلامي »  
القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- ٥٢ — علي عبد الواحد وافي « نظام الأسرة في الإسلام » سلسلة الإسلام  
نشر البابی الحلبي د.ت
- ٥٣ — علي عبد الواحد وافي « حقوق الانسان في الإسلام »  
القاهرة د.ت
- ٥٤ — علي عوض « الاقتصاد في ضوء الإسلام »  
القاهرة سنة ١٩٥١م
- ٥٥ — عيسى عبده « وضع الريا في بناء الاقتصاد القومي » محاضرات  
الموسم الثقافي جامعة الأزهر ١٩٦٠ م .
- ٥٦ — فؤاد شبيل « الدستور السوفيتي » .  
القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- ٥٧ — فيليب حتى « تاريخ العرب » .  
مترجم — القاهرة سنة ١٩٤٨ م .
- ٥٨ — لين بول « العرب في أسبانيا » .  
ترجمة علي الجارم .  
القاهرة سنة ١٩٤٤ م .
- ٥٩ — الماوردي « أبو الحسن علي بن محمد » ت سنة ٤٥٠ هـ .  
القاهرة سنة ١٩٧٨ م .
- ٦٠ — مجمع البحوث الإسلامية « البابية أو البهائية » — الأزهر  
سنة ١٢٨٩ هـ .
- ٦١ — محاضرات الموسم الثقافي لجامعة الأزهر سنة ١٩٦٠ م .
- ٦٢ — محمد أبو زهره « الإسلام عقيدة وشريعة » سلسلة الإسلام .  
نشر البسابي الحلبي د.ت .
- ٦٣ — محمد أحمد باشميل « الإسلام ونظرية دارون »  
بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- ٦٤ — محمد البهي « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار »  
القاهرة سنة ١٩٧٥ م .
- ٦٥ — محمد البهي « تهافت الفكر المادي التاريخي »  
القاهرة سنة ١٩٧٥م
- ٦٦ — محمد البهي « الإسلام في الواقع الايدولوجي المعاصر » .  
القاهرة سنة ١٩٧٥ م .

- ٦٧ - محمد الفسوقى « الاسلام والمستشرقون » .  
القاهرة سنة ١٩٧٢ م .
- ٦٨ - محمد المدنى « المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء »  
القاهرة سنة ١٩٦٢ م .
- ٦٩ - محمد معروف الدواليبى « الاسلام أمام الرأسمالية والماركسية »  
القاهرة سنة ١٩٦٤ م .
- ٧٠ - محمد عبد الله العربى « الاقتصاد الإسلامى » - سلسلة  
محاضرات الموسم الثقافى لجامعة الأزهر سنة ١٩٦١ م .
- ٧١ - محمد على « مولانا » « الاسلام والنظام الجديد »  
بيروت سنة ١٩٤٦ م .
- ٧٢ - محمد الفزالى « الاسلام والأوضاع الاقتصادية »  
القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- ٧١ - محمد الفزالى « الاسلام المفترى عليه أمام الرأسمالية والاشتراكية »  
القاهرة سنة ١٩٥٣ م .
- ٧٤ - محمد الفزالى « تذاذب الحق »  
القاهرة سنة ١٩٧٥ م .
- ٧٥ - محمد الفزالى « دفاع عن العقيدة والشريعة »  
القاهرة سنة ١٩٦١ م .
- ٧٦ - محمد غلاب « الاسلام من خلال مبادئه الأساسية »  
القاهرة سنة ١٩٦١ م .
- ٧٧ - محمد غلاب « نظرات استشرافية » .  
القاهرة سنة ١٩٦٤ م .
- ٧٨ - محمد فاضل « الحراب فى صدر الباب والبهاء »  
القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .
- ٧٩ - محمد فريد وجدى « دائرة معارف القرن العشرين » :  
القاهرة سنة ١٩٣٨ م .
- ٨٠ - محمد فؤاد عبد الباقى « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم »  
القاهرة سنة ١٩٣٨ م .
- ٨١ - محمد قطب « الانسان بين المسادية والاسلام »  
القاهرة سنة ١٩٧٨ م .
- ٨٢ - محمد لبيب البوهى « الوجودية والاسلام »  
القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- ٨٢ - محمود صيالى « الطب والأطباء »  
القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

- ٨٤ — محمود شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة »  
القاهرة سنة ١٩٧٧م
- ٨٥ — محمود النواوى ، خفاجى « بين الشيوعية والاسلام »  
القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- ٨٦ — محيى الدين الالوانى « الاسلام وتطورات المعالم » — القاهرة  
سنة ١٩٥١ م .
- ٨٧ — مصطفى خالدى وآخر « التبشير والاستعمار »  
بيروت سنة ١٩٧٠م
- ٨٨ — مصطفى الاسباعى « من روائع حضارتنا »  
القاهرة سنة ١٩٥٨م
- ٨٩ — مصطفى السباعى « اشتراكية الاسلام »  
القاهرة سنة ١٩٦٢م
- ٩٠ — مصطفى شبيب « للكسيان عند العرب »  
القاهرة سنة ١٩٦٨ م .
- ٩١ — منير البعلبكي « دفاع عن الاسلام » .  
تأليف فانجليرى لورانيشيا  
بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- ٩٢ — هودوى « ابو الاعلى » « الاسلام فى مواجهة التحديات »  
الكويت سنة ١٩٧١ م .
- ٩٣ — موريس كرانستون « المصطلحات السياسية » .  
مترجم .
- ٩٤ — مبرزا بشير الدين « مرآة الصدق » .  
القاهرة د.ت
- ٩٥ — مبرزا محمد مهدي خان « مفتاح باب الابواب »  
القاهرة سنة ١٣٢١ هـ .
- ٩٦ — نجيب العقبى « المستشرقون »  
القاهرة سنة ١٩٦٤ م .
- ٩٧ — نديم الجسر « قصة الايمان » — القاهرة د.ت
- ٩٨ — يوسف القرضاوى « الطول المستوردة »  
بيروت سنة ١٩٧١ م .
- ٩٩ — يوسف القرضاوى ، وآخرون « الاسلام بين شبهات المضالين »  
الأزهر سنة ١٩٦٠ م .

## المراجع الأجنبية

- 1) — A. Carlet  
The Herows and Hevows Warship.  
London 1939.
- 2) — A. Guillume.  
The Legacy of Israel.  
London 1953
- 3) — Finlay.  
History of the Byzantine empire.  
Oxford. 1877.
- 4) — Garriss on.  
The marh af faith.  
N.Y. 1967.
- 5) — Holm yard.  
Chemistry to the time of Dalton.  
London 1919.
- 6) — Iles Lictenstadter.  
Islam modern age.  
London 1963.
- 7) — Jessup H.H  
Fifty three years in syria. 2. Vols  
London 1910.
- 8) — M. Hart.  
The too A Ran king of the most mfluntial persons in  
history.  
London 1978
- 9) — Moore.  
A History of chemistry.  
London. 1929.
- 10) — Roland. Oliver.  
A short history of Africa  
London 1958.
- 11) — Runciman.  
A history of the crusades.  
London 1967.



## فهرس الموضوعات

٦ - ٣	مقدمة
٣٦ - ٧	الفصل الأول : التطور التاريخى لنشأة حركة الاستشراق
٤٧ - ٣٧	الفصل الثانى : الاستشراق والتبشير
٦٢ - ٤٤	الفصل الثالث : الإسلام وموقف المستشرقين منه
٧١ - ٦٣	هجوم المستشرقين على الإسلام
٧٤ - ٧١	موقف المستشرقين من السنة النبوية
٨٠ - ٧٤	الفتنة الإسلامى والمستشرقون
٩٠ - ٨٠	المستشرقون وانتشار الإسلام
٩٧ - ٩١	الإسلام والتجديد
	الفصل الرابع : المستشرقون والنظم الإسلاميه
١٠٨ - ١٠١	المستشرقون ونظم الحكم فى الإسلام
١٢٠ - ١٠٩	المستشرقين والنظم الاقتصادية فى الإسلام
١٥٣ - ١٢١	المستشرقون والنظم الاجتماعية فى الإسلام
١٦٢ - ١٥٦	الفصل الخامس : الإسلام والعلوم الحديثه
١٦٤ - ١٦٢	علم الجغرافيا الطبيعية
١٦٧ - ١٦٤	الإسلام وعمد الفلك
١٦٨ - ١٦٧	الإسلام وعلما النبات والحيوان
١٧٤ - ١٦٩	الإسلام وعلم الطب
١٧٦ - ١٧٤	الإسلام وعلم الكيمياء
	الفصل السادس : الإسلام ومشكلات الحضارة والمدنيه
١٨٨ - ١٧٧	الحديثه
١٩٦ - ١٨٨	نظرية دارون -
١٩٨ - ١٩٦	نظرية فرويد وأثرها على الحضارة الانسانية
٢٠٢ - ١٩٨	ذبوع نظرية هيغل
٢٠٤ - ٢٠٢	الوجودية وأثرها على الحضارة الإسلاميه
٢١٦ - ٢٠٤	الماركسية الشيوعيه كمسئله من مسئلات الحضارة
٢٢٩ - ٢١٧	الرأسمالية وأثرها على الحضارة الإسلاميه
٢٣٤ - ٢٢٩	الليبرالية التقدميه
	آثار الحضارة الماديه على عقائد المسلمين
٢٣٨ - ٢٣٥	القاديانيه
٢٤٥ - ٢٣٨	البهائيه
٢٤٧ - ٢٤٥	آراء للاصلاح







To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)